الزيادات من الجامع الكافي

تأليف

الشريف أبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن الحسني



تحقيق

الشريف الحسن بن علي الكتاني

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الزيادات

من الجامع الكافي

على مذهب أحمد بن عيسى والقاسم بن إبراهيم والحسن بن يحيى ومحمد بن منصور المرادي رحمهم الله

تأليف

الشريف أبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن الحسني

تولى الله مكافأته وأحسن مجازاته

تعليق وتحقيق

أبي محمد الحسن بن علي بن محمد المنتصر الكتاني الحسني

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي هدانا للتوحيد، وأرسل لنا أفضل رسله فهدانا للسنة والمسلك الرشيد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي أخرج الناس من الشرك والتنديد، وآله الطاهرين وصحابته البررة الفالحين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن علاقتي بالمذهب الزيدي قديمة، وترجع لبداية حياتي، حيث كان أبي يحدثنا عن آل البيت وجهادهم، وقرأت ذلك أيضا في كتب أجدادي، رحمهم الله، وسمعته من جدي الإمام أبي علي المنتصر، رحمه الله.

وكانت أمي، الشريفة أم الحسن نزهة بنت عبد الرحمن بن محمد الباقر الكتانية، حفظها الله، تحضني على قراءة كتاب "مقاتل الطالبيين"، وفعلا قرأته وتأثرت بما فيه من قصص مؤلمة، ذكرتني بمآسي الحركات الإسلامية المعاصرة التي جاهدت لتحكيم شرع الله، ونصرة دينه، فابتليت وقتل خيارها وسجن شبابها.

ثم إنني اطلعت عن قرب على مذاهب آل البيت عن طريق كتب الإمامين الجليلين محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ومحمد بن علي الشوكاني، رحمهما الله، من خلال "سبل السلام" و"نيل الأوطار" وشروح "الدرر البهية". فقرأت فقه أئمة آل البيت، وعلماء الزيدية.

ثم يسر الله لي قراءة كتب الإمام الجليل محمد بن إبراهيم بن الوزير، وخاصة "العواصم والقواصم" فوجدته يجتهد في تقريب الشقة بين المذاهب الإسلامية، وينعى على الزيدية المتأخرين مخالفتهم لسلفهم من أئمة آل البيت الذين كانوا على نفس اعتقاد ومنهج جمهور الأمة، وكانوا يرجعون لكتب الحديث في دينهم ومصادر شريعتهم، فلم ينفردوا عنهم بشيء مميز.

وكان يحتج كثيرا بكتاب "الجامع الكافي" للشريف أبي عبد الله العلوي، رحمه الله. فتشوقت جدا لرؤية هذا الكتاب الذي عده ابن الوزير من كتب الزيدية العظيمة. وفي يوم من الأيام نقلت نقولا عن طريق ابن الوزير من "الجامع الكافي" وذكرت أنه ينقل عقائد آل البيت بنفس عقائد أهل السنة، فأرسل لي صديق زيدي مهتم بالتراث الزيدي بمخطوطاته ومطبوعاته، فقال لي: إن هذا لذي تقوله ليس دقيقا، ولو أنك قرأت الكتاب لوجدت فيه عقائد تخالف ما تقوله، وأرسل لي نسخة مصفوفة من الكتاب، بتحقيق محقق الأصل الشيخ عبد الله بن حمود العزي.

وفعلا بدأت أقرأ الكتاب فاكتشفت أن في الكتاب عقائد فعلا توافق جمهور السلف: عترة وصحابة وتابعين، وعقائد أخرى تخالفها تمام المخالفة.

ثم وجدتني بلا شعور أخرج أحاديث الكتاب وآثاره، وأطور عملي شيئا فشيئا، منجذبا للعمل حتى انتهيت منه بفضل الله تعالى. فعرضته على ثلة من العلماء الفضلاء، فكان لهم ملاحظاتهم التي استفدت منها كثيرا.

هذا، وقد تجنب محقق "الجامع الكافي" طبع مجلد الزيادات مع أصل الكتاب، وإن كان قد نشره في الشبكة العنكبوتية، واعتذر عن طبعه لوجود إشكالات كلامية كثيرة به[١]، كما قال في مقدمته للكتاب، مع أنه علق على بعضها بنقول جلبها من تعليقات الإمام القاسم بن محمد المتوفى سنة ١٠٢٩ هـ. على هذه "الزيادات". وهي تعليقات تحاول التوفيق بين "الزيادات" وما استقر عليه متأخرو الزيدية من عقائد موافقة لعقائد المعتزلة.

[١] مقدمة "الجامع الكافي" (٦١/١).

وقد أتحفني أحد الإخوة الكرام بنسخة من الكتاب أصدرها السيد د. جمال الشامي، الباحث الزيدي اليماني، ونشرها في قناته على التلغرام، فرأيته نشرها بطريقة جديدة، حيث أعاد ترتيب الأبواب، وعزى بعض ما وجده من نصوص لـ"أمالي أحمد ابن عيسى"، أو لبعض كتب السنة والزيدية والإمامية. وعلق على النصوص الموافقة للسنة والمخالفة لما استقر عليه مذهب متأخري الزيدية بأنها مدسوسة في الكتاب.

وهو في ذلك متابع لشيخه مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي، الذي قال ـ بعد أن ذكر خصوصيّات الكتاب ونسبته لمؤلّفه ـ : "الجامع الكافي في جامع آل محمّد ، إلى أن قال : وإنّما خصصت بالبحث هذا الكتاب الجامع، لما في زياداته، فقد دسّ بعض المخالفين لآل محمد (عليهم السلام) كثيراً فيها ، ثمّ قال: لا سيّما في المشيئة ونحوها واضح ، وما كأنّها صدرت إلاّ من حذّاق الأشعريّة والمتسمّين بالسنّية"، إلى أن قال: "نعم ، أروي كتاب "الجامع الكافي" بالطرق السابقة إلى الإمام المتوكّل على الله ، يحيى شرف الدين ، عن السيد الإمام صارم الدين إبراهيم بن محمّد الوزير ، وهو يرويه بطرق" ، ثمّ ذكرها[1].

والحقيقة أن دعوى الدس في هذا الكتاب يترتب عليها إشكالات خطيرة، فإن هذا الكتاب منذ تأليفه في حياة مصنفه، رحمه الله، وهو يتداول بين الزيدية، دون غيرهم من مذاهب المسلمين، وبقي قرونا في مكتباتهم، التي يتولاها أئمتهم وعلماؤهم، فكيف وصلت إليه يد الدس من هؤلاء (الأشعرية السنية)؟؟

ثم إن أولى ما يمكن أن يدس فيه أهل السنة هو ما له علاقة بالإمامة، مع أننا نرى أن هذا الموضوع أخذ نصيبا واسعا من الكتاب واتسم بالغلو القريب من

[1] "لوامع الأنوار" (١/٤٢٤.)

غلو الإمامية. فلو قال قائل: إن يدا إمامية دست فيه ذلك لكان أقرب للتصديق من دعوى دس أهل السنة عقائدهم في الكتاب، مع كلا الدعويين لا تكاد تصح عند التمحيص والنظر.

ومما ينقض الدعوى من أصلها أن المسائل التي زعموا أنها مدسوسة في الكتاب من قبل (الأشعرية والسنية) لا تجيء أصلا على مذهب الأشاعرة في مسائل القضاء والقدر، بل هي شبيهة بما يقرره ابن تيمية وابن القيم، وينسبانه لأهل الحديث والأثر. فمن هم هؤلاء السلفيون الأثريون الذين وصلوا لخزائن كتب أئمة الزيدية باليمن وعبثوا بها، ولم يكتشفهم أحد؟!

على أن الذي يدس كلاما في كتاب يفتضح أمره بتغير أسلوب الكتاب، واخلاف الحبر المكتوب به، إلى غير ذلك من الأمور التي يكشفها الخبراء، ويستوعبها العقلاء.

ثم إن الكتاب يقع ضمن ١٠ مجلدات كلها في فقه زيدية الكوفة، فالشك في جزء منه شك فيه من أصله، وإسقاط لقيمته العلمية تماما. ويمكن لأي شخص أن يدعي الدس في أي كتاب يجد فيه ما لا يوافق هواه أو ما يراه أصحاب مذهبه أو طريقته.

وأعظم من ذلك، أن كثيرا من هذه المسائل موجود في "أمالي أحمد بن عيسى"، وهي من مصادر الشريف أبي عبد الله العلوي، رحمه الله، في كتابه هذا، فهل دس نفس الشخص هذه النصوص في الكتابين؟ وهل أصبحت كتب الزيدية ضائعة يدس فيها من شاء ما شاء في غياب عن أئمتهم وعلمائهم؟

على أن النقول التي ادعى العديد من الزيدية المتأخرين كونها مدسوسة، نقلها ابن الوزير في القرن التاسع مقرا لها، ولم نر من زعم أنها مدسوسة قبل هؤلاء المعاصرين، كما لم نرهم أتوا على كلامهم بحجة وبرهان واضحين، ولم نر في اختلاف المخطوطات من يؤيد هذه الفكرة، فلو أن داسا استطاع الدس في مخطوط واحد، فكيف توافقت المخطوطات كلها على هذا الأمر؟ هذا مستحيل في العادة.

والحق، أن دعوى الدس هذه خطيرة، ولها توابع وخيمة تفقد الثقة بكل ما في كتب الزيدية، فالأجدر بهم عدم ذكرها، والاكتفاء بجواب معقول عن تلك الإشكالات. وهي أن المتأخرين خالفوا المتقدمين فيما ذهبوا إليه، وأن متقدمي آل البيت، عليهم السلام، لم يختلفوا عن بقية السلف في اعتقاد أو دين، بل كانوا جزءا من السلف الصالح، رضي الله عنهم أجمعين.

وما نراه من مسائل أخرى تخالف السلف في هذا الكتاب، يوجد نقول كثيرة عمن سبقهم توافق ما ثبت عن جمهور الأمة، مما يدل على أن التغير بدأ تدريجيا، إلى أن استقر على ما عليه الزيدية اليوم من عقائد ومناهج.

ما هي مواضيع "الجامع الكافي"؟

لخص الإمام الشريف أبو عبد الله العلوي، رحمه الله، فكرة كتابه بقوله[١]: " أما بعد: فإنك ذكرتَ لي أنك رأيت الزيدية قبلنا بالكوفة يُعَوِّلون في مسائل الخلاف على مذهب أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، والقاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي

[١] "الجامع الكافي" (١/٢٥٥).

طالب، والحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ومحمد بن منصور بن يزيد المرادي المقرئ رحمه الله تعالى.

وذكرتَ أن أقوالهم متفرقة، ليس يحويها كتاب فيُقْصَدُ، وحاجة أصحابنا الزيدية إلى كتاب يجمع أقاويلهم.

وذكرت أن أكثر ما تعتمد عليه الزيدية من الكتب مصنفات محمد بن منصور، وما روى فيها عن آل محمد عليهم السلام، وأن مصنفاته مبسوطة لا يكاد أحد يصل إلى غرضه منها إلا بعد قراءة ما لا يحتاج إليه.

وسألتَ أن أختصر لك منها كتاباً أجمع فيه بين قول أحمد، والقاسم، ومحمد، وَعُمَداً مما رواه من الأخبار عن النبي، وعن آله عليهم السلام، وَطُرَفاً من قول الصحابة والعلماء، فيما وافق أو خالف ليعرف، مطَّرِحاً للأسانيد، وأن أضيف إلى ذلك ما انتهى إليَّ من قول الحسن بن يحيى، ومن قول أحمد، والقاسم، ومحمد، مما لم يُسَطِّره محمد في مصنفاته المشهورة، ليكون هذا الكتاب كافياً، جامعاً لأصول الزيدية.

فأجبتك إلى ذلك، محتسباً في ذلك الثواب من الله سبحانه. واعتمدت فيما ذكرتُ من أقاويلهم على حكاية ألفاظهم في أكثر المسائل، وربما قدمت في بعضها وأخرت، وربما زدت اللفظة التي توضح المعنى وتكشفه ولا تغيره، وربما نقصت من ألفاظهم ما يستغنى عن ذكره، وربما روى محمد خبراً عن بعض العلماء، ثم قال في عقبه: وبهذا نأخذ، وهذا قولي. فابتدأت المسألة على أنها قوله، وربما سئل فقيل له: أيجوز كذا؟ فقال: نعم، أو: لا. فحكيت أن ذلك القول قوله، وقلت، قال: يجوز كذا، أو لا يجوز كذا، وربما كرر المسألة في مواضع عدة، وفي كل موضع

زيادة لفظ أو معنى ليس في الموضع الآخر، فاختصرت من ذلك مسألة واحدة تجمع تلك المعاني كلها، وتحريت في ذلك كله جُهدي، وأتيت بالمعنى وبالله التوفيق".

وقال ابن الحابس في "المقصد الحسن": كتاب "الجامع الكافي" ستة مجلدة وهو أوسع كتبهم (الزيدية) آثارا وعلما، جمعه أبو عبد الله محمد بن [علي بن عبد الرحمن] الحسني صاحب "المقنع"، واعتمد فيه على ذكر مذهب القاسم بن إبراهيم [الرسي المتوفى ٢٤٦] وأحمد بن عيسى والحسن بن يحيى بن الحسن بن زيد ومذهب محمد بن منصور علامة العراق، وإنما خص صاحب الجامع مذهب هؤلاء قال: لأنه رأى الزيدية بالعراق يعولون على مذاهبهم، وذكر أنه جمعه من نيف على ثلاثين مصنفا من مصنفات محمد بن منصور وأنه اختصر إسناد الأحاديث مع ذكر الحجج فيما وافق وخالف – انتهى ملخصا، والآخر للقاضي جمال الدين العفيف بن الحسن المذحجي الضراري وسمى مختصره "تحفة الإخوان في مذهب أئمة كوفان"، كما في "المقصد الحسن."[1]

وقال صارم الدين إبراهيم بن محمّد الوزير (ت ٩١٤ هـ) في "الفلك الدوّار" ـ عند عدّه لكتب الحديث عند الزيديّة ـ : ومن أكثرها جمعاً ، وأجلّها نفعاً كتاب « الجامع الكافي » المعروف بجامع آل محمّد ، الذي صنّفه السيد الإمام أبو عبد الله محمّد بن علي بن عبد الرحمن الحسني ، وهو ستّة مجلّدة ، ويشتمل من الأحاديث والآثار وأقوال الصحابة والتابعين ومذاهب العترة الطاهرين على ما لم يجتمع في غيره، واعتمد فيه على مذهب القاسم بن إبراهيم عالم آل محمّد، وأحمد

[1] "المقصد الحسن والمسلك الواضح السنن" (ص ٤٥).

بن عيسى فقيههم، والحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد، وهو في الشهرة بالكوفة في العترة كأبي حنيفة في فقهائها، ومذهب محمّد بن منصور، علاّمة العراق ، وإمام الشيعة بالاتّفاق، وإنّما خصّ صاحب الجامع ذكر مذاهب هؤلاء، قال : لأنّه رأى الزيديّة بالعراق يعوّلون على مذاهبهم، وذكر أنّه جمعه من نيّف وثلاثين مصنّفاً من مصنّفات محمّد بن منصور، وأنّه اختصر أسانيد الأحاديث، مع ذكر الحجج فيما وافق وخالف ، وقد اعتنى به من متأخّري أصحابنا وعلمائنا أهل اليمن : القاضي العلاّمة جمال الدين العفيف بن حسن المذحجي الضراري، وكان من عيون أصحاب المهدي علي بن محمّد ابن علي (عليه السلام)، ومن أجلّ شيعته ، وسمعه بمكّة المشرّفة برباط الزيديّة، المعروف برباط ابن الحاجب على الفقيه العلاّمة شرف الدين أبي القاسم محمّد بن حسين الشُقيف وأجازه له ، وهو يرويه عن الفقيه العلاّمة محمّد بن عبد الله الغزال، وهو يرويه من طرق مسندة إلى مصنّفه (عليه السلام)، واختصر القاضي العفيف منه مختصراً نفيساً ، نقل فيه غرائب مسائله، وسمّاه (تحفة الاخوان في مذاهب أئمة كوفان)[1].

ماهي مواضيع الزيادات؟

أما الزيادات فهي أشبه بما يسميه المصنفون في مذهب أهل المدينة بـ(كتاب الجامع)، حيث يذكرون فيه مسائل الاعتقاد والمنهج الذي يتميزون به عن غيرهم.

وفي هذه الزيادات مسائل التوحيد وما يتعلق بصفات الله تعالى، وتنزيهه عن مشابهة خلقه. وفيها مسائل الإيمان وزيادته ونقصانه، ومسائل القضاء والقدر والاستطاعة وخلق الأفعال. ومسائل حكم فاعل الكبيرة، وهل يخلد في النار؟ وحكم

---

[1] "الفلك الدوّار" (ص ٥٩).

رؤية الباري تعالى يوم القيامة وهل هي ممكنة أم لا؟ وفيها مسائل الإمامة وتفضيل الإمام علي بن أبي طالب، على جميع الصحابة، رضي الله عنهم جميعا.

ثم فيه ما يخالف الزيديةُ الإماميةَ من مسائل نقص المصحف والبداء ونكاح المتعة، ووقوع الطلاق الثلاث بكلمة واحد.

فهذه أهم مسائل الزيادات. وهي تخالف ما استقر عليه الزيدية في بعض المسائل لا في كلها، مما يدل على أن الفكر الزيدي تطور عبر الزمن حتى وصل لما استقر عليه الآن، وأن المتقدمين كانت لهم آراء وعقائد تخالف ما استقر عند المتأخرين، وهذا ما اجتهد الإمام محمد بن إبراهيم الوزير في شرحه وتوضيحه في كتبه، داعيا أبناء مذهبه للرجوع للأصول والتفكير والمقارنة وترك التعصب.

قال رحمه الله وهو يناقش مسألة رؤية الباري يوم القيامة:" وأقل أحوال هذه الطرق الأربع أن يمتنع دعوى العلم القاطع بإجماع أهل البيت، خصوصاً مع ما في "الجامع الكافي على مذهب الزيدية " من مخالفة الأوائل لمن تأخر في الاعتقاد عموماً، ثم مخالفة بعض أكابرهم في هذه المسألة خصوصاً. وهذا الكتاب "الجامع الكافي " عمدة الزيدية في الكوفة، وموجودٌ في خزائن أئمتهم في اليمن كما ذكرته في الكلام على مسألة الأفعال، والذي أخرجه إلى اليمن السيد أحمد بن أمير الجيلى الزيدي الناصري العلامة الشهير، وخطُّه المعروف عليه بذلك مع ما يشهد بمخالفة الأوائل لمتأخريهم في الاعتقاد مثل ما ذكره محمد بن منصور الزيدي، في كتابه "علوم آل محمد "[1] في أول كتاب الحجِّ منه من حديث النزول، وقوله في تأويله إن الله تعالى لا يزول من مكانه[2]، ونحو ذلك، قد ذكر مبسوطاً."[3]

---

[1] وهو "أمالي أحمد بن عيسى".
[2] سيأتي ذلك إن شاء الله.
[3] "العواصم والقواصم" (٥/٥٢). بتحقيق شيخنا شعيب الأرناؤوط، رحمه الله.

واعلم، بارك الله فيك، أن أئمة آل البيت، سلام الله عليهم، معدودون في أئمة السلف الذين هم أئمة أهل السنة والجماعة، ولذلك فقد نقلوا عنهم اعتقادهم في الاعتقاد، واحتجوا بكلامهم في تقرير ما يتدينون به.

وهذا الإمام أبو القاسم اللالكائي (ت ٤٧٢) في كتابه الجليل "شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة" ذكر أئمة أهل السنة في كل قطر فعد منهم آل البيت، عليهم السلام.

وكذلك فعل غير واحد من أهل العلم، بل إن الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله، لما أرد الرد على المعتزلة في مسألة خلق القرآن، لم يجد إلا الاحتجاج بكلمة الإمام جعفر بن محمد الصادق، عليه السلام.

وقد كان من أسباب تزاوج التشيع مع الاعتزال، فيما أرى، هو أن آل البيت عندما كانوا يخرجون على أئمة الجور كان يخرج معهم جماعة من الأهل الحديث والمعتزلة وغيرهم، فكانوا ينهون عن الخوض في العقائد، توحيدا للصف. وقد روى راوية الزيدية محمد بن منصور المرادي، تلميذ آل البيت، عليهم السلام، روايات كثيرة عنهم في الألفة وترك الجدال في رسالته " الألفة والجمل"، التي أوردها كاملة الشريف أبو عبد الله العلوي في هذا الكتاب: زوائد "الجامع الكافي".

ثم إن أهل الحديث شيئا فشيئا تركوا فكرة الخروج على أئمة الجور، بل مالوا لاستنكار ذلك، حتى أدخلوه ضمن عقائدهم.

بخلاف المعتزلة فإنهم جعلوا من أصولهم ما سموه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو مشروعية الخروج على ولاة الجور والدعوة لذلك، مع أنهم عمليا لم يكن لديهم تنظيمات مسلحة، ولكنهم مالوا للتشيع حتى عد كثير من المعتزلة

زيدية وكثير من الزيدية معتزلة واتحد المذهبان في كثير من الأصول والفروع، إلا في مسألة الإمامة فهي الخلاف بينهما.

وقد انتحل التشيع ومذهب آل البيت طوائف من الناس، وكان مبدأ التشيع من الكوفة، حيث استقر الإمام علي، كرم الله وجهه، وبها قتل، شهيدا، سلام الله عليه. فكان مبدؤه التفضيل بين علي وعثمان، رضي الله عنهما.

ثم تطور لتفضيله على الشيخين، أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، وادعاء الوصية له من رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وكان هذا الأمر في حياته، رضوان الله وسلامه عليه. فاستنكر ذلك ولم يقبله.

فقد روى مسلم[١] ، من طريق طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، قَال:" سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى، هَلْ أَوْصَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: لَا. قُلْتُ: فَلِمَ كُتِبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْوَصِيَّةُ؟ أَوْ فَلِمَ أُمِرُوا بِالْوَصِيَّةِ؟ قَالَ: أَوْصَى بِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ "

وهذا علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ينفي أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم خصه بشيء من الوحي دون غيره، أو أن يكون عهد إليه بشيء من أمر الخلافة ونحو ذلك.

فقد أخرج البخاري[٢]، عَنْ أَبِي جحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " قُلْتُ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ:" لاَ وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي القُرْآنِ ، وَمَا فِي

---

[١] مسلم في "صحيحه" (١٦٣٤).
[٢] البخاري في "صحيحه" (٣٠٤٧).

هَذِهِ الصَّحِيفَة ". قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: " العَقْلُ، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ، وَأَنْ لاَ يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ."

وأخرج الإمام مسلم[1] من طريق عَامِرِ بْن وَاثِلَةَ، قَالَ: "كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسِرُّ إِلَيْكَ، قَالَ: فَغَضِبَ، وَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا يَكْتُمُهُ النَّاسَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ، قَالَ: فَقَالَ: مَا هُنَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قَالَ: لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ.

ومن طريق قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ " :انْطَلَقْتُ أَنَا وَالْأَشْتَرُ، إِلَى عَلِيٍّ، فَقُلْنَا: هَلْ عَهِدَ إِلَيْكَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً؟ قَالَ: لَا، إلا مَا فِي كِتَابِي هَذَا، قَالَ: وَكِتَابٌ فِي قِرَابِ سَيْفِهِ، فَإِذَا فِيهِ :الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، أَلا لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ، مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ، وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ[2] .

وقد قيل للحسن بن الحسن بن الحسن بن علي الذي كان كبير الطالبيين في عهده وكان وصي أبيه وولي صدقة جده: ألم يقل رسول الله: "من كنت مولاه فعلي مولاه؟" فقال: بلى ولكن – والله – لم يعن رسول الله بذلك الإمامة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به[3].

---

[1] مسلم في "صحيحه" (١٩٧٨).

[2] أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" (٩٩٣)، وأبو داود في "سننه(4530) "، والنسائي في "سننه" (٤٧٣٤) وإسناده صحيح، قال الشيخ الألباني في "إرواء الغليل" (٢٦٧/٧):" ورجاله ثقات رجال الشيخين ".

[3] أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ٧٠) وأخرجه المزي في تهذيب الكمال (ترجمة: الحسن بن الحسن بن الحسن بن على رضي الله عنهم). بسند حسن. قال الحافظ المزي في "تهذيب الكمال" (عن إسناد محمد بن عاصم الثقفي عن شبابة عن فضيل) وهذا من أصح الأسانيد وأعلاها. أخرجه محمد بن عاصم الثقفي في جزئه (ص١٢٥) ومن طريقه الضياء المقدسي في كتابه "النهي عن

مما يعني أنّ نظرية النص وتوارث السلطة في أهل البيت فقط لم يكن لها رصيد لدى الجيل الأول من الشيعة، ومن هنا فقد كانت نظرتهم إلى الشيخين أبي بكر وعمر نظرة احترام وتقدير، إذ لم يكونوا يعتبرونهما (غاصبين) للخلافة التي تركها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، شورى بين المسلمين ولم ينص على أحد بالخصوص، وهذا يفسر أمر الإمام الصادق لشيعته بتوليهما.

أما إنكار علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، تفضيله على الشيخين، فقد ورد عن ابنه الجليل الإمام محمد ابن الحنفية، رضي الله عنه، قال: قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر، قلت ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين".[1]

وقد ثبت عن علي رضي الله عنه أنه قال: " لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري ".

أما الاعتزال فقد بدأ التحول بتأثرهم بالمتكلمين المعتزلة، حتى اتحد التشيع والاعتزال في القرن الرابع، قال الحافظ الذهبي، رحمه الله في ترجمة أبي الحسن الرماني المعتزلي الإمامي: "ومن حدود سبعين وثلاثمائة إلى زماننا هذا تصادق الرفض والاعتزال وتواخيا" [2]، وأقره خاتمة أمراء المؤمنين في الحديث الحافظ ابن حجر العسقلاني وزاد: "وقول المصنف إن الرفض والاعتزال تآخيا من حدود سبعين وثلاثمائة ليس كما قال، بل لم يزالا متآخيين من زمن المأمون".[3]

ويوضح الشهرستاني[4] التطور العقدي لدى الشيعة، فيقول: "كانوا في الأول على مذهب أئمتهم –يعني من آل البيت- في الأصول –يعني كونهم على العقيدة المنزِّهة لله-، ثم لمّا اختلفت الروايات عن أئمتهم، وتمادى الزمان، اختار كل فرقة طريقة، وصارت

سب الأصحاب" (ص٦٦) وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٧٠/١٣) وأخرجه ابن سعد في كتابه "الطبقات الكبرى" ط العلمية (ج٥/ص٢٤٥) وأخرجه البيهقي في كتابه "الاعتقاد إلى سبيل الرشاد" (ص٣٥٥) كلهم من طريق شبابة بن سوار الفزاري حدثنا الفضيل بن مرزوق، قال: سمعت الحسن بن الحسن أخا عبد الله بن الحسن وهو يقول لرجل ممن يغلو فيهم فذكر الحديث بطوله. وإسناده حسن

[1] رواه البخاري (٣٦٧١).
[2] " ميزان الاعتدال" (٣ / ١٤٩).
[3] " لسان الميزان" (٤ /٢٨٧).
[4] في "المِلل والنِحل" (١٦٦/١)

الإمامية بعضها معتزلة، إما وعيدية، وإما تفضيلية، وبعضها إخبارية إما مشبهة وإما سلفية".

ويؤكد ابن تيمية حالهم الأول من التجسيم والتشبيه المغالى فيقول: "كان متكلمو الشيعة كهشام بن الحكم، وهشام بن الجواليقي، ويونس بن عبد الرحمن القمي، وأمثالهم، يزيدون في إثبات الصفات –يعني التجسيم والجوارح- على مذهب أهل السُنة، فلا يقنعون بما يقوله أهل السُنة والجماعة من أن القرآن غير مخلوق، وأن الله يُرى في الآخرة، وغير ذلك من مقالات أهل السُنة والحديث، حتى يبتدعون في الغُلو في الإثبات والتجسيم والتبعيض والتمثيل ما هو معروف من مقالاتهم التي ذكرها الناس. ولكن في أواخر المائة الثالثة دخل من دخل من الشيعة في أقوال المعتزلة"أهـ[١].

وقد كنت برهة من الزمان أرى أن سبب اتحاد التشيع بالاعتزال هو خروج المعتزلة مع متقدمي آل البيت، وقتالهم معهم تطبيقا لمبدئهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالخروج على ولاة الجور، فأثر ذلك في آل البيت وشيعتهم، حتى وجدت باحثا كتب رسالة محررة في الصلة بين التشيع والاعتزال"، وهي رسالة نال بها درجة الماجستير، واسمه محمد بن حامد منور الجدعاني، وصرح فيها بنفس ما كنت أقوله، ونقل في ذلك نقولا كثيرة، عن معتزلة ناصروا آل البيت، وخاصة في ثورة الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن، النفس الزكية، وأخيه إبراهيم، رحمة الله وسلامه عليهما.

وأضاف سببا آخر لهذه الصلة وهو أن معتزلة بغداد كانوا في الأصل من معتزلة الكوفة، والكوفة مهد التشيع، ولذلك كانوا متشيعة، ولم يكن بينهم وبين الزيدية أي فرق، اللهم إلا في مسائل في الإمامة فقط، ولذلك فقد كان كثير من الرواة الكوفيين متشيعين وفيهم تجهم واعتزال منذ زمن مبكر، وإن كان جل متشيعة الكوفة وغيرها في القرون الأولى على السنة في بقية الأبواب، كما يعلم من تراجمهم، فلم يكن كل الشيعة معتزلة أو قدرية.

ومن الأسباب التي سهلت تقارب الشيعة بالمعتزلة، وتباعدهم عن أهل السنة، أن كليهما كان ثائرا ساخطا على الدولة في بداية الأمر، ولذلك وجدنا أئمة آل البيت ينهون عن الاختلاف مخافة تشتت صف أنصارهم.

قال محمد بن منصور المرادي، رحمه الله، في كتابه "الجمل والألفة"، كما ستقرؤه في هذا الكتاب: "وأخبرني من أثق به من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن محمد بن عبد الله (النفس الزكية) أنه أوجب على من قام بهذا الأمر الدعاء لجميع الديانين، وقطع الألقاب التي يدعي بها فرق المضلين، وغلق الأبواب التي في فتح مثلها يكون عليهم التلف، والإمساك عما شتت الكلمة، وفرق الجماعة، وأغرى بين الناس فيما اختلفوا فيه وصاروا به إخواناً، والدعاء لطبقات الناس من حيث يعقلون إلى السبيل التي لا ينكرون وبه يؤلفون، فيتولى بعضهم بعضاً، ويدينون بذلك، فإن اجتماعهم عليه اثبات للحق وإزالة للباطل.

قال محمد (بن منصور): وكذلك سمعنا عن إبراهيم بن عبد الله (بن الحسن) أنه سئل عن بعض ما يختلف الناس فيه من المذاهب فلم يجب فيه، وقال: أعينوني على ما اجتمعنا عليه حتى نتفرغ لما اختلفنا فيه".

---

[١] في "منهاج السنة" (ج١، ص٧١-٧٢)

ثم قال الشريف العلوي: "حدثنا أبو الحسن محمد بن جعفر بن محمد النحوي، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال حدثنا محمد بن منصور، قال: قال لي القاسم بن إبراهيم: (بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن الرسي المتوفى سنة ٢٤٧): أخبرني بعض من أثق به من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) أنه قال: يجب على من قام بهذا الأمر الدعاء لجميع الناس، وقطع الألقاب التي يدعي بها فرق المضلين، وذكر مثل هذا الكلام".

فهذا ما يفسر تحول الشيعة التدريجي للاعتزال بعدما كانوا على محض السنة.

مصادر الكتاب

ذكر المؤلف الشريف أبو عبد الله العلوي مصادر كتابه أول المجلد الأول، وذكر أسانيده، وسأنتقي من ذلك فقط مصادر هذا الجزء وأسانيده.

فقد قال رحمه الله: "واعتمدت فيما ذكرتُ من أقاويلهم على حكاية ألفاظهم في أكثر المسائل، وربما قدمت في بعضها وأخرت، وربما زدت اللفظة التي توضح المعنى وتكشفه ولا تغيره، وربما نقصت من ألفاظهم ما يستغنى عن ذكره، وربما روى محمد[1] خبراً عن بعض العلماء، ثم قال في عقبه: وبهذا نأخذ، وهذا قولي. فابتدأت المسألة على أنها قوله، وربما سئل فقيل له: أيجوز كذا؟ فقال: نعم، أو: لا. فحكيت أن ذلك القول قوله، وقلت، قال: يجوز كذا، أو لا يجوز كذا، وربما كرر المسألة في مواضع عدة، وفي كل موضع زيادة لفظ أو معنى ليس في الموضع الآخر، فاختصرت من ذلك مسألة واحدة تجمع تلك المعاني كلها، وتحريت في ذلك كله جُهدي، وأتيت بالمعنى وبالله التوفيق."[2]

أسانيد الكتاب

وقد انتقيت فقط الكتب التي نقل منها في هذا الجزء، قال رحمه الله[3]:

---

[1] يقصد الإمام محمد بن منصور المرادي الزيدي. وستأتي ترجمته إن شاء الله.
[2] "الجامع الكافي" (١/٢٥٧).
[3] نفس المصدر.

"فما كان من أقوال أحمد، والقاسم، ومحمد مطلقاً – لم أذكر راويه – فهو مما ذكره محمد في مصنفاته، وما كان من سواها فقد ذكرت في المسألة من رواه. وما كان من قول القاسم من رواية داود عنه فحدثنا به :حسن بن حبيش، وحسين بن القطان، عن الحسن بن زيد الجعفري، عن أبيه، عن داود بن القاسم، عن أبيه القاسم بن إبراهيم.

وما كان من قول الحسن بن يحيى مطلقاً، فهو من المسائل المشهورة عنه، التي أخبرنا بها: أحمد بن علي العطار، عن علي بن أحمد بن عمرو عنه.

وما كان من رواية بن صباح عنه، فحدثنا به: حسن بن حبيش، عن محمد بن أحمد بن مرزوق، عن عبد الله بن صباح البزار عنه.

وما كان من قول الحسن من غير هاتين الجهتين فقد ذكرت في المسألة من حدثنا به عنه."

ومصنفات محمد التي اختصرت منها هذا الكتاب ثلاثون مصنفاً وهي:

١. ((كتاب أحمد بن عيسى بالزيادات)) حدثنا به: أحمد بن علي العطار، ومحمد بن الحسين بن الغزال، عن علي بن أحمد بن عمرو الجنبي عنه.
٢. ((كتاب المسائل)) حدثنا به: محمد بن غزال، عن علي بن عمرو عنه.
٣. ((كتاب إبطال المتعة)) وجدته بخط جدي لأمي محمد بن الحسن بن حسين بن عيسى العلوي.

٤. ((كتاب إيقاع الطلاق ثلاثاً في كلمة، وإيقاع الطلاق في المحيض)) إجازة لي من جعفر بن حاجب، عن إسماعيل بن أحمد الأكفاني، عن محمد بن زكريا الفرضي عنه .

٥. ((كتاب الألفة والجملة)) حدثني به: أبي، عن محمد بن زيد بن مروان، عن ابن عمرو عنه. وهو إجازة لي عن ابن مروان.

٦. ((كتاب مسائل أحمد بن عيسى، والقاسم بن إبراهيم عليهما السلام)) حدثني به: علي بن محمد الشيباني، عن محمد بن محمد بن هارون، عن سعدان عنه.

إشكالات الكتاب

واجهتني العديد من الإشكالات في الكتاب، وحاصلها أن العقائد التي أوردها الشريف العلوي عن هؤلاء الأئمة منها ما هو موافق لما عليه جمهور أهل السنة والأثر ومتقدمي آل البيت، عليهم السلام، مما ثبت عنهم بالأسانيد الصحيحة وما يقاربها، ومنها ما هو مخالف تمام المخالفة لذلك.

ويمكننا أن نقول إن هذا الكتاب يؤرخ لبداية التحول الزيدي من موافقة السلف: عترة وصحابة وتابعين، إلى الانطواء على النفس ومخالفتهم، ثم تكوين الطائفة الزيدية بمعالمها التي استقرت عليها.

ففي مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل وخلق الأفعال والاستطاعة، كلامهم هو عين كلام أقحاح أهل السنة.

وفي مسائل الإيمان ودخول العمل فيه وزيادته ونقصانه والنعي على المرجئة، كلامهم هو نفس كلام أهل السنة والأثر. إلا ما كان من مسألة فاعل الكبيرة، كما سأبينه، إن شاء الله.

وفي مسائل خلق القرآن نقل كلام العديد من الأئمة بما يوافق تماما ما نقل عن أئمة الأثر.

وفي مسائل تمام القرآن والبداء ونكاح المتعة وطلاق الثلاث، كلام يوافق ما عليه جمهور الأمة الإسلامية، ويخالف الإمامية الرافضة.

كما أن فيه كلاما جميلا عن ترك الخلاف، وتوحيد المسلمين بذكر جمل المسائل، وعدم التعمق في الدين والدخول في مضايق علم الكلام.

وبهذا فيمكننا أن نقول إن الأبواب التي توافق ما كان عليه السلف: عترة وصحابة وتابعين، هي:

القول في الإيمان وزيادته ونقصانه.

باب القدر والمشيئة والإرادة.

الكلام في خلق الأفعال.

بعض ما جاء في الكلام في خلق القرآن.

القول في خلق الجنة والنار.

القول في عذاب القبر.

القول في الصراط والميزان.

القول في القياس والرأي.

القول فيمن رد الآثار واستغنى بظاهر القرآن عن الأخبار.

القول في الرافضة.

القول في الرجعة.

لكن في الكلام عن صفات الله تعالى وعلوه على خلقه، كما جاء في نصوص الكتاب والسنة، بما يليق بجلاله تعالى، من غير كيف ولا تشبيه، نجدهم يميلون للمبالغة في التنزيه، لكن الواضح أن نزاعهم كان مع غلاة الشيعة المشبهة، وليس مع أهل السنة والأثر.

كذلك في مسألة رؤية المؤمنين لله تعالى يوم القيامة، فقد نقل كلاما في استحالته وإنكاره، لكنه استدرك وأتى بنقول تقول بإمكانيته. وفعلا توجد نقول كذلك عن الكثير من الزيدية.

كذلك هناك كلام في فاعل الكبيرة يصرح بتكفيرهم وخلودهم في النار، ولكنه يستدرك بأن الله تعالى يفعل ما يريد، مما يدل على فتح باب الرحمة والمغفرة لمن مات على الكبائر وكان من أهل التوحيد.

إلا أن أشد ما واجهني من إشكالات في الكتاب هو مسألة الإمامة والغلو فيها بإحباط الأعمال، وعدم قبولها. والاحتجاج على ذلك بنفس حجج الإمامية، حتى إني لم أجد بعض النصوص في كتب الحديث ولا كتب الزيدية المسندة، ووجدتها في كتب الإمامية. وفيها تعريض واضح بالخلفاء الراشدين، رضي الله عنهم،

وتنقيص منهم، كما أن فيها اتهام عدد من الصحابة ممن لم يخوضوا فيما شجر بين الصحابة، رضي الله عنهم، تورعا عن الدماء، بالإرجاء والبدعة!!

ولم أر من تطرق لهذه المسألة ممن تكلم عن إشكالات الزيادات، ولا حاول حلها، مع أنها تخالف المقرر في مذهب الزيدية من احترام صحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

عموما، فقد نقلت في حواشي الكتاب ما ثبت عن متقدمي مما يوافق الحق الذي عليه جمهور الأمة، والذي كان عليه سلف آل البيت وأئمتهم.

التعريف بمؤلف الكتاب

مؤلف الكتاب هو الإمام أبو عبد الله العلوي البطحاني، وهو محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب[١].

ولد بالكوفة سنة ٣٦٧ هـ.

وصفه الحافظ الذهبي بـ" الإمام المحدث الثقة العالم الفقيه، مسند الكوفة". وقال: " قال: وكان حافظا، خرج عنه الحافظ الصوري[٢] وأفاد عنه، وكان يفتخر به".[٣]

حدث عن علي بن عبد الرحمن البكائي، وأبي الفضل محمد بن الحسن بن حطيط، ومحمد بن زيد بن مروان، وأبي الطيب محمد بن الحسين التيملي، وأبي

---

[١] " المنتظم" ٨/ ٨، و"تاريخ إربل" لابن المستوفي ١/ ١٨٧ رقم ٩١، و١/ ٣١٢ رقم ٩، و"العبر" ٣/ ٢١٠، و"المعين في طبقات المحدّثين" (١٢٩ رقم ١٤٢٧)، و"الإعلام بوفيات الأعلام" ١٨٤، و"سير أعلام النبلاء" ١٧/ ٦٣٦، ٦٣٧ رقم ٤٣٠، و"تاريخ الإسلام" ١١٨/٣٠ و"شذرات الذهب" ٣/ ٢٧٤.

[٢] والحافظ الصوري هو أبو عبد الله محمد بن علي الصوري المتوفى سنة ٤٤١، ترجم له الخطيب في "تاريخ بغداد" (١٠٣/٣) قال: وكان من أحرص الناس عليه (الحديث) وأكثرهم كتبا له وأحسنهم معرفة به ولم يقدم علينا من الغرباء الذين لقيتهم أفهم منه بعلم الحديث. وترجم له ابن الجوزي في "المنتظم" (٨ / ١٤٣) وقال: وأكثر كتب الخطيب - سوى التاريخ - مستفادة منه.

[٣] "سير أعلام النبلاء" (٦٣٦/١٧) و"تاريخ الإسلام" (١١٤/٣٠).

المفضل محمد بن عبد الله الشيباني، ومحمد بن علي بن أبي الجراح، وعدة . وببغداد من أبي حفص الكتاني، وأبي طاهر المخلص.

حدث عنه أبو منصور أحمد بن عبد الله العلوي، ومحمد بن عبد الوهاب الشعيري، وأبو الحارث علي بن محمد الجابري، وعلي بن قطر الهمداني، وعلي بن علي بن الرطاب، وعبد المنعم بن يحيى بن هقل، وأبو الغنائم محمد بن علي النرسي الكوفيون شيوخ السلفي، وآخر من روى عنه بالإجازة عمر بن إبراهيم الزيدي النحوي.

قال الذهبي: قال ابن النرسي: مات بالكوفة في ربيع الأول، سنة خمس وأربعين وأربعمائة (٤٤٥ هـ). وقال: ما رأيت من كان يفهم فقه الحديث مثله.[١]

وترك عدة مؤلفات، ومنها:

مؤلفاته:

١ – الأذان بحي على خير العمل.

٢ – أسماء الرواة عن زيد بن علي من التابعين، وحديث كل واحد منهم.

٣ – كتاب التاريخ، نقل عنه ابن نقطة في كتاب الاستدراك في كلمة (بزه) وحكاه عنه في تعاليق كتاب الاكمال لابن ماكولا ١ / ٢٥٥.

٤ – كتاب التعازي.

٥ – فضل الكوفة وفضل أهلها.

٦– الجامع الكافي، في الفقه، وهو أصل هذا الجزء.

---

[١] "سير أعلام النبلاء" (٦٣٧/١٧).

٧ – المقنع، وهو مختصر الجامع الكافي، كما تقدم وقد ذكره ابن حابس في "المقصد الحسن".

٨ – فضل زيارة الحسين عليه السلام. [هناك شك في نسبة هذا الكتاب إليه].

وجلها قد طبع محققا في السنوات الأخيرة.

تراجم الأئمة الأربعة

القاسم بن إبراهيم الرسي[١]:

هو: أبو محمد القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمه: هند بنت عبد الملك بن سهل بن مسلم بن عبد الرحمن بن عمرو بن سهيل بن عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن مالك بن حَسِل بن عامر بن لؤي.

ولد في سنة ١٦٩ هـ، وكانت نشأته بالمدينة المنورة، وسكنه بجبال "قدس" بأطرافها. وطاف ببلاد كثيرة

وقرأ على شيوخ عصره وروى عن أبيه وعن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وموسى بن جعفر وأبي بكر بن أبي أويس وإسماعيل بن أبي أويس، وكلاهما من كبار أصحاب الإمام مالك بن أنس المدنيين، وأبناء أخته.

ومن تلاميذه أولاده والحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي ويحيى بن الحسين بن جعفر صاحب "لباب الأنساب"، وعبد الله بن يحيى القومسي العلوي الذي أكثر الناصر الأطروش الرواية عنه ومحمد بن موسى الخوارزمي وغيرهم.

---

[١] راجع: "تتمة المصابيح" (ص٥٥٥) لعلي بن بلال، و "الإفادة في تراجم الأئمة السادة" (ص ٧٥) لأبي طالب الهروني، ط مكتبة آل البيت ١٤٣٥ هـ. و"مقاتل الطالبيين" (٤٤٩)

وأقام بمصر نحو عشر سنين واشتد الطلب له هناك من عبد اللّه ابن طاهر فلم يمكنه المقام، فعاد إلى بلاد الحجاز وتهامة وخرج جماعة من دعاته من بني عمه وغيرهم إلى بلخ والطالقان والجوزجان، فبايعه كثير من أهلها وسألوه أن ينفذ إليهم بولد له ليظهروا الدعوة، فانتشر خبره قبل التمكن من ذلك، فوجهت الجيوش في طلبه فانحاز إلى حيّ من البدو، واستخفى فيهم وأراد الخروج بالمدينة في وقت من الأوقات فأشار عليه أصحابه بأن لا يفعل ذلك . إلى أن قال: . ولم يزل على هذه الطريقة، مثابراً على الدعوة، صابراً على التغرّب والتردّد في النواحي والبلدان متحملاً للشدة مجتهداً في إظهار دين اللّه. ولما تهيّأت مقدمات ظهوره وكانت له بيعات كثيرة في أوقات مختلفة أوّلها (سنة ١٩٩هـ) والبيعة الجامعة كانت سنة ٢١٩ هـ في منزل محمد بن منصور المرادي بالكوفة.

فشلت دعوته ولم تساعده المقادير إلى كل ما أراد، فانتقل إلى الرسِّ في آخر أيامه، وهي أرض اشتراها وراء جبل أسود بالقرب من ذي الحليفة، وبنى هناك لنفسه ولولده وتوفي بها سنة ٢٤٦ هـ وله سبع وسبعون سنة، ودفن فيها وقبره معروف يزوره من يريد زيارته.

وله من المؤَلفات:

١. الدليل الكبير، وقد بالغ فيه في الكلام على الفلاسفة.

٢. الدليل الصغير.

٣. كتاب العدل والتوحيد الكبير، وفيه من أُصول العدل والتوحيد وتصديق الوعد والوعيد والمبالغة في الكلام على الجبرية على لطافة حجمه، ما يشهد بغزارة علمه، ووفور فهمه.

٤ . الرد على ابن المقفّع.

٥. الرد على النصارى.

٦ . كتاب المسترشد.

٧ . كتاب الرد على المجبرة.

٨ ـ كتاب تأويل العرش والكرسي.

٩ ـ كتاب المسألة وفيها مناظرته مع الملحد

١٠ ـ كتاب تثبيت الإِمامة وتقديم أمير المؤمنين على المشايخ.

١١ ـ كتاب الفرائض والسنن.

١٢ ـ كتاب الطهارة.

١٣ ـ كتاب صلاة اليوم والليلة.

١٤ ـ كتاب مسائل علي بن جهشيار.

١٥ ـ كتاب الناسخ والمنسوخ.

١٦ ـ كتاب سياسة النفس.

أحمد بن عيسى بن زيد[١]:

هو أبو عبد الله أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عليهم السلام والرضوان.

وأمه عاتكة بنت الفضل بن عبد الرحمان بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.

ولد سنة مائة وتسع وخمسين وتوفي والده وهو صغير، فأوصله صباح الزعفراني إلى المهدي العباسي، فبقي إلى أيام الرشيد ثم خرج، فأخذ وحبس ثم خلص، واختفى إلى أن مات، ولذا يقال له (المختفي) (١٥٩ هـ ـ ٢٤٧ هـ).

---

[١] انظر: "تاريخ أصبهان" (صـ١١١)، "تاريخ الإسلام "(١٨/١٢، ٦١/١٨)، "الوافي بالوفيات" (٤٧١/٢)، "مقاتل الطالبيين" (صـ٣٩٩)، "جمهرة أنساب العرب" (صـ٥٦)، "المجدي في أنساب الطالبين" لعلي العلوي: (ص١٨٨)، "التذكرة الحمدونية". ، و"سير أعلام النبلاء" ١٢/ ٧٢ رقم ١٨، و"تاريخ الإسلام" (٦١/١٨) و"الوافي بالوفيات" ٧/ ٢٧١، ٢٧٢ رقم ٣٢٤٣.

يروي عن حسين بن علوان كثيراً ومحمد بن بكر العلائي عن أبي الجارود عن أبي جعفر الباقر.

وعنه ابناه: على ومحمد، ومحمد بن المنصور المرادي بواسطة ابنيه المذكورين وبلا واسطة ولم يرو عن أبيه. وروى عنه جعفر بن مروان ومحمد بن زكرياء الغلابي.

قال صاحب كتاب «المجدي في أنساب الطالبيين»: روى الحديث وكان ذا فضل، ويروي أن أبا بكر وعمر، على خير.

وفي "عمدة الطالب" (ص ٢٨٩) لابن عنبة: "أمّا أحمد المختفي بن عيسى موتم الأشبال ابن زيد فكان عالماً، فقيهاً، كبيراً زاهداً".. إلى أن قال" :ومولده سنة ثمان وخمسين ومائة، ووفاته سنة أربعين ومائتين، وعَمِي آخر عمره".

وقال الإمام الذهبي في "تاريخ الإسلام": هو سيد العلوية وشيخهم.

توفي رحمه تعالى متخفيا سنة ٢٤٧ بالبصرة.

وقد جمع كثيرا من رواياته وآرائه أبو جعفر محمد منصور المرادي في كتاب حافل عرف بـ"علوم آل محمد صلى الله عليه وسلم" أو "أمالي أحمد بن عيسى"، طبع عدة طبعات. وهو من أجل كتب الزيدية المسندة، وقد أحلت له كثيرا في تحقيقي هذا.

الحسن بن يحيى[١]:

هو أبو محمد الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. عليهم السلام والرضوان.

وأمه أم ولد.

[١] كتاب "المعقبين" للعبيدلي (ص ٩٣)، و"العواصم والقواصم" (٩٨/٤) ومواطن عديدة، ومقدمة العزي لـ"الجامع الكافي".

ولد ونشأ بالكوفة، وأخذ عن والده وعن القاسم الرسي ونصر بن مزاحم وضرار بن صرد.

وعنه محمد بن منصور المرادي والحسن بن علي الناصر الأطروش و يحيى بن الحسن بن جعفر الحجة الحسيني المدني العبيدلي النسابة.

قال الإمام ابن الوزير رحمه الله: إمام الزيدية في الكوفة، ذكره محمد بن منصور، وأنه مِمَّن أجمعت عليه الفِرَقُ، وله مذاهب في الفروع كلها مذكورٌ في كتاب " الجامع الكافي " على مذهب الزيدية، وهو كثيرُ الموافقة لأهل السنة في الفروع والأصول. وذكر محمد بن منصور عنه أنه كان يترحَّمُ على من يُوافِقُه، وعلى من يخالفه من سَلَفِه، وفي هذا إشارة إلى اختلافهم، في ذلك العصر وقبله.[١]

توفي رحمه الله بعد الستين والمائتين بالكوفة.

محمد بن منصور المرادي:

هو أبو جعفر محمد بن منصور بن يزيد المرادي الكوفي.

لا يعرف متى ولد ولكن يرجح أنه في الثلاثينات من القرن الثاني (١٣٠_١٣٩). ولكنه ولد ونشأ بالكوفة، معقل العلم والدين.

وقد أخذ عن أئمة العترة الكبار القاسم الرسي وأحمد بن عيسى والحسن بن يحيى وغيرهم.

ويروي عن ابن جريج وأبي مصعب الزهري وإسماعيل بن أبي أويس وأبي هاشم الرفاعي وإسماعيل بن عياش وعثمان بن أبي شيبة ومحمد بن جعفر غندر وهناد بن السري، وغيرهم كثير.

---

[١] "العواصم" (٩٨/٤).

وروى عنه جماعة منهم أبو عبد الله العلوي، مؤلف هذا الكتاب، والناصر الأطروش، الإمام القائم بالجيل والديلم، وعيسى بن زيد أبو زيد العلوي ومحمد بن سليمان الكوفي وفرات بن إبراهيم وغيرهم.

قال أحمد بن صالح ابن أبي الرجال أحد كبار علماء الزيدية في كتابه "مطلع البدور"[1]:

"شيخ العترة والشيعة، عذب الشريعة، لمن أراد بحار الشريعة، محمد بن منصور المقري المرادي. كان الأئمّة يجلّونه إجلال الأب الكريم وهو ينزلهم في منزلهم الشريف العظيم، وكان شيخاً معمّراً قد ذكر في عمره بخط بعض الطلبة كلام لم يتفق عندي فأنقله. وهو الذي جمع أمالي أحمد بن عيسى، وهو أحد الأربعة الذين اعتمد عليهم في الجامع الكافي"، لأنّ مؤلف "الجامع الكافي" وهو صاحب «المقنع» وهو الذي قال الذهبي فيه: الإمام المحدث الثقة العالم مسند الكوفة أبو عبد اللّه محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي جمع كتاباً فيه علم الأئمّة بالعراق فاجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره".

وقال ابن النديم: المرادي من الزيدية وهو أبو جعفر محمد بن منصور المرادي الزيدي وله من الكتب: كتاب التفسير الكبير، كتاب التفسير الصغير، كتاب أحمد بن عيسى، كتاب سيرة الأئمّة العادلة، وله كتب في الأحكام مثل طهارة وصلاة وغير ذلك على تلاوة كتب الفقه، وله كتاب الخميس. كتاب رسالته على لسان بعض الطالبيين إلى الحسن بن زيد بطبرستان[2].

هذا وقد خلف لنا الإمام المرادي تراثاً عظيماً ظل العلماء يغترفون منه وينهلون من معينه الصافي حتى إن الإمام أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن العلوي لخص كتابه العظيم "الجامع الكافي" من كتب الإمام المرادي، وقد أشار إلى ذلك في المقدمة فقال: " ومصنفات محمد التي اختصرت منها هذا الكتاب ثلاثون مصنفاً " ثم ذكرها فذكر منها: " كتاب أحمد بن عيسى بالزيادات. كتاب المجموع. كتاب المسائل. كتاب الطهارة. كتاب

[1] "مطلع البدور" (٣٧٢/٣)
[2] ابن النديم "الفهرست" (ص ٢٤٤).

النهي عن المسح على الخفين. كتاب الصلاة. كتاب الجنائز. كتاب الزكاة. كتاب الخمس. كتاب الصوم. كتاب الحج. كتاب الصوم ـ آخر .. كتاب الحج ـ آخر .. كتاب منسك الحج. كتاب النكاح. كتاب إبطال المتعة. كتاب الطلاق. كتاب إيقاع الطلاق ثلاثاً في كلمة وإيقاع الطلاق في المحيض. كتاب الرضاع. كتاب البيوع. كتاب الأيمان والكفارات. كتاب الحدود. كتاب الديات. كتاب الفرائض. كتاب القضاء. كتاب السرية. كتاب مختصر السيرة. كتاب الصيد والذبائح. كتاب صفة العصير والطلاء ومعرفة الأوزان. كتاب تحريم الشربة والملاهي. كتاب الإلفة والجملة. كتاب مسائل أحمد بن عيسى، والقاسم بن إبراهيم عليهما السلام ". وأسندها جميعاً إليه بأسانيد مختلفة.

ومن كتبه أيضا:

١ ـ كتاب في التفسير كبير. مفقود.

٢ ـ كتاب في التفسير صغير، مفقود.

٣ ـ كتاب أمالي أحمد بن عيسى، طبع مرتان. قال الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير عنه: هو أساس علم الزيدية ومنتقى كتبهم ويذكر فيه الأسانيد.

٤ ـ سيرة الأئمة العادلة، مفقود.

٥ ـ رسالة على لسان الطالبيين إلى الحسن بن زيد بطبرستان، مفقود.

٦ ـ كتاب الخميس، مفقود، ولعله كتاب الخمس الذي ذكره الحافظ أبو عبد الله العلوي.

٧ ـ كتاب الذكر ـ وهو مطبوع.[1]

٨ ـ كتاب المناهي، مخطوط.

[1] وقد حققه المحقق الفاضل الشيخ محمد يحيى سالم عزان، وكتب له ترجمة حافلة في بدايته، استفدت منها. بحمد الله.

الإمام المرادي وأئمة أهل البيت[1]

تتلمذ الإمام المرادي على أيدي الأئمة وتتلمذ الأئمة على يديه، فقد تمتع بصحبة كوكبة من عظماء أهل البيت، واغترف من بحور علومهم، فلزم القاسم بن إبراهيم الرسي خمساً وعشرين سنة، وصحب الإمام أحمد بن عيسى نيفاً وعشرين حجة، وكانت له مع الأئمة مواقف مشرقة حفظ لنا التاريخ منها ما رواه العلامة المحدث المؤرخ علي بن بلال قال: " روي عن علي بن الحسين بن شقير الكوفي بالكوفة في شعبان سنة (٣٥٦ هـ) قال: حدثنا محمد بن منصور سنة (٢٩٠ هـ) أنه كان بمنزله سنة (٢٢٠) في الكوفة ثم ذكر خبراً طويلا مفاده أنه دخل عليه الإمام احمد بن عيسى قادماً من البصرة، ثم دخل عليه القاسم بن إبراهيم قادماً من الحجاز، ثم دخل عليه عبد الله بن موسى، ولما رآهم الحسن بن يحيى جاء هم وهنأهم بالسلامة وسَعُد بقدومهم، ثم أقاموا جميعاً في دار محمد، وجلسوا يتحدثون عما يصيب أمة محمد من الظلم والجور، وبينما هم كذلك قام محمد وقال: ارحموا كِبَر سِنِّي واعملوا فيما يقربكم إلى الله عز وجل، وبايعوا واحداً منكم أعلمكم وأقواكم حتى يكون الرضي منكم ترضون به الإمام، نطيعه ونعرفه، ونموت بإمام للمسلمين، ولانموت ميتة جاهلية.

فقالوا: أيها الشيخ.. ما أحسن ما قلت، وإن لك مثلنا ولحمنا ودمنا، وأنت منا أهل البيت، وما نطقت به فهو الصواب.

وبعد حوار تمت البيعة للإمام القاسم بن إبراهيم الرسي عليه السلام.

وله روايات كثيرة عن هؤلاء الأئمة الأربعة، جمع معظمها الحافظ أبي عبد الله العلوي في كتابه العظيم "الجامع الكافي". ومنها ما هو في كتابه المعروف بـ "الأمالي".

توثيقه

[1] من مقدمة الشيخ عزان لكتاب الذكر.

قال أبو عبد الله الحاكم: النيسابوري: قال الدَّارَقُطْنِيّ: محمد بن منصور بن يزيد، أبو جعفر، الكُوفِيّ، المرادي، ثقة [1].

وفاته رحمه الله

قال الشيخ محمد يحي سالم عزان في مقدمته لكتاب "الذكر":

"أما تاريخ وفاته فلعله ما بين (٢٩٠ . ٣٠٠ هـ) لأنه قد تقدم أنه حدث علي بن الحسين بن شقير الكوفي سنة تسعين ومائتين، إضافة إلى أنه روى كثيراً عن محمد بن إسماعيل الأحمسي المتوفى سنة (٢٦٠ هـ) وعن علي بن منذر المتوفى سنة (٢٥٦ هـ) وعن عبد الله بن حكم المتوفى سنة (٢٥٥ هـ) ومن في طبقتهم. وبهذا يحتمل أن يكون عمره ما بين (١٤٠ . ١٥٠ سنة) والله أعلم".

سندي للكتاب:

أروي هذا الكتاب بالإجازة عن الشيخ الفاضل علي بن أحمد مجمل الصنعاني اليماني عن محمد بن إسماعيل العمراني عن أحمد بن محمد زبارة عن علي بن أحمد السدمي عن محمد بن إسماعيل الكبسي عن محمد بن علي الشوكاني عن علي بن إبراهيم الشهيد عن حامد بن حسن شاكر عن أحمد بن يوسف بن الحسين عن إبراهيم بن القاسم بن المؤيد عن الحسين بن أحمد زبارة عن عن أحمد بن صالح بن أبي الرجال عن أحمد بن سعد المسوري أخبرنا المؤيد بالله محمد بن القاسم أخبرنا القاسم بن محمد أخبرنا أمين الدين بن عبد الله أخبرنا أحمد بن عبد الله أخبرنا شرف الدين يحيى بن شمس الدين أخبرنا صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير عن العفيف بن حسن الفراوي عن أبي القاسم بن محمد النصيف عن محمد بن عبد الله الغزال المصري عن صالح بن منصور الخطيب عن أحمد بن أبي الفضل السقطي عن أبي الصائم البدري عن علي بن البدر الهمداني عن عن منصور بن محمد المدلل

---

[1] "سؤالات الحاكم لأبي الحسن الدارقطني" (رقم٦٦). و"موسوعة أقوال الدارقطني في رجال الحديث وعلله" (٦٢٨/٢) (رقم ٣٣٦٦).

عن الحسن بن ملاعب الأسدي عن يحيى بن محمد الثقفي عن المؤلف أبي عبد الله العلوي.

ولي طرق أخرى كثيرة للكتاب بحمد الله تعالى.

طريقتي في التحقيق:

عمدت للأحاديث والآثار فخرجتها من كتب السنة والزيدية، ورجعت لكتب الإمامية كذلك إن لم أجد النص عند غيرهم، وتعاملت مع النصوص تعامل المحدثين مع الأسانيد، حتى أعرف صحتها من ضعفها، وما لم أجده بحثت عن نص قريب منه أو مشابه له. فقد وجدت صعوبة في تخريج بعض الأحاديث والآثار.

أما المسائل المخالفة لما كان عليه سلف آل البيت فقد نقلت في الحاشية ما يوافقها، ولم أثقل الحواشي بالتعاليق والمناقشات، فلم أر ذلك مناسبا في إصدار هذه النسخة.

وقد اعتمدت على النص الذي نشره الشيخ عبد الله بن حمود العزي، وذكر فيه الفروقات بين نسخ الكتاب، فاكتفيت بذلك دون الرجوع للمخطوطات. وقد بين هو ذلك كله في مقدمته لـ"الجامع الكافي"[١].

ولا يسعني في النهاية إلا أن أتقدم بجزيل الشكر لكل من أعانني في تحقيق هذا الكتاب، وأخص منهم بالذكر الشيخ الفاضل د. محمد سالم الخضر رئيس مركز البحوث والدراسات في مبرة الآل والأصحاب، الذي لم يأل جهدا في مراجعة البحث ونقد العمل بما نفعني كثيرا، جزاه الله خيرا. وكذلك الأستاذ الفاضل الشيخ محمد القيسي القحطاني، الخبير بتراجم وأخبار آل البيت، فقد أفادني بالعديد من التراجم. بارك الله فيه.

---

[١] "الجامع الكافي" (١/١٠٥).

وأختم مقدمتي هذه بأن تراث آل البيت ملك للأمة جمعاء، وليس خاصا بالمذهب الزيدي، وقد أخرج كثير من الباحثين والمحققين كتبا زيدية تخالف ما هم عليه، ولكنهم فعلوا ذلك خدمة للعلم، والله الموفق والهادي إلى الصراط المستقيم.

كتبه الحسن بن علي بن محمد المنتصر بالله الكتاني الإدريسي الحسني في الهرهورة القريبة من رباط الفتح، قاعدة المغرب الأقصى، في ٤ محرم الحرام سنة ١٤٤٤ هـ.

باب في التوحيد

قال محمد في كتاب "التوحيد والجملة": الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الدائم بلا أمد، الأول قبل كل أول بلا بداية، والآخر بعد كل آخر بلا غاية[1]، المتعالي عن شبه خلقه، الذي لا يبلغ الواصفون وصفه، ولا يدرك الطالبون من نعته إلا ما أخبر به عن نفسه، الظاهر الباطن الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

إن الله جل ثناؤه، وتعالى ذكره، وتباركت وتقدست أسماؤه، ندب جميع خلقه إلى معرفته وتوحيده والإيمان به، بما بين من حججه، وأوضح من بيناته، وأظهر من دلائله في خلقه وآياته، على أنه المالك المبتدع، الخالق لجميع الأشياء لا من شيء خلقها وهو الصانع القدير، فقال سبحانه: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[فصلت:٥٣] وقال: {أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ}[الأعراف:١٨٥] وقال: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ}[الروم:٢٢] وقال:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ}[الروم:٢٠] وقال: {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً}[الروم:٢٤] الآية، وقال: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ} الآية [الروم:٢٥].

وإنما أجابت الرسل-صلوات الله عليهم- عندما سئلت عن الله بالدلالة عليه، فشهدت له بالوحدانية، ووصفته بالقدرة والتدبير، وأوجبت بذلك على من أرسلها الله إليه معرفة الله وتوحيده والإيمان به، أنه إله واحد، خالق ليس كمثله

[1] في (ج): بلا نهاية.

شيء، وإنما أجابت الرسل -عليهم السلام- بغاية الحجة على من سألها بما بين الله لها، وأنزل في كتبه إليها، لم تعدد ذلك إلى غيره، ولن تكون الحجة أبلغ على الدلالة على الله من حجج أنبياء الله التي أبلغتها عن الله خلقه، ولا أهدى لهم إن قبلوها، قال الله تبارك وتعالى: {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} [إبراهيم: ١٠] وقال إبراهيم في محاجته قومه ودعائه إياهم إلى الله وتعريفه إياهم رب العالمين: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ، أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ، فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ} [الشعراء:٧٥-٧٨] إلى قوله: {وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ} [الشعراء:٨١] فدلهم عليه لا شريك له بالقدرة والتدبير.

وقال موسى [عليه السلام][1] عند مسألة فرعون إياه إذ يقول: {فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى} {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى، قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى، قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى} [طه:٥٠-٥٢] الآية.

وقال فرعون أيضاً: {وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ}؟

قال موسى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ} [الشعراء:٢٤] و{قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} [الشعراء:٢٨]. فلم يتعد موسى من الجواب عند مسألة فرعون إياه غير ما أنبأه الله به في الكتاب، وفرعون اللعين أعمى العمين، وأعتى العاتين، وأخبث المتعنتين، أجابه موسى -عليه السلام- عن الله جل وعز بالدلالة من خلق الله عليه.

وكذلك نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم [١٣٢] حين سأله قومه عن الله سبحانه إذ يقولون من يعيدنا؟ فأمره الله بالجواب لهم: {قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الإسراء:٥١] وقال لا شريك له: {أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا

---

[1] موجود في (ج).

هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ، وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ}[يس:٧٧،٧٨] وقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ}[يس:٧٩،٨٠] فلم يكلف الله نبينا[صلى الله عليه وآله][1] من الحجة والجواب غير ما قال له في الكتاب.

وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له قومه: أنسب لنا ربك، فأنزل الله جبريل [عليه السلام][2] بسورة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}[الإخلاص:١].[3] فليس له شبيه ولا عدد، ولا كمثله شيء، وقد أوضح الله حجته على خلقه فيما جعل فيهم من تركيب الخلق وآثار الصنعة، والتجزئة والتأليف، واختلاف الحواس، وقوام بعضها ب[4]بعض، وإدراك بعضها ما لم يدركه بعض، إذ خلقها سبحانه كذلك، وجعلها تقوم بجزئين متباينين نفس وجسد، ثم ألف بينهما بلطف تدبيره، وأحكم تركيبهما بحسن تصويره، فجعلها شخصاً واحداً، مكملاً محتملاً للزيادة والنقصان، عالماً بنفسه، عاجزاً عن اجتلاب محابه ودفع مضاره، فمن كان بهذه الصفة والمنزلة علم علماً يقيناً، واجباً اضطراراً، أنه مبتدع مصنوع، مملوك مملوكة عليه أموره، وأن صانعه غيره، وأن صانعه باين عن جميع صفاته، فيقر له بالصنعة والتصديق، فكذلك الخالق العليم غير محدود، يدرك بالآيات فيوحد.

---

[1] موجود في (ج).

[2] موجود في (ج).

[3] رواه الترمذي (٣٣٦٤)، وأحمد (٢١٢١٩)، والحاكم (٣٩٨٧)، والبيهقي في "الشعب" (١٠٠)، وابن خزيمة في "التوحيد" (٩٥/١)، وأبو الشيخ في "العظمة" (٨٨) من طريق أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي العَالِيَةِ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: " أَنَّ المُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ)"
وهذا إسناد ضعيف، أبو جعفر الرازي - واسمه عيسى بن أبي عيسى ماهان - ضعيف الحديث، قال أحمد والنسائي: ليس بالقوى. وقال ابن المدينى: ثقة كان يخلط.
"ميزان الاعتدال" (٣٢٠/٣).
وفيه علة أخرى، وهي الإرسال، فقد رواه الترمذي عقب هذه الرواية (٣٣٦٥) من طريق عُبَيْد اللَّهِ بْن مُوسَى، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ، عَنِ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي العَالِيَةِ، به مرسلا، وقال الترمذي: " وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَهَذَا أَصَحُّ." وقد حسنه الحافظ في "الفتح (٣٥٦/١٣) لأجل تعدد طرقه، وكثرة مخارجه: حسنه الحافظ ابن حجر - كما تقدم - وكذا حسنه السيوطي في "الدر المنثور" (٦٦٩/٨)، وكذا الألباني في "صحيح الترمذي". وهو حديث مشهور متداول في كتب أئمة السنة.

وقال محمد في "المسائل": وإن قال قائل بأي شيء عرفت الله؟ فقل: عرفته بما دل على نفسه من القدرة وأثر الصنعة، وحسن التدبير في خلقه، وأنه جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ندب جميع خلقه إلى معرفته وتوحيده، والإيمان به بما بين من حججه وأوضح من بيناته، وأظهر من دلائله في خلقه وآياته، على أنه الملك المبتدع الخالق لجميع الأشياء، لا من شيء خلقها وهو الصانع القدير. وذكر مثلما تقدم ذكره في "الجملة".

وإن قال قائل: بأي شيء عرفت محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ونبوته؟ فقل: عرفته بالآيات التي كان يأتي بها يبهر بها عقول العلماء والناس أجمعين، وبإخباره بالغيوب التي يتتبعها أعداؤه فيجدونها حقاً، وإخباره عن الأمم الماضية السالفة وإثباتها، وأحوال الأمم من أنبيائهم، فيتعقب ذلك الأحبار وأهل الدراسة للكتب فيجدونها حقاً، وقوله لا شريك له في المنافقين: {تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ} [البقرة:٢٧٣] {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} [محمد: ٣٠] كان رجل يظهر الإيمان ويبطن الكفر والنفاق في قلبه، فيخبره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما أخفى في قلبه وأسر في نفسه وإن لم يتكلم. وهذا أمر عظيم من آيات الأنبياء.

وبإخباره عن الفتوح التي كان يفتتحها قبل أن يفتتحها، فيجدون ذلك حقاً، وقوله لعمه العباس حين أسر: "افد نفسك وابن أخيك"، فقال: ما لي شيء أفدي به نفسي وابن أخي، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل-زوجته-؟"، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة، والعباس وأم الفضل بمكة، فلم يجد العباس بداً من تصديقه والإقرار بما قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مع ما نور الله قلبه، فقال: "أشهد أنه ما أطلعك على

هذا إلا رب السماوات، ما اطلع عليه أحد إلا أم الفضل، أشهد ألا إله إلا الله وأنك رسول الله"[١]. فهذه من علامات الأنبياء.

ومثل هذا لا يحصى من إخباره عن الغيوب والآيات التي لا يأتي أحد بمثلها، وألزم الله جميع الأمم الإقرار بالرسل وتصديقها، وقبول ما جاءت به، ثم أخبرنا الله في القرآن بقصة محمد صلى الله عليه وآله واسمه ونعته وإلزام قبول ما[١٣٣] جاء به، فقال تبارك وتعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}[الفتح:٢٩] وقال: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}[التوبة:١٢٨] وبشارة عيسى به -عليهما السلام- إذ يقول: {وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}[الصف:٦] وقوله: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ}الآية[الأحزاب:٧] وقوله تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[الأعراف:٥٧،٥٦] مع آي كثير أنزلها الله تعالى في القرآن بتثبيت نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتأكيد حقه، ومن عظيم آياته القرآن الذي جاء به من عند رب العالمين، لا يقدر إنس ولا جان على أن يأتوا بمثله ولا بسورة [أو بعضها][٢].

---

[١] رواه أحمد في "المسند" (٣٣٠٠) وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على الكتاب.
[٢]موجود في (ج).

باب في نفي التشبيه والتجسيم[1]

قال محمد في "كتاب أحمد بن عيسى عليه السلام": حدثني علي بن أحمد، عن أبيه أنه كان ينفي التشبيه، ويقول هو عز وجل موجود بكل مكان بلا كيفية، وقال: وكل شيء في القرآن، وجاء ربك ويأتي ربك وأشباه هذا، فمعناه جاء أمر ربك ويأتي أمر ربك.

قال محمد: وسئل أحمد عن العرش فقال: وما ننكر أن يكون الله عز وجل خلق العرش ليتعبد به الخلق كما تعبدهم بنصره، فقال: {إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ ينصُرْكُمْ} [محمد:٧] وقد كان غنياً عن نصرهم، وإنما أمرهم به ليتعبدهم به فتعبد الخلق بالإيمان بعرشه.

وفي رواية محمد بن فرات: من غير كينونة منه عليه دون غيره، وهو بكل مكان موجود، وعلى كل نفس رقيب، وبكل شيء محيط {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} [المجادلة:٧] {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} [الأنعام:٣].

---

[1] روى الكليني في "الكافي" (١/٢٤٧ رقم ٢٧٤) وابن بابويه في "التوحيد" (ص ٢٠٢ رقم ١٥) عن العبّاس بن معروف عن ابن أبي نجران عن حمّاد بن عثمان عن عبد الرّحيم بن عتيك القصير قال كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد اللّه جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام: أنّ قوما بالعراق يصفون اللّه بالصّورة وبالتّخطيط فإن رأيت جعلني اللّه فداك أن تكتب إليّ بالمذهب الصّحيح من التّوحيد فكتب إليّ سألت رحمك اللّه عن التّوحيد وما ذهب إليه من قبلك.
فتعالى اللّه الّذي ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير تعالى عمّا يصفه الواصفون المشبّهون اللّه بخلقه المفترون على اللّه فاعلم رحمك اللّه أنّ المذهب الصّحيح في التّوحيد ما نزل به القرآن من صفات اللّه جلّ وعزّ فانف عن اللّه تعالى البطلان والتّشبيه فلا نفي ولا تشبيه هو اللّه الثّابت الموجود تعالى اللّه عمّا يصفه الواصفون ولا تعدوا القرآن فتضلّوا بعد البيان.
وروى الكليني في "الكافي" (١/٢٥٠ رقم ٢٧٦) عن عَلِي بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّد بْن الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ بِشْرٍ الْبَرْقِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ عَامِرٍ الْقَصَبَانِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هَارُونُ بْنُ الْجَهْمِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ: عَنْ **عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ** عليهما السلام، قَالَ: قَالَ: «لَوِ اجْتَمَعَ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَصِفُوا اللهَ بِعَظَمَتِهِ، لَمْ يَقْدِرُوا».
وروى الكليني في "الكتفي" (١/٢٥١ رقم ٢٧٨) عن سَهْلٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسى، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ، قَالَ :كَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ **مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ** عليهما السلام إِلى أَبِي: «أَنَّ اللهَ أَعْلى وَأَجَلُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُبْلَغَ كُنْهُ صِفَتِهِ؛ فَصِفُوهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَكُفُّوا عَمَّا سِوى ذلِكَ».
وروى (١/٢٥١ رقم ٢٧٩) عن سَهْلٌ، عَنِ السِّنْدِيِّ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ حَفْصٍ أَخِي مُرَازِمٍ، عَنِ الْمُفَضَّلِ، قَالَ: سألت أَبَا الْحَسَنِ **موسى بن جعفر** عليه السلام عَنْ شَيْءٍ مِنَ الصِّفَةِ، فَقَالَ: «لَا تَجَاوَزْ مَا فِي الْقُرْآنِ ».

قال محمد: قلت لأحمد ما معنى قوله: "إن الصدقة تقع بيمين الله"[١]؟ قال: بقبول الله[٢].

قال محمد في "الجملة": سألت أحمد بن عيسى عن هذا الحديث، يعني قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشية عرفه: "إنه إذا كان في هذه العشية هبط الله سبحانه إلى سماء الدنيا"، فقال أحمد: إن الله سبحانه أعظم من أن يزول من مكانه، وهبوطه نظره إلى الشيء[٣].

وحدثنا علي بن محمد، عن ابن هارون، عن سعدان، عن محمد قال: سألت أحمد بن عيسى عما روي: "وكلتا يديه يمين"[٤]، فقال: ملك الله وقدرته، وكان ما روي في هذا يعني من التشبيه[٥] لها عنده معاني ووجوه ليس أنه يكذب بها.

---

[١] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم :- "مَن تصدَّق بعدْل تمرة مِن كَسْب طيِّب - ولا يَصْعد إلى الله إلا الطيِّب - فإن الله يتقبَّلها بيمينه، ثم يربِّيها لصاحبه كما يربِّي أحدكم فلوَّه، حتى تكون مثل الجبل". متفق عليه: البخاري (٦٩٩٣ - ١٣٤٤)، مسلم (١٠١٤).

[٢] في (ج): قبول الله لها.

[٣] هكذا رواه أبو خالد الواسطي في "المجموع الحديثي" (٢٥٧) وعنه محمد بن منصور المرادي في "أمالي أحمد بن عيسى" (١١١٤) عن **زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام** قال: "لما كان عشية عرفة ورسول الله صلى الله عليه وآله واقف أقبل على الناس بوجهه، فقال: "مرحبا بوفد الله ثلاث مرات الذين إذا سألوا الله أعطاهم ويخلف عليهم نفقاتهم في الدنيا ويجعل لهم في الآخرة مكان كل درهم ألفا الا أبشركم، قالوا بلا يا رسول الله، قال فإنه إذا كان في هذه العشية هبط الله سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا ثم أمر الله ملائكته فيهبطون إلى الأرض فلو طرحت إبرة لم تسقط الا على رأس ملك، ثم يقول سبحانه وتعالى يا ملائكتي انظروا إلى عبادي شعثا غبرا قد جاؤوني من أطراف الأرض هل تسمعون ما قالوا، قالوا يسألونك اي رب المغفرة، قال: أشهدكم اني قد غفرت لهم ثلاث مرات فأفيضوا من موقفكم مغفورا لكم ما قد سلف.

قال زيد بن علي عليه السلام: إن الله عز وجل أعظم من أن يزول ولكن هبوطه نظره سبحانه وتعالى إلى الشيء، وفي "أمالي أحمد بن عيسى" (١١١٤) جعل هذه العبارة من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ورواه المرشد بالله الشجري في "الأمالي الخميسية" (١١٦٠) عن إبراهيم بن عبيد الله بن العلاء عن أبيه عن زيد بن علي به، وفي آخره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الله أعظم من أن ينزل من مكانه، ولكن نظره إلى الشيء نزول منه". وهذه الأسانيد موضوعة، واختلاف الروايات دليل على أن تأويل النزول لا يصح لا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن زيد بن علي، رحمه الله. ولكنه من قول أحمد بن عيسى كما هو هنا.

وروى ابن بابويه في "التوحيد" (ص ٢٤٨) بسنده: قال السائل: فتقول: إنه ينزل إلى السماء الدنيا؟ **قال أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام**: نقول: ذلك لأن الروايات قد صحت به والأخبار، قال السائل: فإذا نزل أليس قد حال عن العرش؟ وحؤوله عن العرش صفة حدثت، قال أبو عبد الله عليه السلام: ليس ذلك منه على ما يوجد من المخلوق الذي ينتقل باختلاف الحال عليه والملالة والسأمة وناقل ينقله ويحوله من حال إلى حال، بل هو تبارك وتعالى لا يحدث عليه الحال ولا يجري عليه الحدوث فلا يكون نزلوه كنزول المخلوق الذي متى تنحى عن مكان إلى مكان خلا منه المكان الأول ، ولكنه ينزل إلى السماء الدنيا بغير معاناة وحركة فيكون كما هو في السماء السابعة على العرش كذلك هو في السماء الدنيا ، إنما يكشف عن عظمته ويرى أولياءه نفسه حيث شاء ويكشف ما شاء من قدرته ، ومنظره في القرب والبعد سواء.

[٤] عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل – وكلتا يديه يمين – الذين يعدِلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا". أخرجه مسلم (١٨٢٧).

[٥] في (ج): من التشبيه.

قال محمد: كان أحمد بن عيسى ينفي التشبيه والحدود والنهاية ويقول: هو عز وجل موجود بكل مكان بلا كيفية.

قال أحمد: وأخبرني حاضر بن إبراهيم أن سليمان بن جرير[١]، وهشام بن الحكم اجتمعا في بيت حاضر، فثبت هشام التشبيه والحدود لله جل وعز، ونفى سليمان حتى قال له سليمان: ذكر هو أو أنثى؟

قال: ذكر، فسأله عن صفات الذكر، فجبن هشام فسكت ولم يجب.

قال محمد في "كتاب أحمد": قال القاسم بن إبراهيم في قوله جل وعز: {وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا} [الزمر:٦٩] قال: بنور عدل ربها[٢]، قال: وقوله: {وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمر:٦٧] فإنما يريد الله سبحانه وتعالى قدرته عليهن[٣].

قال القاسم فيما وجدته بخط أحمد بن بشار الثوري [١٣٤]: وكان ثقة فاضلاً.

عن محمد بن منصور، عن القاسم بن إبراهيم أنه قال: كيف يكون بالله موقناً أو عند الله مؤمناً من نسب لله سبحانه بصورة آدم، بما فيه من صورة الشعر واللحم والدم وهم أصحاب هشام وسالم[٤]؟ أم كيف يكون مؤمناً من يقول بقول ابن

---

[١] هو سليمان بن جرير الزيدي، يقال إنه كان من أصحاب الصادق أول أمره، وزعم أن الأمة تركت الأصلح في البيعة للشيخين؛ لأن عليًا أولى بالإمامة منهما، إلا أن الخطأ في بيعتهما لم يوجب كفرًا ولا فسقًا، كما كفَّر سليمان بن جرير عثمان، وعائشة، والزبير، وطلحة رضي الله عنهم. انظر: "الفرق بين الفرق" (ص٢٣)، "الملل والنحل" (ص١٠٤). قال أبو نصر البخاري: هرب إدريس بن عبد الله إلى بلد فاس وطنجة مع مولاه راشد، ودعاهم إلى الدين فأجابوه، وملكوه، فاغتم الرشيد بذلك حتى امتنع من النوم ودعا سليمان بن جرير متكلم الزيدية وأعطاه سماً فذهب سليمان إلى إدريس متوسماً بالمذهب فسرَّ به إدريس بن عبد الله، ثُمَّ طلب منه غرة ووجد خلوة من مولاه راشد فسقاه السم وهرب فخرج راشد خلفه فضربه على وجهه ضربَة منكرة وعاد وقد مضى إدريس لسبيله. وقد نزَّه بعض العلماء سليمان بن جرير من هذه القضية وحكى قصة، والله أعلم. راجع: "مطلع البدور" (٣٥٠/٢).

[٢] "أمالي أحمد بن عيسى" (١١٩/٤) لكن فيه قال: بربها.

[٣] نفس المصدر.

[٤] الصواب أنه هشام بن سالم، وهو هشام بن سالم الجواليقي، والجواليقي نسبة إلى بيع الجواليق، جمع جولق وهو وعاء معروف يُعمل من صوف لحمل الأمتعة، والنسبة إلى الجواليق باعتبار بيعها أو صنعها، والعلاّف بفتح العين وتشديد اللام: بائع علف الماشية. اتفقت الشيعة على مدحه وتوثيقه، وقد نصّ على ذلك جمعٌ من الرافضة مثل: الكشي في "رجاله" (ص٢٣٨ ترجمة رقم ١٣٢)، والنجاشي في "رجاله" (ص٣٠٥)، الخوئي في "معجم رجال الحديث" (ج١٩ ص٢٩٧ ترجمة رقم ١٣٣٣٢)، وإليه تُنسب الفرقة الهاشمية بالاشتراك مع هشام بن الحكم المتكلم الشيعي، وهو ممن نسج على منواله في التجسيم والتشبيه، حيث وصف الله تبارك وتعالى بأنه على صورة إنسان أعلاه مجوّف وأسفله مصمت، وأنه لا يعلم بالأشياء إلا بعد حدوثها أو ما يسمّى عند الرافضة بالبداء.

الحكم[1] وهو يقول: إن الله نور من الأنوار، وأنه سبحانه جثة مسدسة المقدار، يعلم بالحركات ويخف في الأماكن، ويتنقل وتبدو له البدوات وتخلق منه السماوات؛ لأنهم يزعمون أنه على العرش دون ما سواه، وأنه لا يبصر ما حجبته عنه الحجب ولا يراه، ويدنو لما يدنو له من الأشياء بالمشاهدة وينأى عما نأى عنه بالمباعدة، والله سبحانه يقول فيما وصف به نفسه لعباده {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المجادلة:٦]، وقال: {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [الحج:١٧]، {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق:١٦] وقال سبحانه: {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} [الأنعام:٣] مع ما بين سبحانه في غير هذا من بعده عن شبه الأشياء من النور وغيره من قوله: {لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام:١٠٣].

وقوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى:١١] وقوله: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص:٤] فهو المثل والند فلو كان سبحانه كما قال هشام وأصحابه نوراً وجسماً، أو كما قال ابن سالم لحماً أو دماً لكانت أكفاؤه كثيرة؛ لأن الأنوار في نوريتها متكافئة، والأجسام في جسميتها متساوية، وكذلك تكافئ اللحم والدم يكافئ الجسمية، ولو كان كما قال أصحاب النور نوراً محسوساً لكانت له الظلمة ضداً ملموساً، ولو كان ذلك كذلك لوقع بينهما ما يقع بين الأضداد من التغالب والفساد، فسبحان من ليس له ند يكافئه ولا ضد يناوئه.

---

[1] هو هشام بن الحكم الرافضي الإمامي. وهو هشامٌ بنُ الحكمِ الكوفيّ البغداديّ، أبو محمّدٍ، مولى كندةَ ومولى بني شيبانَ، مولدُه بالكوفةِ، ومنشأهُ بواسط، وتجارتُه ببغداد، ثمّ إنتقلَ إليها في أواخرِ عمرِه، وتوفّيَ سنةَ ١٩٩هـ. وإليه تُنسب الفرقة الهاشمية بالاشتراك مع هشام بن سالم المتكلم الشيعي آنف الذكر، وهو ممن نسج على منواله في التجسيم والتشبيه، حيث وصف الله تبارك وتعالى بأنه على صورة إنسان أعلاه مجوّف وأسفله مصمت، وأنه لا يعلم بالأشياء إلا بعد حدوثها أو ما يسمّى عند الرافضة بالبداء. يقول عبد القاهر البغدادي: "زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه.." [الفرق بين الفرق: ص٦٥]. ويقول: إن هشام بن سالم الجواليقي مفرط في التجسيم والتشبيه لأنه زعم أن معبوده على صورة الإنسان.. وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان [الفرق بين الفرق: ص٦٨-٦٩]، ويذكر أبو الحسن الأشعري في "مقالات الإسلاميين" أنّ أوائل الإمامية كانوا مُجسّمة، ثم بيّن مذاهبهم في التّجسيم، ونقل بعض أقوالهم في ذلك، إلا أنّه يقول بأنّه قد عدل عنه قوم من متأخّريهم إلى التّعطيل، وذلك لما تبنوا مذهب الاعتزال كما تقدم في مقدمتي. [انظر: مقالات الإسلاميّين: ١٠٦/١ ـ ١٠٩].

وقال الحسن بن يحيى: أجمع علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على نفي التشبيه عن الله سبحانه، وأنه الواحد الذي ليس كمثله شيء، ولا تدركه الأبصار، تعالى عن الصفات، والأشباه والأنداد، والنظراء.

قال الحسن: وسألت عن صفات الله سبحانه فإن الله لم يزل سميعاً بصيراً ، عزيزاً حكيماً، عالماً قديراً، التام بجميع صفاته التي وصف بها نفسه قبل أن يخلق الخلق وبعدما خلقهم، لم يزده خلقه لهم في صفته إلا بتلاوة ما عرفهم من عظمة جلاله، ولم تنقص صفته بعد فناء الخلق فتبارك الله أحسن الخالقين، تبارك وتعالى عن أن يدركه الواصفون إلا بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تشبيه ولا تناهي، فجميع الأشياء شاهدة له بالوحدانية، وخاضعة مستكينة لعز جلاله، فتبارك الله الذي ليس له نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل محدود، فسبحانه الذي ليس له أول مبتدأ ولا غاية منتهى، ولا آخر يفنى.

هو كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته حد الأشياء كلها عند خلقه إياها إبانة له من شبهها، وإبانة لها منه فلم يحلل بها، فيقال هو فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن، ولم يخل منها فيقال أين؟ ولكنه سبحانه أحاط بها علمه، وأتقنها صنعه، ودللها أمره، وأحصاها حفظه، فلم يعزب عنه خفيات غيوب الهوى ولا غامض سائر مكنون ظلم الدجى، ولا ما في السماوات العلى وما في الأرضين السبع السفلى، لكل شيء منها حافظ ورقيب، وكل شيء منها بكل شيء محيط، والمحيط بما أحاط به منها الله الواحد الأحد الصمد.

وقال الحسن بن علي –صلى الله عليه– في التوحيد: "الحمد لله الأول الكون لم يزل، لم يكن [١٣٥] له أول معلوم ولا آخر منتهى، ولا قبل مدرك ولا بعد محدود، ولا أمد يحيى ولا شخص فيتجزأ، ولا اختلاف صفة فيتناهى، التام

فلا تصف العقول وأوهامها، ولا الفطن وخطراتها، ولا الألباب وأذهانها، ولا الألسن وإطنابها، دركاً بجهدها لنعته فيقول لكينونته متى؟ ولا بدئ مما، ولا ظاهر على ما ولا باطن فيما، ولا تارك فهلا بدأ البدا وكان بدئاً بديعاً ما ابتدأ، وابتدع ما ابتدأ، وفعل ما أراد واستزاد[١]، والحمد لله رب العالمين"[٢].

قال محمد: وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الخالق، فإنه لا يدرك إلا بتصديقه"[٣].

وبلغنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "ملك من الملائكة رجلاه في الأرض السفلى وعاتقه تحت العرش، بعض زوايا العرش على قرن من قرونه، ما بين عاتقه إلى شحمة أذنه مسيرة سبعمائة عام خفقان الطير"[٤].

قال محمد: وحدثنا عبد الله بن أبي زياد، قال حدثنا سيار، قال حدثني جعفر بن سليمان، قال سمعت مالك بن دينار يقول: "بلغنا أن في بعض السماوات ملائكة كلما سبح، منهم ملك وقع من كل تسبيحة ملك قائم يسبح". قال: "وفي

---

[١] في (ب): وأراد ما استزاد.

[٢] رواه ابن بابويه في "التوحيد" (باب التوحيد ونفي التشبيه رقم ٥) وسنده ضعيف، ولا يشبه كلام أهل القرن الأول، بل هو قريب من عبارات المتكلمين ممن برزوا في القرن الثاني فما بعده.

[٣] أخرجه قوام السنة في "الترغيب والترهيب" (٦٧٠) من طريق عبد الحميد الحماني عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أبصر النبي صلى الله عليه وسلم قوماً فقال:" ما لكم؟ قالوا: نتفكر في الخالق. فقال لهم: تفكروا في خلقه ولا تفكروا في الخالق، لا تقدرون قدره ". وخالفه أبو أسامة كما في "الترغيب والترهيب" (٦٧٢) لقوام السنة، ومحمد بن عبيد كما في "الزهد" (٩٤٥) لهناد، فرووه عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا. أخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات" (٦١٨) من طريق محمد بن إسحاق، وأيضا (٨٨٧) من طريق الصاغاني، وأبو الشيخ في "العظمة" (٢١٢/١) من طريق محمد بن يحيى المروزي، ثلاثتهم عن عاصم بن علي عن أبيه عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:" تفكروا في كل شيء، ولا تفكروا في ذات الله "، هكذا موقوفا عليه، وخالفهم محمد بن الوليد الأدمي فرواه عن عاصم عن أبيه عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم.
وأخرجه ابن أبي شيبة في "العرش" (١٦) من طريق خالد بن عبد الله عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس موقوفا عليه.
والراجح الوقف، وهو رواية الجماعة عن عاصم، وقد توبع من خالد بن عبد الله، وقد حسن الذهبي إسناده في "العرش" (١١١)، وجود إسناده ابن حجر في "الفتح(13/383) ". وعلى كلٍ، فالحديث ليس له طريق مرفوع صحيح، لكن مجموع طرقه يشهد أن له أصلا، وقد صح موقوفا عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.
وقد قال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص٢٦١) بعد أن أورد حديث عبد الله بن سلام وحديث ابن عباس وحديث ابن عمر، قال:" وأسانيدها ضعيفة، لكن اجتماعها يكتسب قوة، والمعنى صحيح ".

[٤] عَنْ أنس بن مالك، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، وَعَلَى قَرْنِهِ الْعَرْشُ، وَبَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ خَفَقَانُ الطَّيْرِ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ، يَقُولُ الْمَلَكُ: سُبْحَانَكَ حَيْثُ كُنْتَ". رواه الطبراني في "المعجم الأوسط" (٦٦٩١). إسناده ضعيف، وفي متنه نكارة، والصواب في ذلك ما رواه أبو داود (٤٧٢٧) من حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام". قال عنه الحافظ ابن حجر: وإسناده على شرط الصحيح." فتح الباري" (٦٦٥/٦).
ولذلك قال الألباني عن رواية أنس :منكر بذكر القرن والخفقان . كما في "السلسلة الضعيفة".

بعض السماوات ملك له من العيون مثل عدد الحصا والثرى، وعدد نجوم السماء، ما منها عين إلا وتحتها لسان وشفتان يحمد الله بلغة لا يفقهها صاحبها"[١].

قال محمد: فهذه الملائكة في عظم خلقها، وبعد أقطارها، وكثرة أجزائها ليس من بعوضة أو ذرة إلا في وخلقها معنى خلق هذه الملائكة، إلا أن الله قلل أجزاء البعوضة والذرة وكثر بقدرته ولطيف صنعه أجزاء الملائكة فجزء الذرة أخذ بقسطه من أجزاء الملك الذي عظم الله خلقه في حده، ووزنه وتأليفه، وأثر الصنعة فيه، وذلك دليل على أنهما مصنوعان وصانعهما واحد، آثار الصنعة والخلق فيهما جميعاً قائمة، والقضاء على كل محدود مجزأ مؤلف في صفة ذرة أو دون ذرة، أو أعظم خلقاً من عظماء الملائكة أنه مبتدع مصنوع، لا يجب حكم الإيمان لعبد حتى يؤمن بذلك.

وقد وصف الله نفسه بصفات مدائح وأسمى برهان، لن تزول عن الله سبحانه في حال يدان فيها بإثبات ما أوجب سبحانه ونفي ما أزال، فقال عز وجل: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}[الحشر:٢٢] إلى آخر السورة، وقال: {هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ}[الحديد:٣] وقال: {لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ}[الأنعام:١٠٣] وقال: {الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ}[البقرة:٢٥٥] والقيوم: الدائم الذي لا يزول، وقال: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}يعني عدلاً وشبيهاً، وقال: {فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً–يعني أشباها–وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[البقرة:٢٢] فهو لا شريك له الأحد الواحد، الصمد المتعال بصفاته عن صفات خلقه، الذي لا تدركه الأبصار ولا تبلغه الأوهام، والمحيط بعزه بالأماكن

---

[١] رواه عبد الله بن أحمد في "زوائد الزهد" (ص ٣٢٣) وأبو الشيخ الأصبهاني في "العظمة" (٣٣١) بنفس الإسناد. ولعله من الإسرائيليات.

والأقطار، لا يزول بعظمته من حال إلى حال، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وحدثنا سفيان، عن أبي بكر بن عياش، عن ليث، عن مجاهد قال: جاء يهودي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد: أخبرني عن الله لؤلؤ هو أم زبرجد؟ فأنزل الله تعالى عليه صاعقة فقتلته، ثم أنزل الله سبحانه: {وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} [الرعد:١٣][١].

قال محمد: وسمعت الحسن بن يحيى يذكر عن علي بن أبي طالب – صلى الله عليه– أنه سأله سائل عن الله تبارك وتعالى، [١٣٦] فقال: صف لنا ربنا حتى نزداد به معرفة وله حُباً، فقال على –عليه السلام–: "عليك يا عبد الله بما دل عليه القرآن من صفته وقدمك فيه الرسل بينك وبين معرفته، فأتم به واستعن بنور هدايته، فإنما هي نعمة وحكمة أوتيتها، فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين"[٢]. وذكرنا في الكلام في كتاب "الجملة".

وسئل محمد عن قوله: "خلق الله جنة عدن بيده، وغرس شجرة طوبى بيده"[٣]، و"نظر إلى الجنة وتبسم"[٤]، و"ينزل في ليلة النصف من شعبان إلى

---

[١] رواه ابن جرير الطبري في "جامع البيان" (٢٠٢٦٧) - حدثني المثنى قال: حدثنا إسحاق بن سليمان، عن أبي بكر بن عياش، عن ليث، عن مجاهد قال: جاء يهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أخبرني عن ربّك من أيّ شيء هو، من لؤلؤ أو من ياقوت؟ فجاءت صاعقة فأخذته، فأنـزل الله: (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال) و(٢٠٢٦٨) - حدثني المثنى قال: حدثنا الحماني قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن ليث، عن مجاهد، مثله. و(٢٠٢٦٩) قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا عبد الله بن هاشم قال: حدثنا سيف عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد حدثني من هذا الذي تدعو إليه؟ أياقوت هو؟ أذهب هو؟ أم ما هو؟ قال: فنـزلت على السائل الصاعقة فأحرقته، فأنـزل الله: (ويرسل الصواعق) الآية. وكلها أسانيد ضعيفة.

[٢] رواها أبو طالب الهاروني في "الأمالي الإثنينية" (تيسير المطالب ٢٦١)

[٣] عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ: غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» رواه مسلم برقم (312) ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما من قوله موقوفا عليه قال: (خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وآدم، وجنة عدن، ثم قال لسائر الخلق: كن فكان) رواه الطبري في "جامع البيان" (١٤٥/٢٠) ، والدارمي في "نقضه على المريسي" (ص/٢٦١) ، وأبو الشيخ الأصفهاني في "العظمة" (٥٧٩/٢) ، والآجري في "الشريعة" (رقم/٧٥٠) ، والحاكم في "المستدرك" (٣٤٩/٢) ، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (١٢٦/٢) . جميعهم من طرق عن عُبيد المُكْتِب عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما به. وهذا إسناد صحيح، عبيد هو ابن مهران المكتب الكوفي وثقه النسائي وابن معين، انظر "تهذيب التهذيب" (٦٨/٧). لذلك قال الحاكم بعد إخراجه للأثر: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " انتهى. ووافقه الذهبي. وجاء نحوه أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعن ميسرة ووردان بن خالد وغيرهم من التابعين.

[٤] ورد في ذلك ما رواه قوام السنة في " الترغيب والترهيب " (٨٩٣)، والضياء في " صفة الجنة " (١٤٥)، والثعلبي في " التفسير " (٣١٦/٩)، من طريق عثمان بن أبي مسلم، عن أنس بن مالك قال: " أبطأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلمّا خرج

السماء"[1]، وقوله: "إذا كان يوم القيامة أتى بعرشه إلى بيت المقدس فيجلس عليه، ويحكم بين خلقه ليس بينه وبينهم ترجمان"[2]؟

فقال: أما قوله خلق الله جنة عدن بيده، وغرس شجرة طوبى بيده، فإنما معناه خلق ذلك بقدرته كيف شاء وكما يشاء[3]، وقوله: "نظر إلى الجنة وتبسم"، جل الله وعلى وتقدس عن شبه خلقه، وعن صفات المخلوقين، وقوله: "ينزل الله سبحانه في ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا"، فبلغنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في هذا الحديث: "الله أعظم من أن يزول[4]، ولكن ينزل أمره"[5].

وأما قوله: "إنه يؤتى بعرشه إلى بيت المقدس، ويحكم بين خلقه فالجواب في المسألة التي قبلها كاف عن غيرها"[6].

قلنا: أحبست؟ .."؛ فذكر حديثا طويلاً في فضائل الجمعة، وفيه: "إنّ في الجنّة وادياً، رائحة نبته مسك أبيض، يتنزل الله سبحانه وتعالى كل يوم جمعة، ويضع كرسيَّه فيه، ثم يجاء بمنابر من نور وتوضع خلفه فتحفَّ منه الملائكة ثم يجاء بكرسي من ذهب فيوضع، ثمّ يجيء النبيُّون والصدِّيقون والشهداء والمؤمنون أهل الغرف فيجلسون .ثمّ يتبسم الله سبحانه وتعالى فيقول: أي عبادي سلوا، فيقولون: نسألك رضوانك. فيقول: قد رضيت عنكم".

وعثمان بن أبي مسلم، هو عثمان بن عمير، كما جاء في رواية قوام السنة، وهو متروك، قال البخاري: منكر الحديث ولم يسمع من أنس، وقال أحمد وأبو حاتم: منكر الحديث، وقال الدارقطني: متروك، وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء .ينظر: " تهذيب التهذيب " (١٣٢/٧) فلا يحتج بهذا الحديث في إثبات صفة " الابتسام " لله رب العالمين، فنقف عند ما ثبت من إثبات " الضحك"، ولا نتعداه.

[1] وقال العقيلي – رحمه الله:- وفي النزول في ليلة النصف من شعبان أحاديث فيها لين، والرواية في النزول كل ليلة أحاديث ثابتة صحيحة، فليلة النصف من شعبان داخلة فيها إن شاء الله ".الضعفاء" (٢٩/٣). ونزول الله تعالى إلى السماء الدنيا ليس خاصاً بليلة النصف من شعبان، بل ثبت في الصحيحين وغيرهما نزوله تعالى إلى السماء الدنيا في كل ليلة في الثلث الآخر من الليل، وليلة النصف من شعبان داخلة في هذا العموم .ولهذا لما سئل عبد الله بن المبارك عن نزول الله تعالى ليلة النصف من شعبان قال للسائل: " يا ضعيف! ليلة النصف!؟ ينـزل في كل ليلة ." رواه أبو عثمان الصابوني في " اعتقاد أهل السنة " (رقم ٩٢).

[2] لم أجده بهذا اللفظ، لكن وجدت ما يشبهه عن عدي بن حاتم الطائي، رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمُه اللهُ يومَ القيامةِ، ليس بينه وبينه تَرجمانُ، فينظرُ أيْمنَ منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظرُ أشأَمَ منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظرُ بين يدَيه، فلا يرى إلا النَّارَ تِلقاءَ وجهِه، فاتَّقوا النَّارَ، ولو بشِقِّ تمرةٍ، ولو بكلمةٍ طيِّبةٍ". أخرجه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦) باختلاف يسير .

[3] في (ج): شاء.

[4] في (ج): من أن ينزل.

[5] لم يثبت شيء من هذا عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وتقدم أنه في "أمالي أحمد بن عيسى" (١١١٤) جعل هذه العبارة من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم. ورواه المرشد بالله الشجري في "الأمالي الخميسية" (١١٦٠) عن إبراهيم بن عبيد الله بن العلاء عن أبيه عن زيد بن علي به، وفي آخره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الله أعظم من أن ينزل من مكانه، ولكن نظره إلى الشيء نزول منه". وهذه الأسانيد موضوعة، واختلاف الروايات دليل على أن تأويل النزول لا يصح لا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن زيد بن علي، رحمه الله. وفي " موضوعات ابن الجوزي " ١/ ١٢٣ مرفوعاً بلفظ: " إن نزول الله إلى الشيء إقباله عليه من غير نزول ". قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع لا أصل له ... وقال الإمام الذهبي في " الميزان " ٢/ ٦٢٣: إسناد مظلم، ومتنه مختلق.

[6] في (ج): عن غيره.

قال: وقوله: "خلق الله آدم بيده"[1] يعني خلقه بقدرته لا يكيف ذلك، وقوله: (وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) [الزمر:٦٧]، مطويات بقدرته لا شريك له، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا التفت العبد في صلاته أعرض الله عنه"[2]، قال: أعرض الله عنه برحمته ومغفرته، وقوله في الميت فإنكم إذا وجهتموه للقبلة أقبل الله عليه بوجهه، معناه أقبل الله عليه برحمته.

القول في نفي الرؤية[3]

قال أحمد والقاسم والحسن ومحمد: ليس نرى الله في الدنيا ولا في الآخرة.

وقال أحمد ومحمد في قوله: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} [القيامة:٢٢] قالا: ناعمة، {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:٢٣] تنتظر الثواب من ربها[4].

---

[1] خص الله تعالى آدم عليه السلام ، فخلقه بيديه كما أخبر ، ولم يخلق ذا روحٍ غيره بيديه. قال سبحانه : (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ) (ص:٧٥)، وفي حديث الشفاعة : (أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَلْ تَدْرُونَ بِمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُبْصِرُهُمْ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَتَدْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَى مَا بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ أَبُوكُمْ آدَمُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو **الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ** وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا فَيَقُولُ رَبِّي غَضِبَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَنَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ). الحديث، رواه البخاري (٣٣٤٠) ومسلم (١٩٤).

[2] رواه التِّرمذي؛ برقم: [٢٨٦٣]، وقال حديث: "حسن صحيح." عن الحارث الأشعري رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا...» الحديث، إلى أن قال: «وَإِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَه لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ...» الحديث

[3] روى الإمام اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٨٥٢): أخبرنا علي بن محمد بن أحمد بن بكر، قال :أخبرنا الحسن بن عثمان، قال :ثنا يعقوب بن سفيان، قال :ثنا محمد بن المصفى، قال : ثنا سويد بن عبد العزيز، قال :ثنا عمرو بن خالد، **عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده علي بن أبي طالب** قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " :يرون أهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة ، وذكر ما يعطون , قال :ثم يقول تبارك وتعالى: اكشفوا حجابا فيكشف حجاب ثم حجاب ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك ، وهو قوله تبارك وتعالى (ولدينا مزيد)".
وقال (٨٥٩): ذكره عبد الرحمن (ابن أبي حاتم الرازي) قال: ثنا أبي قال: ثنا علي بن ميسرة الهمذاني، قال :ثنا صالح بن أبي خالد العبدي، عن أبي الأحوص، عن أبي إسحاق الهمداني، عن عمارة بن عبد يقول :سمعت عليا، يقول: "من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته".
وفي "مجموع الإمام زيد" (٥٤٣) حدثني زيد بن علي عن ابيه عن جده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "للشهيد سبع درجات: " فأول درجاته ان يرى منزله من الجنة قبل خروج روحه فيهون عليه ما به. " والثانية " ان تبرز له زوجة من حور الجنة فتقول له ابشر يا ولي الله فوالله ما عند الله خير لك مما عند اهلك*. " والثالثة " إذا خرجت نفسه جاءه خدمه من الجنة فولوا غسله وكفنه وطيبوه من طيب الجنة." والرابعة " ان لا يهون على مسلم خروج نفسه مثل ما يهون على الشهيد.
" والخامسة " ان يبعث يوم القيامة وجروحه تنبعث مسكا فيعرف الشهداء برائحتهم يوم القيامة. " والسادسة " انه ليس احد أقرب منزلا من عرش الرحمن من الشهداء. " والسابعة " ان لهم كل جمعة زورة يزورون الله عزوجل فيحيون بتحية الكرامة ويتحفون بتحف الجنة ثم ينصرفون فيقال هؤلاء زوار الرحمن".

[4] "أمالي أحمد بن عيسى" (٣٠٩/٤) المطبوع باسم "العلوم".

وقال الحسن: "ناظرة تنتظر ثواب ربها"[1].

وقال الحسن: إن الله سبحانه مدح نفسه في كتابه بمدحة وهو حقيق لا تنقطع مدحته في الدنيا ولا في الآخرة، فقال: {لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام:١٠٣] وقال موسى: {رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي} [الأعراف:١٤٣] وما قال الله فهو كما قال.

وقد روي في الحديث أن أهل الجنة تبلغ بهم الكرامة إلى أن ينظروا إلى خالقهم كما ينظر[2] بعضهم بعضاً، والله سبحانه أجل وأعظم من أن تدركه الأبصار، أو تحيط به العقول، أو تقع عليه الأوهام، والأمر في ذلك مردود إلى الله يفعل ما يشاء، ويرى أولياؤه من عظمة نوره وجلال عظمته ما لم تكن أبصارهم تطيق النظر إليه في الدنيا.

وقد روي عن زيد بن علي –عليهما السلام– أنه قال: "إن بين الله سبحانه يوم القيامة وبين أدنى خلقه من ملك مقرب، أو نبي مرسل سبعين ألف حجاب من نور، لن يستطيع أدناهم أن يرفع رأسه إلى أدناها حجاباً من عظمة الله تبارك

---

[1] الظاهر أنه يقصد الحسن بن يحيى، رحمه الله. وقد روي هذا التفسير عن مجاهد بن جبر، رحمه الله. رواه الطبري في تفسيره، قال: قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد {إلى ربها ناظرة} [القيامة:٢٣] قال: تنتظر الثواب من ربها، وفي رواية: قال: تنتظر رزقه وفضله (٥٠٨/٢٣). والثابت عن الحسن البصري ما رواه ابن جرير (٢٧٥٧٦) ورجحه قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، قال: ثنا آدم قال ثنا المبارك عن الحسن، في قوله: (وجوه يومئذ ناضرة) قال: حسنة (إلى ربها ناظرة) قال: "تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق".

[2] في (ج) كما يرى. وأدلة السنة على رؤية الله تعالى يوم القيامة كثيرة جداً، فمنها:

١. ما رواه البخاري (٦٠٨٨) ومسلم (٢٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن ناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله " :هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ " قالوا: لا يا رسول الله. قال: " هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ " قالوا: لا. قال: " فإنكم ترونه كذلك ...الحديث ."

وَفِي رِوَايَة لِلْبُخَارِيِّ (لا تَضَامُّون أَوْ لا تُضَارُّونَ) عَلَى الشَّكّ وَمَعْنَاهُ: لَا يَشْتَبِه عَلَيْكُمْ وَتَرْتَابُونَ فِيهِ فَيُعَارِض بَعْضكُمْ بَعْضًا فِي رُؤْيَته. ولا يلحقكم في رؤيته مشقة أو تعب .وَاَللَّه أَعْلَم. ا.هـ مختصرا من شرح مسلم.

٢. وفي الصحيحين أيضا (خ/ ٦٨٨٣. م / ١٠٠٢) من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته."

والتشبيه الذي في الأحاديث هو تشبيه للرؤية بالرؤية، أي أننا كما نرى الشمس في اليوم الصحو في غاية الوضوح، ولا يحجب أحد رؤيتها عن أحد رغم كثرة الناظرين إليها، وكما نرى القمر مكتملا ليلة البدر وهو في غاية الوضوح، لا يؤثر كثرة الناظرين إليه على وضوح رؤيته فكذلك يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة بهذا الوضوح والجلاء، وليس المقصود من الأحاديث تشبيه المرئي بالمرئي ـ تعالى الله ـ فإن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

٣. وروى البخاري (٤٥٠٠) ومسلم (٦٨٩٠) عن أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن يروا ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن". وقد روى أحاديث الرؤية نحوٌ من ثلاثين صحابيا، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قالها. ونسأله أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم.. آمين .

وتعالى"[١]، وقد قال سبحانه: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} [الشورى:١٠]". والصواب: إذا تأول الناس شيئاً واختلفوا فيه أن يردوا حكمه إلى الله، ولا يتأولوا برأيهم على أهوائهم.

وسئل هل رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربه حين عرج إلى السماء؟ قال: "رأى ربه بقلبه كما يرى الإنسان بقلبه في المنام"[٢].

وقال محمد: إن الله تبارك وتعالى لا تدركه الأبصار، ولا تلحقه الأوهام. قال بعض أهل العلم: إن الله يرى في الآخرة وليس كرؤية المخلوقين للشيء الذي تحويه أبصارهم، ولكن لله خفايا ولطائف يلطف فيها لمن يشاء كما شاء، وسمعنا في قول موسى –عليه السلام– (تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ) [الأعراف:١٤٣]، فإني تبت إليك من مسألتي الرؤية، وأنا أول المؤمنين بأنك لا يراك أحد من خلقك، وروى محمد بإسناده عن مجاهد وأبي العالية والسدي نحو ذلك.

وروي عن علي –صلى الله عليه– في قوله: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس:٢٦] قال: "الزيادة: غرفة من لؤلؤ لها أربعة أبواب"[٣]. وعن مجاهد: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس:٢٦] قال: مثلها، والزيادة:

---

[١] لم أجده عن زيد بن علي، رضي الله عنه، لكن روى الروياني في "مسنده" (١٠٣٨) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " دُونَ اللَّهِ تَعَالَى سَبْعُونَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ، وَمَا يَسْمَعُ مِنْ نَفْسٍ شَيْئًا مِنْ حِسِّ تِلْكَ الْحُجُبِ إِلَّا زَهَقَتْ نَفْسُهَا ". ورواه أبو يعلى الموصلي في "مسنده" (٧٣٥٩) والطبراني في "المعجم الكبير" (٥٦٧١)، قال الهيثمي في "المجمع" (٨٠/١): رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَسَهْلٍ أَيْضًا، وَفِيهِ مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ لَا يُحْتَجُّ بِهِ.

[٢] ثبت هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما بعد ذكره لقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم:١١]، ولقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]: «رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ». أخرجه مسلم، كتاب الإيمان: (٤٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وهذه الرؤية في الدنيا وليست في الآخرة.

[٣]- رواه ابن أبي حاتم الرازي في "تفسيره" (١٠٣٤٢) وابن جرير الطبري في "جامع البيان" (١٧٦٣٤) عن منصور، عن الحكم، عن علي رضي الله عنه: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)، قال: "الزيادة"، غرفة من لؤلؤة واحدةٍ لها أربعة أبواب. قلت: الحكم، هو ابن عتيبة الكندي، والثابت سماعه من التابعين، فإنه ولد سنة ٥٠، ومات سنة ١١٣. فهذا حديث ضعيف لإرساله عن علي، إذ أن الحكم لم يدركه. وقد روى اللالكائي (٨٥٩) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته". وهو صحيح بشواهده.

"المغفرة والرضوان، وخلود في الجنة[1] في نعيم أبداً"[2].

وعن علقمة قال: الزيادة قوله: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} [الأنعام:١٦٠][3].

وعن عائشة قالت: "من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية"[4].

القول في الإيمان وزيادته ونقصانه

قال محمد في "المسائل": قال أحمد بن عيسى الإيمان يزيد وينقص، وأصل الإيمان ثابت -يعني الذي تحل به المناكحة والموارثة-.

قال محمد: وهو قول من رأينا من علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أحمد بن عيسى، وعبد الله بن موسى، والقاسم بن إبراهيم، وغيرهم. **وقال محمد في "كتاب أحمد"**[5]: سألت أحمد بن عيسى عن الإيمان فقال: الإيمان قول وعمل، ثم قال: القول عمل.

---

[1] في (ج): في الجنان.

[2] رواه ابن أبي حاتم الرازي في "تفسيره" (١٠٣٤٣) وابن جرير الطبري في "جامع البيان" (١٧٦٤٠) عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (للذين أحسنوا الحسنى)، مثلها حسنى، " وزيادة "، مغفرة ورضوان.

[3] رواه ابن أبي حاتم في "التفسير"(١٠٣٤٤) وابن جرير في "جامع البيان" (١٧٦٣٨) عن أبي ظبيان، عن علقمة بن قيس: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)، قال قلت: هذه الحسنى، فما الزيادة؟ قال: ألم تر أن الله يقول: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا)؟

[4] رواه البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم، (٤٣٩). وهي، رضي الله عنها، تقصد رؤيته في ليلة الإسراء والمعراج. أما في الآخرة فقد تواترت الأحاديث بأن المؤمنين سيرون ربهم سبحانه وتعالى، والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة لا يمكن ردها. عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ وهي الزيادة ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾. رواه مسلم181) ، وعَنْ جَرِيرٍ بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، قَالَ: "نَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ". رواه البخاري (٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣). وفي رواية عن جرير رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا". رواه البخاري (٧٤٣٥) وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: ((هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟))، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟))، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ))، رواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢). وعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ))، رواه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).

[5] "أمالي أحمد بن عيسى" (٣٠٧/٤) المطبوع باسم "العلوم".

وقال أحمد[1]: الإيمان المعرفة والإقرار، قال الله عز وجل: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى} [الأعراف:١٧٢] وقوله: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [لقمان:٢٥].

قلت: الإيمان يزيد وينقص؟

قال: نعم.

قلت: ما معنى زيادته ونقصانه؟

فذكر الأعمال وزيادة الإيمان بأعمال الطاعة من الصوم، والصلاة، وغيره مما يقرب إلى الله، ونقصانه العمل بالمعصية، وما يباعده من الله عز وجل، وقال بالعون والمن والتوفيق، وشرح الصدر، وشرح فيه شرحاً لم أحفظه، وذكر آية من القرآن.

قال محمد: وحدثني علي بن أحمد، عن أبيه أنه سئل عن الإيمان يزيد وينقص أم هو تام لا ينقص؟

فقال: الإيمان تام في كل الأحوال لا يكون ناقصاً، ولكن يزداد باليقين والإخلاص، على قدر ما يخص بذلك منه، ويزداد بالأعمال والفرائض الواجبة عليه، وهو في كل الأحوال تام لا ينقص، وهو التصديق بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الله سبحانه، والإسلام إقامة ما شرع من شرائع الدين والانقياد له، فهذا معنى الإيمان والإسلام، وهو جملة، ومن الدليل عليه قوله تعالى: {قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}[الحجرات:١٤] وذلك لما أظهروا من التصديق، ولم يكن عليه اعتقاد

---

[1] "أمالي أحمد بن عيسى" (٣٠٨/٤).

يقين وإخلاص، فكان ذلك غير مقبول عند الله، والإسلام ما أقاموا به من شرائع الرب.

وقال الحسن ومحمد: الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.
وقال محمد في موضع آخر: الإيمان يزيد بأعمال الطاعة من أداء الفرائض والسنن، والنوافل، وينقص بالمعاصي، وركوب ما نهى الله عنه.

وقال الحسن أيضاً في رواية ابن صباح عنه، وهو قول محمد في "المسائل": والإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان، وعمل بالجوارح، ولا نقول بقول المرجئة إن الإيمان قول بلا عمل.

قال محمد: سمعنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "لا يقبل الله عز وجل عمل رجل حتى يرضى قوله، ولا يرضى قوله حتى يرضى عمله"[1].

قال الحسن ومحمد: قال الله سبحانه في زيادة الإيمان ونقصانه: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى}[محمد:١٧] وقال: {ازدادوا إيماناً مع إيمانهم}.
قال الحسن: وقال الله عز وجل: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ [١٣٨] فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}[التوبة:١٢٤] وقال: {الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ} إلى قوله: {وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[البقرة:١-٥] وقال: {الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}[التوبة:٧١] الآية، وقال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ إلى قوله: وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}[الأنفال:٢-٤] وقال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ

[1] ورد هذا المعنى عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود والحسن وسعيد بن جبير:
فقد جاء عن هؤلاء قولهم: (لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بقول، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا نية إلا بموافقة السنة).
أثر علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود، أخرجهما ابن بطة في "الإبانة" (١٠٨٩) أثر الحسن أخرجه ابن بطة (١٠٩٠) واللالكائي(18) ، وأثر سعيد بن جبير أخرجه اللالكائي (٢٠). ولم أجد الحديث السابق بتلك الألفاظ.

وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا}الآية[الحجرات:١٥] وقال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ إلى قوله: بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ}[الصف:٢-٤] فأخبرنا الله تعالى أنه يمقت الذين يقولون ما لا يفعلون، فلم يرض الله عز وجل بالقول دون الفعل، بل ذكر أنه يمقت من فعل المؤمن القول بلا فعل، وأن الإيمان بالله هو الطاعة، فأعمل الناس بطاعة الله أحبهم إليه، وأشد الناس حباً لله أكثرهم إيماناً بالله.

وقال فيما شهد به للمؤمنين: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ إلى قوله: وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[البقرة:٢-٥] وقال: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ}[المؤمنون:٢،١]إلى قوله: {أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[المؤمنون:١١،١٠] وهذا وصف الله للمؤمنين وما شهد لهم به من وراثة الجنة والفردوس، شهد للمؤمنين الموصوفين بهذه الصفة بالفلاح، وشهد على من خالف هذه الصفات أنهم عادون، وسلخهم من اسم الإيمان فقال: {وَالْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ}[التوبة:٦٧] يقول: نسوه أن يطيعوه وأن يذكروه كما أمرهم فنسيهم من ثوابه، والنسيان هاهنا الترك، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتقين المطيعين لله ولرسوله برحمته.

وقال الحسن في رواية ابن صباح عنه وهو قول محمد: ويقول إنه من آمن بالله واليوم الآخر وبالرسول، وأقام الصلاة وآتى الزكاة، وصام رمضان، وحج البيت، واغتسل من الجنابة، وأتى بالفرائض كلها، واجتنب ما نهى الله عنه في القرآن من الكبائر، ووالى أولياء الله، وعادى أعداء الله فهو عندنا مؤمن حقاً من أهل الجنة، وهو ولي الله.

قال محمد: ولا تجب الولاية من الله إلا بأداء جميع ما افترض الله عليه من فرائض الدين التي يكون بها مع المتقين.

قال الحسن ومحمد: وقد يكون الرجل مؤمناً حقاً وغيره أكبر إيماناً منه يزداد من المعرفة بالله والعمل بالطاعة، كمعرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعرفة علي، ومعرفة الحسن والحسين -صلى الله عليهم-، فهؤلاء تفاضل معرفتهم بالله، والعمل والطاعة، وكل مؤمن حقاً.

وسئل الحسن ومحمد عمن يقول الإيمان بضع وسبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق وإن لم يكمل فيه هذه الخصال فليس بمؤمن؟ فقالا: الجواب في ذلك على ما وصفنا من المسألة التي قبلها لا يكون ناقص الإيمان إلا بترك أداء واجب أو ركوب ذنب أوجب الله فيه الوعيد، والله عز وجل لا يخلف الميعاد، ولكن قد يتفاضل الإيمان ويزيد وينقص على حسب ما شرحنا في المسألة الأولى من المعرفة والزيادة في أعمال الطاعة.

قال الحسن ومحمد: ومن عمل شيئاً من الكبائر مثل الزنى، وشرب الخمر والسرقة، وأكل مال اليتيم، واليمين الفاجرة، وعقوق الوالدين وما أشبه ذلك، ولم يحل حلال ما في القرآن فيتبعه، ويحرم حرامه فيجتنبه فإنه فاسق لا تحل ولايته وإن كان مؤمناً [١٣٩] به في الجملة. سمعنا أنه ما آمن بالقرآن من لم يحل حلاله ولم يحرم حرامه، وبلغنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "لا يسرق السارق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، ولا يزني الزاني وهو مؤمن"[1].

[1] أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢٤٧٥)، ومسلم في "صحيحه" (٥٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ".
ومثل هذا الحديث في المعنى ما أخرجه أبو داود في "سننه" (٤٦٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: " إذا زَنَى الرَّجُلُ خَرجَ منه الإيمانُ، كان عليه كالظُّلَّة، فإذا أقلَعَ رَجَعَ إليه الإيمان". والحديث صحيح، قال العراقي في "طرح التثريب "(٥٥٩/٧): "إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ "، وصححه ابن حجر في "الفتح" (٦١/١٢).

ومن عمل بالصغائر من الذنوب فإن ذلك لا يخرجه من حد الإيمان بقوله جل وعز: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً}[النساء:٣١] وإذا كان لرجل ولد أو والد أو جار يعلم أنه ترك الصلاة المفروضة متعمداً من غير علة ولا عذر، فينبغي له أن يعظه ويأمره، فإن لم يفعل فليبرأ منه، وكذلك كل قريب وبعيد، وأما إذا كان يصلي وهو جاهل بحدودها ولا يحسن القراءة فليرفق به، وليعلمه حدود الصلاة وما فيها، وليس كالتارك لها المستخف المتعمد لتركها، وليس تجب البراءة من هذا[١]، كما تجب البراءة من المستحل التارك.

وقال الحسن ومحمد: ومن كان عليه حقوق للناس ومظالم، فعليه أن يؤدي ما استطاع من حقه إلى أهله، ويخرج من كل مظلمة لا يجزيه غير ذلك، وما لم يستطع من أداء حق ومظلمة فليتب إلى الله، وليستحل من أمكنه من أهلها، ونرجو أن تكون صلاته وأعمال البر مقبولة إن شاء الله.

وقال الحسن: والإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا، والولاية لعلي، والبراءة من عدوه، وكمال الإسلام والإيمان بالعمل بما دل عليه القرآن من الحلال والحرام.

قال الحسن: ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لزمه اسم الإيمان.

وقال محمد في "المسائل" وهو معنى قول الحسن: والإيمان والإسلام معنيان مفترقان في اللفظ، يعودان إلى معنى واحد، لا يقبل من العبد واحد منهما دون

---

[١] في (ج): وهذا لا تجب البراءة منه.

الآخر، لا يكون مسلماً حتى يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، قال الله تبارك وتعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}[آل عمران:٨٥] وقال: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ}[آل عمران:١٩] وقال: {فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[الذاريات:٣٥،٣٦] وقال إسماعيل وإبراهيم {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ}[البقرة:١٢٨] وقال: {مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِنْ قَبْلُ}[الحج:٧٨] يقول ملة أبيكم إبراهيم الزموها، فالإيمان يزيد وينقص، والأصل ثابت، وهو الذي تحل به المناكحة والموارثة، وهو المعرفة والإقرار بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، وما جاءت به النبيون، قال الله: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى}[البقرة:١٣٦] الآية، ثم قال سبحانه: {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا}[البقرة:١٣٧] فهذا أصل الإيمان الذي تحل به المناكحة والموارثة، وما يوجب الولاية من الله عز وجل.

فإذا اتبع هذا الإيمان بأداء جميع ما افترض الله عليه واجتنب ما نهى الله عنه فأصل الإيمان ثابت، وزيادته بأعمال الطاعات، فإن لم يؤد جميع ما فرض الله عليه فإيمانه غير مقبول منه، وإن كان قد حقن به دمه ووجب له به حكم الموارثة والمناكحة، وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وجوه أنه قال: "من أتى بشهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقام الصلاة ولم يؤد الزكاة لم يقبل الله منه شهادته وصلاته، ومن أتى بالشهادتين وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يصم [أشهر][1] رمضان من غير علة ولا عذر لم يقبل الله شهادته ولا صلاته ولا

---

[1]موجود في (ج).

زكاته، ومن أتى بهذه الأربع الفرائض وأدركته فريضة الحج فلم يحج من غير علة ولا عذر لم يقبل الله منه ما أدى من الفرائض"[1].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله لا يقبل فرائضه بعضها دون بعض"[2]، وإنما يكمل الإيمان بما يثبت في القلب من معرفة الله، والإيمان [١٤٠] بما أمر الله أن يؤمن به، والإقرار باللسان والعمل بالجوارح، وتحليل ما أحل الله وتحريم ما حرم الله.

قال: وسئل عن الإيمان والإسلام ما هما فقال: بلغنا أن جبريل –عليه السلام– أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صورة لم يعرفه فيها فقال: يا رسول الله ما الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "شهادة ألا إله إلا الله، وأني رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام شهر رمضان، الغسل من الجنابة". فقال: يا رسول الله، فإذا فعلت هذه الخصال فأنا مسلم؟ قال: "نعم". قال: صدقت، ثم قال: يا رسول الله: ما الإيمان؟ قال: "الإيمان إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والموت والبعث بعد الموت، والجنة والنار، والقدر خيره وشره وحلوه ومره". قال: يا رسول الله فإذا فعلت هذه الخصال فأنا مؤمن؟ قال: نعم. قال: صدقت، ثم قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟

---

[1] ورُوي قريبا من هذا اللفظ عن عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "الدِّين خمسٌ لا يقبلُ الله منهن شيئاً دون شيء: شهادة أنْ لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً عبدُه ورسوله، وإيمانٌ بالله وملائكته وكتبه ورُسُلِه، وبالجنَّةِ والنارِ، والحياةِ بعدَ الموتِ هذه واحدة، والصلواتُ الخمسُ عمود الدين لا يقبلُ الله الإيمان إلاَّ بالصلاة، والزكاةُ طهور من الذنوب، ولا يقبلُ الله الإيمان ولا الصلاة إلا بالزكاة، فمن فعل هؤلاء، ثم جاء رمضان فتركَ صيامَه متعمداً، لم يقبل الله منه الإيمانَ، ولا الصلاةَ، ولا الزكاة، فمن فعل هؤلاء الأربع، ثُمَّ تيسَّر له الحجّ، فلم يحجّ، ولم يُوص بحجة، ولم يحجَّ عنه بعض أهله، لم يقبل الله منه الأربع التي قبلها". ذكره ابن أبي حاتم في " العلل " ١/٢٩٣-٢٩٤ (٨٧٩) و٢/١٥٦(1962) وقال: سألت أبي عنه فقال: هذا حديث منكر يُحتمل أنَّ هذا من كلام عطاء الخراساني.
وأخرجه أبو نعيم في " الحلية " ٥/٢٠١-٢٠٢ من طريق عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عمر، به. وقال عقبه: "غريب من حديث ابن عمر، بهذا اللفظ". قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في "جامع العلوم والحكم" (١/٥٣_الفحل): " الظاهر أنَّه من تفسيرِهِ لحديث ابنِ عمرَ، وعطاء من جلَّةِ علماءِ الشَّام".

[2] نفس ما سبق ولا يثبت مرفوعا.

قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". قال: يا رسول الله فإذا فعلت هذه الخصال فأنا محسن؟

قال: "نعم". قال: صدقت، ثم مضى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليَّ بالرجل، فطلبناه فلم نلحقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "هذا جبريل أتاكم يخبركم[1] بمعالم دينكم"[2].

وسئل الحسن ومحمد عمن يقول: أنا مؤمن حقاً، ومن يقول أنا مؤمن إن شاء الله، ومن يقول أنا مؤمن لا شك في إيماني، ومن يقول: أنا مؤمن بالله وملائكته [وكتبه][3] ورسله؟

فقال محمد وهو معنى قول الحسن: كل ذلك عندنا صواب كإيمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وحسن وحسين-صلى الله عليهم- وكلهم مؤمن حقاً، وبعضهم أعلى معرفة من بعض، قال الله: {وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً} [الإسراء:٥٥] وكذلك المؤمن قد يكون مؤمناً حقاً وغيره أكمل إيماناً منه.

قال الحسن: فمن قال أنا مؤمن حقاً فقد زكى نفسه وشرطها شديد.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لقي رجلاً فقال: "كيف أصبحت يا جار"؟ فقال: أصبحت مؤمناً حقاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن لكل إيمان حقيقة فما حقيقة إيمانك"؟ فقال: عزفت نفسي عن الدنيا

---

[1] في (ج): ليعلمكم.
[2] هذا حديث جبريل عليه السلام الطويل في الإسلام والإيمان والإحسان، وهذه رواية أبي هريرة، رضي الله عنه في "صحيح البخاري" (٥٠) و (٤٧٧٧)، و"صحيح مسلم" (٩) و(٥) و (٦).
[3] موجود في (ج).

فأظمأت نهاري وأسهرت ليلي، وكأني بعرش ربي بارز، وكأني بأهل الجنة في الجنة يتزاورون، وكأني باهل النار يعذبون، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "يا جار عرفت فالزم".[١]

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لقي في سفره قوماً فقال: "من القوم"؟ فقالو: مؤمنون، فقال: "وما حقيقة إيمانكم"؟ قالوا: الصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضاء بالقضاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "حلماء علماء كادوا من الفقه أن يكونوا أنبياء، إن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون"[٢]. **قال محمد:** ومن قال أنا مؤمن إن شاء الله فليس استثناؤه لشك، ولكن يقول: أنا مؤمن ولي ذنوب.

قال الحسن ومحمد: ومن قال أنا مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد صدق عن نفسه.

---

[١] حديث حارثة المشهور - وقد رُويَ من وجوهٍ مرسلةٍ، ورُوي متصلاً، والمرسل أصحُّ كما قال ابن رجب - أنَّ النَّبيَّ - صلى الله عليه وسلم - قال له: ((كيف أصبحت يا حارثة؟)) قال: أصبحتُ مؤمناً حقاً، قال: ((انظر ما تقولُ، فإنَّ لكلِّ قولٍ حقيقةً))، قال: يا رسول الله، عزفَتْ نفسي عن الدُّنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، وكأنِّي أنظرُ إلى عرشِ ربِّي بارزاً، وكأنِّي أنظرُ إلى أهلِ الجنَّةِ في الجَنَّةِ كيف يتزاورونَ فيها، وكأنِّي أنظرُ إلى أهلِ النَّارِ كيف يتعاوَوْنَ فيها. قال: ((أبصرتَ فالزمْ، عبدٌ نوَّرَ الله الإيمانَ في قلبه)). أخرجه: الطبراني في " الكبير " (٣٣٦٧)، والبيهقي في " شُعب الإيمان " (١٠٥٩١)، من حديث الحارث بن مالك، به مرفوعاً، وهو ضعيف. وأخرجه البزار (٣٢)، والبيهقي في " شُعب الإيمان " (١٠٥٩٠) من حديث أنس بن مالك، به مرفوعاً. وهو ضعيف.
أخرجه ابن المبارك في " الزهد " (٣١٤) مرسلاً.

[٢] أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في (حلية الأولياء ج: ٩ ص: ٢٧٩) حدثنا الحسين بن عبد الله بن سعيد ثنا القاضي حمزة بن الحسن ثنا الأشناني ثنا أحمد بن علي الخراز قال سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول سمعت أبا سليمان الداراني يقول حدثني شيخ بساحل دمشق يقال له علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي حدثني أبي عن جدي سويد بن الحارث قال: وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سبعة من قومي فلما دخلنا عليه وكلمناه فأعجبه ما رأى من سمتنا وزينا، فقال: "ما أنتم؟" قلنا: مؤمنين. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: "إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟" قال سويد: فقلنا خمس عشرة خصلة خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها وخمس منها أمرتنا رسلك أن نعمل بها وخمس منها تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها؟"، قلنا: أمرتنا رسلك أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت. قال: "وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها؟"، قلنا: أمرتنا رسلك أن نقول لا إله إلا الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا. قال: "وما الخمس التي تخلقتم بها أنتم في الجاهلية؟"، قلنا: الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والصدق في مواطن اللقاء والرضى بمر القضاء والصبر عند شماتة الأعداء. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " علماء حكماء كادوا من صدقهم أن يكونوا أنبياء ".
قال الإمام الذهبي في معرفة الصحابة (١/ ٢٤٩): إسناده مجهول، وقال في " ميزان الاعتدال " (٥/ ١٣٥) في ترجمة علقمة بن يزيد بن سويد: عن أبيه عن جده: لا يعرف وأتى بخبر منكر فلا يحتج به. ونقله الحافظ ابن حجر في " اللسان "(٤/ ٢٢٩) ولم يتعقبه. فالحديث منكر لتفرد هذا المجهول به.

قال الحسن: إلا أن الإيمان قول وعمل فإذا وافق القول العمل بالطاعة فهو مؤمن حقاً، ومن أدى ما افترض الله عليه واجتنب ما نهى الله عنه فلا يقول أنا مستوجب للجنة جزماً؛ لأنه لا يدري بأي شيء يختم عمله، ولكن يقول إن مت على ذلك فأنا مؤمن مستحق للجنة.

مسألة في الإرجاء

قال محمد[١]: وسألت عن الإرجاء فإن فرقة من أهل البدع منهم عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة[٢] تخلفوا عن نصرة أمير المؤمنين، وضيعوا ما فرض الله عليهم من نصرة إمامهم، وأرجَوْا معاونته على الفئة الباغية، وخالفوا قول الله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} [الحجرات:٩].

---

[١] قال الحسن: نسخه (ب) و(ج).

[٢] هذه كلمة فجة، لا يقال مثلها لهؤلاء الصحابة الكرام، وهؤلاء من خيرة أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولم يتخلفوا عن نصرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، تقاعسا عن الحق، بل ورعا عن الخوض في الدماء، وللأحاديث الصريحة في النهي عن الخوض في الفتن. فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر بلزوم البيوت عند كثرة الفتن واشتدادها وخاصة لمن لم يتبين له الأمر.

فروى أبو داود (٤٢٥٩) ، والترمذي (٢٢٠٤) وحسنه ، وابن ماجة (٣٩٦١) عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : (إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ، فَإِنْ دُخِلَ - يَعْنِي - عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ).

وفي لفظ لأبي داود (٤٢٦٣): (إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي)، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: (كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ)."

ولفظ الترمذي: (كَسِّرُوا فِيهَا قَسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا فِيهَا أَوْتَارَكُمْ، وَالزَمُوا فِيهَا أَجْوَافَ بُيُوتِكُمْ، وَكُونُوا كَابْنِ آدَمَ). وفي "المعجم الكبير" للطبراني (1/ 143)(٣١٩): حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ الطُّوسِيُّ، حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الضَّحَّاكِ الْحِزَامِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ حِينَ اخْتَلَفَ الْحَكَمَانِ، فَقَالَ: «قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ فَعَصَيْتُمُونِي» فَقَامَ إِلَيْهِ فَتًى آدَمُ فَقَالَ: إِنَّكَ وَاللهِ مَا نَهَيْتَنَا، وَلَكِنَّكَ أَمَرْتَنَا وَدمَّرْتَنَا، فَلَمَّا كَانَ فِيهَا مَا تَكْرَهُ بَرَّأْتَ نَفْسَكَ، وَنَحَلْتَنَا ذَنْبَكَ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَمَا أَنْتَ وَهَذَا الْكَلَامُ قَبَّحَكَ اللهُ، وَاللهِ لَقَدْ كَانَتِ الْجَمَاعَةُ فَكُنْتَ فِيهَا خَامِلًا، فَلَمَّا ظَهَرَتِ الْفِتْنَةُ نَجَّمْتَ فِيهَا نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزَةِ» ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «لِلَّهِ مَنْزِلٌ نَزَلَهُ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، وَاللهِ لَئِنْ كَانَ ذَنْبًا إِنَّهُ لَصَغِيرٌ مَغْفُورٌ، وَلَئِنْ كَانَ حَسَنًا إِنَّهُ لَعَظِيمٌ مَشْكُورٌ».

فلاهم حضروا، كما أمرهم الله، حتى يصلحوا بين المؤمنين ويقاتلوا الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله، فهؤلاء النفر ومن كان قبلهم ممن تقدم على علي، صلى الله عليه، وخالف أمره، أئمة المرجئة[١].

وإن زعموا هم ومن اتبعهم لما لزمهم من الحجة [١٤١] في تضييع الفرض أن الإيمان قول بلا عمل، وأن إمامة الفجار جائزة، وأن قتال أئمة الكفر ومن ينتحل الإسلام [عنهم][٢] ساقطة، لما افترض الله عليهم، حتى توافت بهم البدع والضلالة إلى أن زعموا أن الرجل من أهل الإسلام لو قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس، ونكح أمه وابنته وأخته، وسعى في الأرض فساداً، وتعدى حدود الله لكان مؤمناً على إيمان جبريل وميكائيل، وهذا القول من شر ما انتحل المبطلون[٣]، وهم بهذه المقالة شركا في دم كل مؤمن قتل على وجه الأرض.

وذلك لأنه انتهى الخبر إلينا عن علي –صلى الله عليه– أنه قال: "ألا إن عاقر ناقة ثمود كان واحداً وشرَّكهُ الباقون في قتلها بالنية فنزل بهم العذاب جميعاً، قال الله تعالى: {فَتَعَاطَى فَعَقَرَ} [القمر:٢٩] {فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا، وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس:١٤،١٥] ألا ومن زعم أن قاتلي مؤمن فقد قتلني، فعلى الأولين منهم والآخرين غضب الله ولعنته"[٤].

[١] حاشى لله أن يكون هؤلاء الخيار من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، رؤوس المرجئة، بل هم أئمة الهدى ورؤوس السنة. عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، رضي الله عنه، قال: "لم يكن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أحذرإذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ألا يزيد فيه ولا ينقص منه، ولا من عبد الله بن عمر"، أخرجه ابن سعد في "الطبقات" (١٠٧/٤). وعن أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه قَالَ: "مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفَدِّي رَجُلاً بَعْدَ سَعْدٍ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: "ارْمِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي"، أخرجه البخاري (٥٨٥٥) ومسلم (٤٥٥٦). على أن سعدا رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة، فعن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيد بن الجراح في الجنة». أخرجه الترمذي (٣٧٤٧) بسند صحيح. أما محمد بن مسلمة رضي الله عنه فقد كان من خيار الصحابة ومناقبه كثيرة وجهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهور معلوم.

[٢] غير موجود في (ج).

1) [٣]) في (ج): أنه.

[٤] "نهج البلاغة " (ص٢٦٨ + ٣١٩)، طبعة صبحي الصالح. برواية قريبة من ذلك.

القول فيمن مات على كبيرة

قال محمد في "كتاب أحمد": سألت أحمد بن عيسى عمن يعمل بمعصية كبيرة مات عليها ولم يتب منها؟ قال: كافر. قلت: في النار؟ قال: في النار[1].

قال محمد: قال أحمد: من عمل بالصغائر من الذنوب دون الكبائر، وقال: هذه مغفورة لي لقوله: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} [النساء:٣١] ولم يتب منها ويستغفر فهي كبائر وهذا مستكبر، وإنما قوله: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ} للهفوة، وللذي يعمل بالشيء ثم يستغفر ويرجع عنه.

وقال محمد في "الجملة": سمعت القاسم بن إبراهيم يقول نحو ذلك، وقال: من عصى الله فقد استكبر على الله، وقال: ليس يعصى الله حتى يستكبر على الله.

قال محمد: قلت لأحمد: الرجل يكون مستوراً ولا يعلم منه موافقة ولا غير ذلك يموت يترحم عليه؟ قال: نعم.

وقال الحسن بن يحيى: وسألت عن قوله: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}[النساء:٤٨] فإن الله عز وجل قد أخبرنا بمشيئته فقال: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً

---

[1] روى محمد بن منصور المرادي في "أمالي أحمد بن عيسى" (٣٩٠_ رأب الصدع) حدّثنا محمد بن راشد الحبال، قال: حدّثنا عيسى بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن علي، عن عَليّ -عليه السلام- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم: "من قرأ في دبر كل صلاة مكتوبة مائة مرّة (قل هو الله أحد) جاز الصراط يوم القيامة، وهو عن يمينه ثمانية أذرع، وعن شماله ثمانية أذرع، وجبريل آخذ بحجزته، وهو مطّلع في النار يميناً وشمالاً، من رأى فيها بذنب غير شرك أخرجه، وله الجنة والشفاعة". وقد أورد المرشد بالله في "الأمالي الخميسية" (١١٤_١١٦) عدة أحاديث مقتضاها أن من مات وهو يشهد ألا إله إلا الله دخل الجنة. ومنه ما رواه أنس رضي الله عنه (١١٦)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من الإيمان، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من الخير". وأصله في "مسند الإمام أحمد" (١٢٤٨٩) عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَيُصِيبَنَّ أَقْوَامًا سَفْعٌ مِنَ النَّارِ عُقُوبَةً بِذُنُوبٍ عَمِلُوهَا، ثُمَّ لَيُدْخِلُهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: الْجَهَنَّمِيُّونَ "، وسنده صحيح، وله روايات كثيرة. قال الإمام ابن الوزير في "العواصم" (٨٠/٨): "فهذا كتاب الزيدية المعتَمَد قديماً وحديثاً، وتقريرهم هذه الرواية، عن عليٍّ عليه السلام وعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُنافي ما عليه جماعة المتكلمين من تنزيه أهل البيت عليهم السلام عن هذا على سبيل القطع، وتضليلِ من قال به، أو رواه عن أحدٍ منهم، لا سيَّما وسندُه عن أهل البيت عن آبائهم ما فيه إلا محمد بن منصور، ومحمد بن راشد من ثقاتِ الشيعة كلاهما. ومما يُوضِّحُ مخالفة أهل البيت للمعتزلة في مسألة الوعيد أن النَّقَلَةَ لمذهبهم في الفروع اتفقوا على أن الإسلام عند أهل البيت وكثيرٍ منهم شرط في وجوب الواجبات الشرعية، كالصلاة والزكاة والحج والصوم، ونقلوا عنهم صحة الصلاة من الفاسق صاحب الكبيرة إذا كان من أهل الشهادتين المصدقين بالله ورسُله، وهذا يستلزم الحكم بأنه مسلمٌ، والمعتزلة تمنع من إطلاق اسم المؤمن على صاحب الكبيرة".

كَرِيماً}[النساء:٣١] وقال: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى}[طه:٨٢] وقال: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}[آل عمران:١٣٥] قال: وسألت عن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمن هي؟ فإن شفاعته لأهل بيته ولمن ودهم، وليس لأحدٍ حادَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته فيها نصيب.

قال محمد في كتاب "الجملة": من تم منه الإقرار وأساء فيما سوى ذلك من الأعمال فما كان من دون الكبائر فقد وعده الله المغفرة لقوله عز وجل: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ}[النساء:٣١] وما كان من الكبائر فهو عندهم في الدنيا على معنى ما قال جل وعز: {وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ}[الأحزاب:٢٤] وذلك في الدنيا أن يميته على نفاقه فيستوجب العذاب، أو يمن عليه بقوله: {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا} فذلك في الدنيا يمن عليه بتوبة فيستوجب بها المغفرة.

وقال محمد في المسائل: ومن يترك[1] فريضة من فرائض الله متعمداً من غير علة مثل الصلاة والزكاة، والحج وصيام شهر رمضان، والغسل من الجنابة وما أشبه ذلك من الفرائض، ثم مات مصراً على ذلك غير تائب منه فهو عندنا في النار. **قال**: والمؤمن المذنب لله سبحانه فيه المشيئة إن غفر له فبفضل وإن عذب فبعدل.

وقال في "المسائل": وسئل عن قوله: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ}[النجم:٣٢] فقال: كبائر الإثم كلها وعد الله عليه النار الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، والزنى وشرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين،

---

[1] في (ج): ومن ترك.

واليمين الغموس التي يحلف بها الرجل وهو يعلم أنه فيها كاذب، والفرار من الزحف، وما أشبه ذلك من الكبائر التي جعل الله فيها الوعيد، قال الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ [١٤٢] أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}[النساء:٤٨] وقال: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا}[النساء:٩٣] وقال في آكل مال اليتيم: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً}[النساء:١٠] وقال في اليمين الغموس: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ}[آل عمران:٧٧] يقول: لا نصيب لهم في الآخرة من رحمة الله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يشرب الخمر وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن، ولا يزني الزاني وهو مؤمن"[١]، فبرأهم الله من اسم الإيمان، ومن لم يكن مؤمناً لم يدخل الجنة إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى. فأما اللمم فهو ما دون الحدين حد الدنيا وحد الآخرة، فأما حد الآخرة فهو الشرك بالله {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} [النساء:٤٨].

وأما حد الدنيا فهو الحدود التي سميناها حد الزاني الرجم، وقطع السارق، وحد القاذف، وشارب الخمر، وما كان من نحو ذلك من الحدود التي يقيمها الإمام في الدنيا، وقال الله عز وجل: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء:٤٨] فشاء أن يغفر اللمم لمن اجتنب الكبائر وهو الرجل يلم بالذنب على الغفلة والهفوة غير مصر، ولا مستخف فيتبع ذلك الندم والاستغفار.

[١] تقدم تخريجه، ومثله في المعنى ما أخرجه أبو داود في "سننه" (٤٦٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: " إذا زَنَى الرَّجُلُ خَرجَ منه الإيمانُ، كان عليه كالظُّلَّة، فإذا أقلَعَ رَجَعَ إليه الإيمان". والحديث صحيح، قال العراقي في "طرح التثريب" (٢٥٩/٧):" إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ "، وصححه ابن حجر في "الفتح" (٦١/١٢)، فهذا الحديث يوضح أن فاعل الكبيرة يفارقه كمال الإيمان أثناء تلبسه بها، ولكنه لا يكفر، ولا يخلد في النار.

هل يخرج أهل التوحيد من النار؟

قال محمد في "كتاب أحمد": قلت لأحمد بن عيسى يخرج من النار أحد ممن يدخلها؟

فقال: هيهات، وأنى له الخروج؟! ونعوذ بالله من النار، وقال: هو في القرآن وذكر آيات من القرآن منها: {لاَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا} وقال: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ} [النساء:١٨] وذكر أشياء لم أحفظها.

وقال الحسن بن يحيى: وسألت عمن دخل النار أيخرجه الله من النار أم لا؟ فالجواب أنا نشهد على أهل النار كما يشهد الله عليهم، فمن قال الله خالداً فيها شهدنا عليه بما شهد الله عليه، وقال الله عز وجل: {فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}[هود:١٠٥-١٠٨]يعني غير مقطوع، فنحن نشهد عليهم بما شهد الله عليهم في كتابه من الخلود فيها أبداً، والمشيئة مردودة إلى الله، كما قال إنه فعال لما يريد.

وقال محمد: وسئل عمن يقول: من دخل النار لم يخرج منها وإن كان ممن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ فقال: هذا مما يتقارع العلماء فيه، وفي الرواية فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو مما يسعنا أن نرد علمه إلى الله عز وجل، قال الله عز وجل: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} [الشورى:١٠].

مسألة في إثبات الوعد والوعيد

قال الحسن: وسئل عن الوعد والوعيد فقال: الوعد لأهل الجنة، والوعيد لأهل النار، والله عز وجل لا يخلف الميعاد، وحقاً عليه أن يصدق وعده ووعيده، وأن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قال الله سبحانه: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً} [النساء:١٢٢]وقال: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} [النساء:١٤] وقال: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً، حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً} [الجن:٢٤،٢٣] وقال: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً} [النساء:٩٣].

باب القدر والمشيئة والإرادة

قال محمد في "كتاب أحمد"[١]: قلت لأبي عبد الله أحمد بن عيسى هل المعاصي بقضاء الله وقدره؟

قال: نعم، حكم الله أن سيكون ما سبق في علمه من أفعال العباد، وكان أحمد يثبت القدر خيره وشره ويقول: الإيمان من منة الله على أوليائه، وتوفيق وعصمة لتصديق علمه السابق الذي لا يبطل بعد الحجة بصحة العقل، وبما مثله يفهم المخاطبة [١٤٣] فإن لم يفهم فهو مقطوع العدد بكمال خلقته وسلامتها من الآفات المانعة.

[١] "أمالي أحمد بن عيسى" (٣٠٣/٤_العلوم)، وهذا القسم من زوائد "الأمالي" المحذوفة في طبعة "رأب الصدع".

قال محمد: قلت لأحمد بن عيسى إن قوماً يزعمون أن علم الله لا يضر ولا ينفع.

فقال: بلى والله، إن علم الله السابق ليضر وينفع، وذكر فيه كلاماً وشرحاً لم أحفظه، وذكر فيه آياً من القرآن {وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} [الدخان:٣٢] وذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم واختيار الله إياه. **وقال أحمد** فيما حدثنا علي عن ابن هارون، عن سعدان، عن محمد قال: سألت أحمد بن عيسى عن القدر الذي نهى الله عنه ما هو؟

فقال: من زعم أن المشيئة إليه، وقد سئل علي –صلى الله عليه – عن ذلك، فقال: "من زعم أن الله شاء لعباده الطاعة فلم ينفذ مشيئة الله وشاء لهم إبليس المعصية فنفذت مشيئة إبليس، فقد وهن الله في ملكه وجوره في حكمه، وبرئنا إلى الله منه يوم القيامة"[1].

وقرأت في كتاب محمد بن إبراهيم ومحمد بن فرات وسماعهما من محمد بن منصور قال: كان أحمد بن عيسى يثبت القدر خيره وشره ويقول: "لا يقال شاء العباد فيكون شبه اختيار، ولكن يقال: شاء أن يعصوه.

وقال الحسن بن يحيى: أجمع آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه من أحسن فلله عليه المنة، ومن أساء فلله عليه الحجة في إساءته، وغير معذور في معصيته، ولن يخرج الخلق من قدرة الله وتدبيره وملكه.

---

[1] رواه محمد بن منصور في "أمالي أحمد بن عيسى" (٣٠١/٤_العلوم) وفي سنده الحسين بن علوان أبو علي الكوفي الكلبي. قال يحيى: كذاب. وقال علي: ضعيف جدا. وقال أبو حاتم والنسائي والدارقطني: متروك الحديث. راجع "ميزان الاعتدال" للذهبي (٥٤٢/1).

وقال الحسن ومحمد: إن الله سبحانه خلق العباد وعلم ما هم عاملون قبل أن يعملوا، وعرفهم طاعته وأمرهم بها وأعانهم عليها، وعرفهم معصيته ونهاهم عنها وأغناهم عنها.

قال الحسن: فليس أحد يصير إلى طاعة الله إلا بنعمة الله وفضله ورحمته، وليس أحد يصير إلى المعصية إلا بنقمة الله والحجة لله على المطيع وعلى العاصي.

وقال محمد في موضع آخر: إن الله خلق العباد جميعاً لعبادته، وأمرهم بطاعته وأعانهم عليها، ومدحهم عليها، ونهاهم عن المعصية[1] وأغناهم عنها، وذمهم على فعلها، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة، والجوارح السليمة من الآفات، وأقام عليهم الحجة، وندبهم إلى المحجة بما أنزل في القرآن، وجعل فيه من البيان، وركب فيهم من الجوارح التي بها يعملون وبها يحاسبون ويسألون، ثم أخذ بجميع نواصي العباد فلم يدع شيئاً من مشيئتهم وإرادتهم إلا بمشيئته وإرادته استدلالاً على الربوبية، وتعبداً للخلائق بالقدرة، فإذا نوى عبد من عبيده خيراً اختار عليه في نيته، فإن شاء أمضاه له بعدله وتوفيقه، وإن شاء حال بينه وبينه ببعض بلائه، وما دعا الله إليه فقد جعل إليه سبيلاً، وما نهى عنه فقد جعل منه بداً، فمن تم منه الإقرار وأحسن في الأعمال كان في أهل الجنة، ومن تم منه الإقرار وأساء في الأعمال حكم عليه الديان في فعاله، فإن غفر له فبفضله وإن عذبه فبذنبه، وما الله بظلام للعبيد.

قال محمد: فمن علم الله منه الطاعة وقبول أمره والإنابة إليه فله من الله الهداية والمن والتوفيق.

---

[1] في (ج): عن معصيته.

وقال محمد في موضع آخر: فمن قبل أمر الله وآثر طاعته وعلم الله منه صدق النية في ذلك كله كان له من الله العون، والمن الزائد والتوفيق الزائد، وبذلك سعد، ومن علم الله منه المعصية وركوب ما نهاه عنه، وإيثار هواه على طاعة الله، استوجب من الله الخذلان والترك، وبذلك شقي، ولم يكن له على الله هداية ولا مَنٌ ولا توفيق.

قال: ولله إن يمن على من يشاء من عباده ويتفضل عليه بتوفيقه وبهديه. قال الله عز وجل: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خيراً لأَسْمَعَهُمْ}[الأنفال:٢٣] وقال: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ}[محمد:١٧] وقال: {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ}[البقرة:١٠٥] وقال: {فَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[البقرة:٦٤] وقال: {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ}[النور:٢١] قال الله عز وجل: {حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ}[الحجرات:٧][١٤٥] وقال: {وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً}[الإسراء:٥٥] وقال: {انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} وقال: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ}[الأنعام:١٦٥] وقال: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}[الذاريات:٥٦] فأخبر لا شريك له أنه خلق العباد جميعاً لعبادته وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وقد تقدم الكلام في مثل هذا.

قال الحسن ومحمد في كتاب "الجملة": فليس أحد ينال طاعة الله إلا بيدي امتنانه وفضله ورحمته، وليس أحد أعلى منزلة من نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنبيائه –عليهم السلام–، وقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: {قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ}[الأعراف:١٨٨] وقال:

{وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً، إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}[الكهف:٢٣،٢٤] وقال شعيب: {وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ}[هود:٨٨] وقال نوح: {وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ}[هود:٢٤] وقال يوسف: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي}[يوسف:٥٣] وقال رجل من آل فرعون {وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}[غافر:٤٤] وقالت الملائكة: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}[البقرة:٣٠] وقال أهل الجنة: {وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ}[الأعراف:٤٣].

قال الحسن بن يحيى: وقال أهل النار: {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا} [المؤمنون:١٠٦] وقال أهل النار: {لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ} [إبراهيم:٢١] وقال إبليس: {رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [الحجر:٣٩،٤٠] وقال الله لإبليس: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} [الحجر:٤٢].

وقال محمد: وقد نسب الله الأعمال إلى العباد فقال: {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} وقد أقدرهم عليها بالآلة والأداة، وتسليم الجوارح.

وقال الحسن ومحمد: وللعباد أفعال وإرادات نسبها إليهم، وعلم الله وإرادته ومشيئته محيطة بإرادتهم ومشيئتهم، فلا يكون منهم إلا ما أراد وعلم أنه كائن منهم، وقد أراد خلقهم وخلقهم بعد علمه بما هو كائن منهم، وأنه لا يكون منهم إلا الذي كان، وقد سبق في علمه أنه يكون منهم مؤمن وكافر، ومطيع وعاص، وشقي وسعيد، وفريق في الجنة وفريق في السعير، وقد أراد أن يتم كون ما علم أنه كائن، وقد أراد تبارك وتعالى أن تكون الدنيا دار بلوى واختبار.

قال محمد: وقد شاء الله أن يسعد أهل طاعته ويشقي أهل معصيته، قال الله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل:٥-١٠] وليس ما سبق في علم الله بعذر لأحد في ترك ما أمر به وركوب ما نهى عنه.

وقال الحسن ومحمد: فمن العباد من أوجب الله له الجنة والنار بسبب البلوى والاختبار، ومنهم من أراد أن يدخله الجنة بسابق علمه فيهم بلا بلوى ولا اختبار، كمن لم تلزمه من الله حجة نحو المعاتيه والبله والأطفال.

قال الحسن: وكذلك حور العين مناً منه وفضلاً ورحمة، فمن مَنَّ الله عليه بالعقل والسمع والبصر والسلامة والفهم لما جاءت به الرسل، فقد وجبت عليه الحجة في اتباع ما جاءت به الرسل.

قال محمد: ومن ألزمه الله الحجة بالعقل والفهم والبصر، والقوة والسلامة من الآفات المانعة لقبول ما جاءت به الرسل، فذلك المحجوج لا عذر له في إضاعة شيء مما كلفه الله عز وجل {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ} إلى قوله: {مِيثَاقاً غَلِيظاً}[الأحزاب:٧] وقال: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ [١٤٦] ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} إلى قوله: {إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ}[الأعراف:١٧٢] معناه: لا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، وقال: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}[القصص:٦٨].

وقال الحسن: وقد أدخل الله النار خزنة النار وولدان المشركين الذين سبق في علمه أنهم لا يؤمنون فقال لنوح: {أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ}[هود:٣٦] {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً، إِنَّكَ إِنْ

تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً}[نوح:٢٧،٢٦] وأهلك الولدان في زمان عاد وثمود بالصيحة، ولا ذنب لهم ولم يبلغوا الحلم والاختيار، وقتل الخضر الغلام ولم يبلغ الحلم، فبلغنا في الحديث أنه وجد في كتفه مكتوب كافر خلقه[١]، ولله أن يضل من يشاء من عباده ولا يظلمهم لأنهم عبيده وملكه، يفعل فيهم ما يشاء بسبب البلوى والاختيار، وبغير سبب البلوى والاختيار كما يشاء، ثم لا يكون ذلك ظلماً منه لعبده بل له أن يفعل ما يشاء، وليس لأحدٍ أن يدخل على الله في علمه ولا يسأله عما يفعل وهم يسألون.

وقال محمد في كتاب "الجملة": والعباد عباد الله جميعاً في ملكه ومشيئته، وقدرته وسلطانه، يفضل بعضهم على بعض كما يشاء وكيف يشاء، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون، وقال لا شريك له: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ}[الزخرف:٣٢] وقال: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}[السجدة:٢٤] وقالت الرسل: {إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}[إبراهيم:١١] وقال: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ}أي يجعل فيه نوراً يقبل به الإسلام ويحببه إليهِ {وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}[الأنعام:١٢٥] فمن لم يكن له من الله نور فماله من نور.

[١] جاء فِي كِتَابِ "عَرَائِسِ المجالس" للثعلبي: إِنَّ مُوسَى لَمَّا قَالَ لِلْخَضِرِ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً"- الْآيَةَ- غَضِبَ الْخَضِرُ وَاقْتَلَعَ كَتِفَ الصَّبِيِّ الْأَيْسَرَ، وَقَشَّرَ اللَّحْمَ عَنْهُ، وَإِذَا فِي عَظْمِ كَتِفِهِ مَكْتُوبٌ: كَافِرٌ لَا يؤمن بالله أبدا. وهذا من الإسرائيليات. ويغني عنه ما رواه مسلم (٢٦٦١) عن أبي بن كعب، رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا".

وقال: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الأنعام:١١٠] يقال في التفسير: نقلب أفئدتهم وأبصارهم على الكفر عقوبة كما لم يؤمنوا به أول مرة.

وقال محمد في "المسائل": إن الله خلق الخلق بقدرته وجعل بينهم التفاضل بعلمه وجعل منهم عباداً اختارهم لنفسه ليحتج بهم على خلقه قال الله: {وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً}[الإسراء:٥٥] وقال: {وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ}[الدخان:٣٢] وقال: {انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً}[الإسراء:٢١] وقال: {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ}[النور:٢١] وقال: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ}[الأحزاب:٧] فكان فضل الله عليهم ورحمته قبل طاعتهم إياه.

وقال الحسن ومحمد في وقت آخر: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإَسْلاَمِ} [الأنعام:١٢٥] [فيحبب إليه الإيمان ويجعل في قلبه نوراً يقبل به الإسلام ويحط على قلبه الخير ويزين في قلبه التقوى مناً منه على عباده ورحمة وفضلاً][1] {وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ} [الأنعام:١٢٥] فمن لم يكن له من الله نور فماله من نور.

قال الله عز وجل: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الأنعام:١١٠].

[1] غير موجود في (ج).

قال الحسن: قال سبحانه: {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ [١٤٧] أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ} [الأنعام: ١١١].

وقال الحسن في موضع آخر: فإذا أراد الله بعبد[١] خيراً أراده في الامتنان والتوفيق، وألهمه التقوى وحبب إليه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، ووفقه للعمل الصالح مناً من الله ورحمة يختص بها من يشاء من عباده، ويفضل بعضهم على بعض كيف يشاء، عن غير استحقاق.

فأعطى الأنبياء من خزائن رحمته وبفضله، ومنه وتوفيقه، وخصهم برسالته، ورفعهم على خلقه مناً منه، ورحمة وفضلاً، ولا يسأل عما يفعل وهم يسئلون، ولله ملك السماوات والأرض وما فيهما، فهم في ملكه والقدرة محيطة بهم يفعل في عبيده ما يشاء.

ويملك حياتهم وموتهم وأرزاقهم، وحركتهم ومنطقهم، وشهوتهم وقلوبهم، وأسماعهم وأبصارهم، فليس يتحرك متحرك ولا يطرف طارف[٢] ولا ينطق ناطق إلا وهو في ملكه، والقدرة محيطة بهم، وعلم الله وتقديره ومشيئته سابقة فيهم قبل خلقهم.
قال الله تعالى: {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} [النور: ٢١] فالحجة على المطيع والعاصي، وما يتفضل الله به على العباد من العفو أكثر من العقوبة.

قال الله: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ} [فاطر: ٤٥] وقال: {وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠] والكثير من الله كثير،

---

[١] في (ج): بعبده.
[٢] في (ج): طرف.

وليس للعباد على الله سبحانه أن يخلقهم، ولا لهم عليه أن يهديهم، فكل خيرٍ ناله العباد فإنما هو بمن الله وفضله، وإنما خلق الله العباد عبيداً مماليك يملكهم ويملك جميع ما خولهم، وبالخلق إلى الله الحاجة في كل وقت، والله الغني عنهم وهم الفقراء إليه، وقال: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ}[النحل:٧٥] وقال: {وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا، إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}[الكهف:٢٣،٢٤] وقال: {لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}[الأنبياء:٢٣].

وسئل الحسن عن السعيد والشقي متى يكون سعيداً ومتى يكون شقياً؟ فقال: السعيد في علم الغيب عند الله سعيد قبل أن يخلق الخلق ولا يكون من فعل العبد وما يختم له به إلا بعمل السعادة حتى يجعله سعيداً بعمله برحمة الله له، ويكون فعله موافقاً لما سبق من علم الله فيه، والشقي في علم الله شقي قبل أن يخلق، ولا يكون من فعله وخاتمة عمله إلا بفعل[1] الأشقياء حتى يكون عمله وما ختم الله به موافقاً لما سبق من علم الله أنه شقي، نسأل الله أن يمن علينا بالسعادة ولا يجعلنا من الأشقياء برحمته فإنه ولي ذلك والقادر عليه.

قال: {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً}[الأحزاب:٣٨] وقال:{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[يونس:٩٩] وقال: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[هود:١١٩] للرحمة، وقال: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ}[الأعراف:١٧٩] وقال: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا}[مريم:٧١] وقال: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً}[الأنعام:١٢٥] وقال: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ

[1] في (ج): إلا عمل.

وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ، فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[الحجرات:٧،٨] وقال: {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً}[النساء:٨٣] وقال: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}[الإسراء:١٥] وقال: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[فصلت:١٧] فأخبر الله سبحانه أنه لم يعذب من عصاه إلا بعد البيان والحجة والإعذار إليهم، فكان عذابه لهم عقوبة إذ عصوه.

وقال محمد في "المسائل": وسألت عمن يقول: إن الله لم يخلق شقياً ولا سعيداً، فإنا نقول: إن الله قد خلق الشقي والسعيد فلن يزول عن الشقي أن يكون شقياً، ولن يزول عن السعيد أن يكون سعيداً، وهو الذي سبق في علم الله أن يسعد أولياءه ويشقى أعداءه.

قال الله عز وجل: {يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا [١٤٨] فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ} [هود:١٠٥-١٠٨].

وقال الحسن فيما رواه ابن صباح عنه وهو قول محمد في "المسائل":
وسئل عن القدر، ومن قال إن الله خلق شقياً وسعيداً وإن القضاء قد سبق، فإنا نقول في ذلك بجمل من الكتاب، وآثار بلغتنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا نجاوز ذلك إلى غيره: أن الله خلق العباد وعلم أعمالهم قبل أن يعملوها، وعلم ما هم إليه صائرون، وقد عرفهم الطاعة وأمرهم بها، وعرفهم المعصية ونهاهم عنها بعد علمه بما يعملون من ذلك ويختارون، فما كان من العباد من طاعة فلله فيها المنة، وما كان منهم من معصية فلله فيها الحجة، وهذا ما أجمع عليه

المختلفون من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو مؤد إلى الله عز وجل، وقد أمر الله بالألفة والاجتماع، ومدح أهلها عليها، ونهى عن الفرقة والاختلاف، وذم أهلها عليها، وقال الله: {وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[آل عمران:١٠٥].

وقال الحسن ومحمد[١]: ومن قال إن الله لم يقدر في خير ولا شر فإن قوله هذا جراءة على الله وبدعة وجهل، ومن قال بالإجبار وحمل ذنوبه على الله وما تنزه الله عنه وذمه في الكتاب فإنه جريء جاهل ولا يقول بواحدة من المقالتين-يعني الجبر ونفي القدر.

قال محمد: ومن قال: إن الله لم يقدر في خير ولا شر فإنا ننسبه إلى الغلو في القدر الذي نهي عنه، ونقول إن الله الذي قدر الخير والشر على ما أراد فجعل الخير خيراً وجعل الشر شراً ومشيئة الله محيطة بمشيئة العباد.

قال الحسن ومحمد في كتاب "الجملة": وبلغنا عن علي، صلى الله عليه، أن رجلاً سأله عن القدر، فقال: "طريق مظلم فلا تسلكه"، فقال: يا أمير المؤمنين ما تقول في القدر قال: "[بحر عميق فلا تلجه"، قال: فسكت الرجل ساعة، ثم قال: يا أمير المؤمنين ما تقول في القدر؟ قال:][٢] "سر الله فلا تفتشه".

قال الحسن بن يحيى: ثم إن أمير المؤمنين صلى الله عليه قام فأحدث طهوراً، ثم قال: أين السائل عن القدر؟ فقال الرجل: أنا يا أمير المؤمنين، فقال أمير المؤمنين: أخبرني عنك أخلقك الله كما شاء أن يخلقك، أو كما شئت؟ قال: كما شاء، قال: فأخبرني عما تأتي به يوم القيامة من عمل بما شاء الله أو بما شئت؟

---

[١] في (ج): وقال محمد: ومن قال...إلخ.
[٢] غير موجود في (ج).

قال: بما شاء الله، قال: فأخبرني عما يصيرك الله إليه يوم القيامة إلى ما شاء الله أو إلى ما شئت؟ قال: إلى ما شاء، قال: فهل ترى إلى أحدٍ شيئاً من المشيئة[١].

وروى محمد بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "أعمال العباد كلها على مشيئة الله وإرادته"[٢].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في خطبته: "إن الله حد حدوداً فلا تعتدوها، وفرض فرائض فلا تنقصوها، وحرم محارم فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء لم يسكت عنها نسياناً فلا تكلفوها، رحمة من الله فاقبلوها"[٣].

قال الحسن ومحمد: ومن كان له جار قدري أو مرجي ينادي بذلك ويمتحن عليه الناس، ويعادي على ذلك المسلمين فلا حق له كحرمة المسلم، وإن كان إنما يومي إليه بذلك، ولا ينادي به فله ما للمسلمين في الجملة.

قال محمد: وحدثنا الحسن بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال حدثنا عمر أبو حفص القزاز، عن جعفر، عن أبيه، عن آبائه –عليهم السلام–، وعن علي –صلى الله عليه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "سبق العلم وجف القلم، ومضى القضاء وتم القدر بتحقيق الكتاب وتصديق الرسل، وما العباد عاملون، وبالسعادة من الله لمن آمن واتقى، وبالشقاء من الله لمن كذب وكفر، وبالولاية من الله للمؤمنين، وبالبراءة من المشركين"، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

---

[١] رواه الأجري في "الشريعة" (٥٤٧) واللالكائي في "شرح أصول أهل السنة" (١١٢٣) وابن بطة في "الإبانة" (٣١٠) من طريق إسماعيل بن عمرو البجلي، ثنا عبد الملك بن هرون بن عنترة، عن أبيه عن جده عن علي به. وهو ضعيف لأجل إسماعيل البجلي فهو ضعيف وعبد الملك بن هرون متروك. وله طريق أخرى رواها ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٦٠٢٥) عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب أنه خطب الناس يوما فقال في خطبته، الحديث، وهو طويل وفيه ما ليس في هذه الرواية. وفيها أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بنُ هَارُوْنَ بنِ شُعَيْبٍ، وهو متهم بالكذب على سعة علمه، كما في "سير أعلام النبلاء" (٥٢٨/١٥) و"ميزان الاعتدال" (٥٧/٤).

[٢] لا يوجد بهذا اللفظ، ولكن ورد من حديث عمران بن حصين قال: قيل: يا رسول الله، أعُلِمَ أهلُ الجنة من أهل النار؟ قال: " نعم "، قيل: فما يعمل العاملون؟ قال: " كلٌّ مُيَسَّر لما خُلِقَ له "، والبخاري (٦٥٩٦) و (٧٥٥١)، ومسلم(2649) ، وفي الباب عن علي، وجابر، وعبد الرحمن بن قتادة السلمي. انظر تخريجها في " صحيح ابن حبان " (٣٣٤) و (٣٣٥) و (٣٣٦) و (٣٣٧) و (٣٣٨) بتحقيق شيخنا شعيب الأرناؤوط، رحمه الله.

[٣] رواه الدارقطني في "سننه" (١٨٤/٤) (٤٣٥٠) من حديث أبي ثعلبة الخشني، رضي الله عنه، وحسنه النووي في الأربعين التي أخرجها، رحمه الله.

[أروي حدثني عن الله سبحانه][1] قال الله تبارك وتعالى: "بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء[١٤٩] لنفسك ما تشاء، وبإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد، وبفضل نعمتي قويت على معصيتي، وبعصمتي وقوتي وعافيتي أديت إلي فرائضي أنا أولى بإحسانك منك، وأنت أولى بذنبك مني؛ لأن الخير بما أوليتك مني بدا، والشر مني بما جنيت جزاء، وبكثير من تسليطي إن طويت على طاعتي، وبسوء ظنك فيَّ قنطت من رحمتي، لي الحمد والحجة عليك بالبيان، ولي السبيل عليك بالعصيان، ولك الجزاء الحسن عندي بالإحسان، يا ابن آدم لم أدع تحذيرك ولم آخذك عند غرتك، ولم أكلفك فوق طاقتك، ولم أحملك من الأمانة إلا ما أقررت به على نفسك، ورضائي لنفسي منك ما رضيت لنفسك مني"[2].

وروى **الحسن بن يحيى** بعض هذا الحديث بلا إسناد وقال: قال أمير المؤمنين: "ألا إن أبغض خلق الله إلى الله عبد وكله إلى نفسه"[3].

وروى **محمد عن علي بن الحسين**: أنه لما حضرته الوفاة بكى فقال له ابنه أبو جعفر –عليهم السلام– يا أبتاه تبكي وقد طلبت الله طلباً ما طلبه أحد؟ فقال: "يا بني إنه ليس أحدٌ يشهد القيامة إلا وله زلة، ولله فيه المشيئة، إن شاء رحمه وإن شاء عذبه"[4].

---

[1] كذا في (ب)، وفي (ج): غير موجودة.

[2] قال شيخنا شعيب الأرناؤوط في تخريجه لـ"العواصم": هذا خبر لا يصح، وليس هو في شيء من دواوين السنة المعتبرة. وعمر أبو حفص القزاز لم أجد له ترجمة، وإذا كان المراد من قوله في السند: عن آبائه علي بن الحسين، فإنه لم يسمع من جده علي، فهو منقطع.

[3] رواه الكليني في "الكافي" (٥٥/١) عن محمد بن يحيى، عن بعض أصحابه، وعلي بن إبراهيم [عن أبيه] عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله (جعفر بن محمد بن علي) عليه السلام، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب رفعه، عن أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) عليه السلام أنه قال: "إن من أبغض الخلق إلى الله عز وجل لرجلين: رجل وكله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل، مشعوف بكلام بدعة، قد لهج بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدي من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد موته، حمال خطايا غيره، رهن بخطيئته". وهو حديث طويل.

[4] رواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٣٧٩/٤١) قال: أخبرنا أبو محمد بن طاوس أنا عاصم بن الحسن أنا أبو عمر بن مهدي قالا قرئ على أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد نا أحمد بن يحيى الصوفي نا محمد بن راشد الحبال نا عمر بن صخر السلمي عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر قال كان أبي علي بن الحسين يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة فلما حضرته الوفاة بكى قال فقلت يا أبة ما يبكيك فوالله ما رأيت أحدا طلب الله طلبك ما أقول هذا إنك أبي قال: فقال: يا بني إنه إذا كان أتى يوم القيامة لم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا كان الله عز وجل فيه المشيئة إن شاء غفر له وإن شاء عذبه. وفي إسناده عمرو بن شمر وجابر الجعفي وكلاهما متروكان.

وسئل محمد عمن يقول: كل شيء بمشيئة الله، ولولا مشيئة الله ما قدر أحد أن يفعل شيئاً، نقول: بلغنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "يقول الله سبحانه: يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء"[1] وذكر الحديث.

مسألة: قال محمد في "المسائل": سألت القاسم بن إبراهيم–يعني عمن يقول– من قتل مات بلا أجل، ولو لم يقتل ما مات، وذكرت له قول من يقول إنه لما قتله قطع أجله، فعاب القاسم هذا القول وأقدم على من قال به بالمكروه، وسألته عمن يقول به، فقال: هالك.

وقال الحسن: وأما ما سألت عنه من قولهم إن من قتل إنساناً فلا يكون ملك الموت قابضا لروحه فقد ردوا قول الله تبارك وتعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ}[السجدة:١١] وقال: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}[آل عمران:١٨٥] وقال: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ}[الزمر:٤٢] فقد أخبرنا الله أنه يتوفى الأنفس حين موتها، وأن ملك الموت يتوفى الأنفس عن أمره، وقال: قال الله عز وجل: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}[الأنفال:١٧]

---

[1] رواه بهذا اللفظ ابن بابويه في "التوحيد" (ص ٣٤٥) دثنا أبي، ومحمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنهما، قالا: حدثنا محمد بن يحيى العطار، وأحمد بن إدريس جميعا، عن محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، قال: حدثنا يعقوب بن يزيد، عن علي بن حسان، عن إسماعيل بن أبي زياد الشعيري، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سبق العلم، وجف القلم، ومضى القدر بتحقيق الكتاب وتصديق الرسل وبالسعادة من الله عز وجل لمن آمن واتقى وبالشقاء لمن كذب وكفر وبولاية الله المؤمنين وبراءته من المشركين، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عن الله أروي حديثي إن الله تبارك وتعالى يقول: يا ابن آدم بمشيتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد، وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي، وبعصمتي وعوني وعافيتي أديت إلي فرائضي، فأنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك مني، فالخير مني إليك بما أوليت بداء، والشر مني إليك بما جنيت جزاء، وبإحساني إليك قويت على طاعتي، وبسوء ظنك بي قنطت من رحمتي، فلي الحمد والحجة عليك بالبيان، ولي السبيل عليك بالعصيان، ولك جزاء الخير عندي بالإحسان، لم أدع تحذيرك، ولم أخذك عند عزتك، ولم أكلفك فوق طاقتك، ولم أحملك من الأمانة إلا ما أقررت به على نفسك رضيت لنفسي منك ما رضيت لنفسك مني. قال ابن عدي: وإسماعيل بن أبي زياد هذا عامة ما يرويه لا يتابعه أحد عليه، إمَّا إسْنَادًا، وَإِمَّا مَتْنًا. ووصفه الذهبي بـ(الدجال)، فهذا الحديث ظاهر الوضع!

ورواه الكليني في "أصول الكافي" (٢٠٩/١) عن مُحَمَّد بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ قَالَ قَالَ أَبُو اَلْحَسَنِ اَلرِّضَا عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ : قَالَ اَللَّهُ يَا اِبْنَ آدَمَ بِمَشِيئَتِي كُنْتَ أَنْتَ اَلَّذِي تَشَاءُ لِنَفْسِكَ مَا تَشَاءُ وَ بِقُوَّتِي أَدَّيْتَ فَرَائِضِي وَ بِنِعْمَتِي قَوِيتَ عَلَى مَعْصِيَتِي جَعَلْتُكَ سَمِيعاً بَصِيراً قَوِيّاً «مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اَللَّهِ وَ مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ » وَ ذَاكَ أَنِّي أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ وَ أَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي وَ ذَاكَ أَنَّنِي لاَ أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ «وَ هُمْ يُسْئَلُونَ ». وهذا سند معضل منقطع.

وقد قال في يحيى بن زكريا: {وَسَلاَمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا}[مريم:١٥] وإنما قتل يحيى بن زكريا قتلاً، وقال: {وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَتَمَنَّوْن الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ}[آل عمران:١٤٣] وإنما كان الموت بالقتل.

وسألت عمن يقول إن الذئب إذا وثب على الشاة فأخذها أنه هو الذي رزق نفسه وليس خالقه الذي رزقه، فهذا القول رد حكم الكتاب البينة المنصوصة، قال الله: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا}[هود:٦] وقال: {الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}[الروم:٤٠] وقال: {وَكَأَيِّن مِنْ دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[العنكبوت:٦٠] وقال: {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ}[فاطر:٣] وقال: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ}[الزخرف:٣٢] فجعل بعضهم أقوى من بعض وبعضهم يحسن صناعة لا يحسنها غيره، حتى إن الكناس وهو أدناهم منزلة في الدنيا ليأخذ رزقه من أعلاهم منزلة في الدنيا؛ لأن الله سبحانه جعل ذلك سبباً من أسباب أرزاقهم لا يمتنعون منه ولو كان اكتساب الرزق إلى العباد لكان بالشديد البطش، الكامل العقل، البارع البيان والحجة، أكثر رزقاً من الأحمق الضعيف، ولكن الله سبحانه احتج على عباده أنه المنزل لأرزاقهم المالك لخلقهم وأمورهم، فقال: {أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[الأعراف:٥٤].

وقال محمد في "المسائل": وسألت عمن يقول من قتل مات بلا أجل ولو لم يقتل ما مات، وهذا قول سوء سيء ردي ولكن يوافق أجله وقت القتل، ولو لم

يقتله مات في ذلك الوقت [١٥٠]، وقد سئل الحسن البصري عن ذلك فقال: "يا لكع فمن يأكل رزقه؟"[١]

وسألت عمن يقول: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يؤمن بالخير والشر؟ فمعناه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وسألت عمن يقول: إن الله عز وجل قد خلق الأشياء وفرغ من جميع خلقه وأحكمه؟ إن كان يريد بقوله إن الله قد خلق الأشياء وأحكم خلقها يريد أن الله علمها فهو كما قال[٢].

وأما قوله خلق فإن الله قد خلق ما أراد خلقه، وهو خالق ما يريد خلقه، وسألت عمن يقول: إن الله شاء لخلقه أن يكونوا عالمين عاملين بأمر الله ولكن تركوا ذلك يقول لو شاء الله أن يجعلهم مجبولين على ذلك لفعل ولن يخرجوا من ذلك، ولكن شاء جل وعز أن يأمرهم بعد البيان واتخاذ الحجة أن يكونوا عالمين عاملين بأمر الله، والمن والتوفيق من الله لمن قبل أمره، قال الله جل وعز: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}[البينة:٥] وقال لا شريك له: {كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ}[النساء:١٣٥] فقد شاء أن يكونوا قوامين بالقسط، وقال سبحانه: {وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا}[السجدة:١٣] وقال سبحانه: {لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً}[الرعد:٣١] وقال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً}[يونس:٩٩] {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى}[الأنعام:٣٥] وهو كما قال الله عز وجل، ولكن الله شاء أن يأمرهم وينهاهم بعد البيان ليتخذ عليهم

---

[١] رواه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (١٢٥٠) قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الطُّوسِيُّ، قَالَ: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، قَالَ: ثنا أَبُو عُتْبَةَ، قَالَ: ثنا بَقِيَّةُ، قَالَ: ثنا تَمَّامُ بْنُ نَجِيحٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ، وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَأَخَذَ بِعَنَانِ دَابَّتِهِ، فَقَالَ: أَيُّهَا الضَّالُّ الْمُضِلُّ حَتَّى مَتَى تُضِلُّ النَّاسَ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: تَزْعُمُ أَنَّ منْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ قُتِلَ فِي غَيْرِ أَجَلِهِ، قَالَ: فَمَنْ يَأْكُلُ بَقِيَّةَ رِزْقِهِ؟ يَا لُكَعُ خَلِّ الدَّابَّةَ قُتِلَ فِي أَجَلِهِ، قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنَّ لِي بِمَا سَمِعْتُ مِنْكَ الْيَوْمَ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ.

[٢] في (ج): كما يقول.

الحجة، وقال: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}[الإسراء:١٥] فشاء الله أن يكرم أهل طاعته ويهين أهل معصيته.

وسئل عن قوله: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ} [فاطر:٢] فقال: ذلك المطر يغاث به العباد فهو من رحمة الله لا مرسل له غيره، [وإن يمسك فلا مرسل له غيره][1]، وكذلك كل ما أنعم الله به على خلقه فعلى هذا السبيل.

وسئل عن قوله تعالى: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ} [يونس:١٠٧] فقال: هو على حسب ما أجبت به في المسألة التي قبلها.

وسئل عن قوله: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ} [الأعراف:١٧٩] يعني يقول خلقنا لها كثيراً من الجن والإنس وهم أهل الكفر والضلال، وسألت عن قوله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [الإنسان:٣٠] بلغنا أنه لما نزلت: {إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً} [الإنسان:٢٩] قال أبو جهل: قد جعل الله المشيئة إلينا، فنزلت: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [الإنسان:٣٠][2].

وسئل عن قوله: {وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ} [الرعد:١٢]. فقال: هو كما قال عز وجل: {إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً} في الدنيا من نكال أو قتل أو

---

[1] غير موجود في (ج).

[2] رواه ابن جرير الطبري (٦٤/٢٤) قال: حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سعيد بن عبد العزيز، عن سليمان بن موسى، قال: لما نزلت هذه الآية (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ) قال أبو جهل: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ). وقال: حدثني ابن البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد، عن سليمان بن موسى، قال: لما نزلت هذه الآية: (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ) قال أبو جهل: ذلك إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ).

عقوبات فلا راد لأمر الله، وكذلك في الآخرة إذا أراد الله بأعدائه العذاب والعقاب فلا راد لأمر الله عز وجل.

وسألت عن قوله عز وجل: {وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ} [آل عمران:٢٦] شاء الله أن يعز أهل طاعته ويذل أهل معصيته.

وسألت عن قوله: {تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ} [آل عمران:٢٦] هذا كما قال الله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ} [البقرة:٢٥٨] هذا على الإقدار والتمكين.

قال محمد: وسئل عن حد الخير والشر؟ فقال: حد الخير كلما قرب من الله، والشر كلما باعد من الله، والحق كل ما أمر الله به وندب إليه، والباطل ما نهى الله عنه وذم عليه.

القول في الاستطاعة والجبر والإجبار [١٥١]

قال محمد في "كتاب أحمد"[١]: وسألت أحمد بن عسى عن تقدمة الاستطاعة والفعل، فقال: الفعل بعد الاستطاعة وليس حيث تذهب المعتزلة بأن الاستطاعة هي الآلة التي خلقها الله: الفؤاد والسمع، والبصر واليدان، والأداة التي خلقها الله عز وجل في الشخص منذ هو صغير، فإذا بلغ الحنث كلف العمل، والعون والتوفيق من الله عز وجل سبحانه يوفق ويخذل، ويعين ويدع، يفعل الله ما يشاء.

قال: والحجة من الله تلزم العباد بما ركب من جوارحهم وسلامتها من الآفات المانعة لهم من الفهم بها والحركات، فمن علم منه الهداية جاءته من الله المعونة

[١] "أمالي أحمد بن عيسى" (٣٠٢/٤_العلوم).

والتوفيق الزائد، ومن علم منه الضلالة خذله فلم يكن له منه هداية، وذلك منّ من الله على أوليائه وأهل طاعته بسابق علمه فيهم. وتكلم أحمد بن عيسى في هذا بكلام وشرح لم أحفظه.

وقال محمد في "كتاب أحمد"[١]: وذكر أحمد بن عيسى الاستطاعة وهي عنده على وجوه من ذلك قوله تعالى: {هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ} [المائدة:١١٢] [وقد علموا أنه يستطيع، وإنما أرادوا: هل يفعل ذلك ربك، ومن قرأ هل تستطيع ربك[٢]][٣] فقال هل تستطيع أن تسأل ربك. وذكر أحمد وجهاً آخر لم أحفظه، وقوله تعالى: {وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً} [الكهف:١٠١].

قال سعدان: قال محمد: هذا على الكراهية كما يقول القائل: لا أستطيع أن أنظر إلى فلان على كراهيته لذلك.

قال محمد: قلت لأبي عبد الله كيف تقرأ هل يستطيع بالياء أو هل تستطيع بالتاء؟ فقال: لست أعدل عن قراءة علي –صلى الله عليه– {هل تستطيع} بالتاء[٤].

قال محمد: وسمعت أحمد يقول في قوله: {لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا} [الأعراف:١٧٩] قال: هذا

---

[١] نفس المصدر السابق.

[٢] في قولِهِ تعالَى :﴿وإذْ قالَ الحوارِيُّونَ يا عِيسَى ابنَ مريَمَ هل يستَطيعُ رَبُّكَ أنْ يُنَزِّلَ علَينا مائِدةً من السَّماءِ قالَ اتَّقُوا اللهَ إنْ كُنْتُم مُؤمِنينَ﴾ [المائدة: ١١٢] قراءة الكِسائِيَّ (ت١٨٩هـ) " هل تستطيعُ ربَّكَ " بتاءِ الخطاب، لـ عيسى مع إدغامِ اللام من " هل " في التاء على قاعدته، و" رَبَّكَ " بالنصب على التعظيم، أي هل تستطيع سؤالَ رَبِّكَ.
والباقون بياء الغيبِ، و(رَبُّكَ) بالرَّفعِ على الفاعليَّة، أي: " هل يفعلُ بِمسألتِكَ "، أو " هل يُطِيعُ رَبُّكَ "، أي: " هل يُجِيبُكَ "، و" استطاعَ " بمعنى " أطاعَ "، ويجوزُ أنْ يكونُوا سألُوهُ سُؤالَ مُستَخبِر، هل يُنزِّلُ أم لا، وذلِكَ لأنَّهُم لا يَشكُّونَ في قُدرةِ اللهِ تعالى، لأنَّهُم مُؤمنونَ. إتحاف فضلاء البشر ١: ٥١٦.، والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ١: ٣١٠. وينظر كتاب السبعة في القراءات ص ٢٤٩، والبحر المحيط ٤: ٥٤.

[٣] غير موجود في (ج).

[٤] قال الإمام ابن الجزري في "النشر في القراءات العشر" (٥٦/٢): " (وَاخْتَلَفُوا) فِي: هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ فَقَرَأَ الْكِسَائِيُّ (تَسْتَطِيعُ) بِالْخِطَابِ (رَبَّكَ) بِالنَّصْبِ، وَهُوَ عَلَى أَصْلِهِ فِي إِدْغَامِ اللَّامِ فِي التَّاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْغَيْبِ وَبِالرَّفْعِ". وجميع قراء الكوفة تنتهي قراءتهم لعلي كرم الله وجهه، مما يدل على أن كلا الوجهين في الكلمة ينتهي لعلي عليه السلام.

على العيب لهم، وهو مثل قوله: {وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً} [الكهف:١٠١] إنما هذا على الكراهية والفزع إذا سمعوا الحق، وذكر الله جل وعز فزعوا من ذلك.

وقال الحسن في "مسائله"، ومحمد في "الجملة": إن الله تبارك وتعالى أعز وأجل وأكرم وأقدر، وأموره أنفذ في خلقه من أن يجبر عباده على الأفعال، وهو جل وأعز أغنى وأكرم، وأعز وأقدر، وعباده إليه أفقر في كل حالاتهم من أن يفوض إليهم أموره[١]، ولكن استوسقت الحالات بهم على ما أراد، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ويحبب إليه الإيمان، ويخطر على قلبه الخير، ويزين في قلبه التقوى، مناً منه على عباده وفضلاً ورحمة لهم، فإذا عمل العباد بالطاعة شكر ذلك لهم وتفضل عليهم بالثواب، ومن لم يرد الله أن يهديه وكله إلى نفسه فاتبع هواه، وزين له الشيطان سوء عمله فيعمل بالمعاصي، فإذا فعل ذلك غضب الله عليه وعذبه، فالحجة لله على المطيع والعاصي.

قال محمد: فلا المطيع استغنى عن معونة الله طرفة عين ولا أقل، ولا العاصي خرج من قدرة الله طرفة عين ولا أقل، كل ناصيته بيد الله، يعمل في الكتاب، قد سبق مملوك مملوكة عليه أموره.

قال الحسن ومحمد: قال الله عز وجل: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [يونس:٩٩] وقال سبحانه: {وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [السجدة:١٣] وقال سبحانه: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ} [يونس:١٠٠].

[١] في (ج): الأمور.

قال: ولكن الله أراد أن يكون من العباد مؤمن وكافر، وشقي وسعيد، ومطيع وعاص، وفريق في الجنة وفريق في السعير، بلا إجبار منه لهم ولا تفويض منه إليهم.

قال الحسن: وكانوا كما أراد الله أن يكونوا تبارك الله أحسن الخالقين.

قال الحسن [ومحمد][١]: ولا نقول إن الله أجبر العباد على معاصيه، ولا فوض الأمور إليهم.

قال الحسن: لأن المجبر لا يجبر على ما يحب ويهوى، فإنما يجبر على ما يكره الدخول فيه[١٥٢] ويبغضه، وليس أحد يدخل في المعصية إلا وله فيها شهوة ومحبة، ومن زعم أن الأمور مفوضة إليه فقد زعم أن الله قد أعطاه أفضل مما أعطى الأنبياء، وكيف تكون الأمور[مفوضة][٢] إلى عبدٍ والرزق والموت والحياة، والقلب والسمع والبصر والأجزاء مملوكة عليه، والقدرة محيطة به، ولو كانت الأمور إلى العباد لم يكن العاقل الشديد البطش، المنطلق اللسان، الثابت الحجة تبعاً للجاهل الضعيف، فتبارك الله أحسن الخالقين الذي لا يكون إلا ما شاء كما يشاء على معنى ما شاء.

قال الحسن: ومن زعم أن الله سبحانه جعل المشيئة إليه فإن القرآن يكذبه، قال الله تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}[السجدة:١٣] ولا نبطل قول الله تعالى، وقال: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ}[يونس:٩٩،١٠٠] وقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: {وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً، إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}[الكهف:٢٣،٢٤] وقال: {إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ}

---

[١] موجود في (ج).
[٢] غير موجود في (ب).

{فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ، وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ}[المدثر:٥٥، ٥٦] وقال: {إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً، وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً}[الإنسان:٢٩،٣٠] وقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: {قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ}[يونس:٤٩] وقال: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[التكوير:٢٨،٢٩] وأمثال ذلك في القرآن كثير.

قال الحسن: والعدل من الله أن يفعل في خلقه ما يشاء، ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، لم يجبر الله العباد على الأفعال ولم يفوض إليهم الأمور، ولم يكلفهم إلا ما طوقهم، وجعل لهم السبيل إلى فعله.

واحتج عليهم بما خولهم فقال: {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}[الرعد:١٩] وقال: {وَاتَّقُونِي يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ}[البقرة:١٧٩]، وقال: {أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا}[الأعراف:١٩٥] وقال: هو{وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ}[السجدة:٩] وقال: {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ، وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ}[البلد:٩،٨] فلم يحرم على العباد شيئاً إلا أغناهم عنه، حرم عليهم الخمر وأحل لهم العسل واللبن والأشربة الطيبة، وحرم عليهم الزنى، وأحل لهم النكاح، وحرم عليهم الربا وأحل لهم البيع، وحرم عليهم قتل النفس وأحل لهم الجهاد، وقتال كل ممتنع من حكم الله، إذا حارب وإذا سعوا في الأرض فساداً، وقتلوا أن يقتلوا بالحق، وأشباه ذلك كثيرة مما لم يكره الله العباد على فعله، وقال: و{لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ}[النور:٦١] فجعل لهم العذر في البلوى التي يبتليهم بها وهو أرحم الراحمين، نسأل الله لنا ولكم الهداية والتوفيق إنه رحيم قدير.

وقال الحسن في رواية ابن صباح عنه، وهو قول محمد في "المسائل": ومن قال بالإجبار، وحمل ذنوبه على الله وما نزه الله عنه وذمه فإنه جريء جاهل، ومن قال إن الله لم يقدر بخير ولا شر فإن قوله هذا جرأة على الله، وجهل وبدعة، ولا نقول بواحدة من المقالتين.

قال محمد: وأخبرني محمد بن يحيى التميمي، عن جعفر بن محمد أنه سئل عن العباد أمجبرون؟ قال: لا. قال: أمفوض إليهم؟ قال: لا، قيل له: فدون ذلك شيء؟ قال: "نعم، ستر من ستر الله احتجب به دون خلقه"[١].

قال محمد في "المسائل": بلغنا عن ابن عباس قال: لا تقولوا إن الله أجبر العباد على [١٥٣] معاصيه فتُظلِّموه، ولا تقولوا فوض إليهم فتضعفوه ولكنا نقول إن الله أمر العباد بطاعته وأعانهم عليها، ومدحهم على فعلها ونهاهم عن معصيته وذمهم عليها، فما كانت منهم من طاعة فلله فيها المنة، وما كان منهم من معصية فلله فيها الحجة"[٢].

قال الحسن: روي عن ابن عباس أنه قال: "القدر شرك، والجبر كفر، والأمر بين ذلك"[٣].

---

[١] رواه في "أمالي أحمد بن عيسى" (٣٠١/٤) بنفس هذا السند، وقد وردت آثار عديدة عن الإمام جعفر بن محمد الصادق، رحمه الله، تفيد أن الأمر بين الجبر والتفويض، رواها عنه الإمامية في كتبهم. من ذلك ما رواه ابن بابويه في "التوحيد" (ص ٣٦٢) حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن خنيس بن محمد، عن محمد بن يحيى الخزاز، عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: "لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين"، قال: قلت: وما أمر بين أمرين؟ قال: "مثل ذلك مثل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته أنت الذي أمرته بالمعصية".

[٢] روى قريبا منه اللالكائي (١٢٨٨) قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الطُّوسِيُّ، قَالَ :ثنا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، قَالَ :ثنا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ :ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَوْذَبٍ، قَالَ :حَدَّثَنِي أَبُو عَمْرَةَ، قَالَ :أَتَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ عَلَى قَوْمٍ يَتَنَازَعُونَ فِي الْقَدَرِ، فَقَالَ: لَا تَخْتَلِفُوا فِي الْقَدَرِ، فَإِنَّكُمْ لَوْ قُلْتُمْ :إِنَّ اللَّهَ شَاءَ لَهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِطَاعَتِهِ، فَخَرَجُوا مِنْ مَشِيئَةِ اللَّهِ إِلَى مَشِيئَةِ أَنْفُسِهِمْ، فَقَدْ أَوْهَنْتُمُ اللَّهَ بِأَعْظَمِ مُلْكِهِ، وَإِنْ قُلْتُمْ :إِنَّ اللَّهَ جَبَرَهُمْ عَلَى الْخَطَايَا، ثُمَّ عَذَّبَهُمْ عَلَيْهَا، قُلْتُمْ :إِنَّ اللَّهَ ظَلَمَهُمْ

[٣] لم أجده بهذا اللفظ بعد طول بحث، لكن روي عنه، رضي الله عنه، بلفظ: "القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى، لا انفصام لها". رواه الطبراني في "الأوسط" من حديث ابن عباس مرفوعاً، وفيه هانئ بن المتوكل، وهو ضعيف. كذا في "المجمع" [٧: ١٩٧]، وأخرجه الطبراني في " المعجم الأوسط [4: 45: 3573] "من طريق هانئ بن المتوكل الإسكندراني قال: نا أبو ربيعة سليمان بن ربيعة عن أبي حازم عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الأمور كلها - خيرها وشرها - من الله" وزاد؛ وقال: "إن القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله، وآمن بالقدر؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن لم يؤمن بالقدر؛ كان ناقضاً للتوحيد". وقال: "لا يدخل الجنة مكذب بقدر."

وروى محمد بإسناده عن ابن عباس أنه قال: "الناس في القدر على ثلاث منازل، فمن جعل للعباد في الأمر مشيئة فقد ضاد الله في أمره، ومن أضاف إلى الله ما تبرأ منه وتنزه عنه فقد افترى على الله افتراء عظيماً، ورجل قال إن رحم فبفضل وإن عذب فبعدل، فذلك الذي سلم الله له دينه ودنياه جميعاً، لم يجهله في علمه ولم يُظَلمه في خلقه"[1].

قال الحسن: وسألت عن معنى القوة والاستطاعة التي جعلها الله تعالى فينا هل جعلت المشيئة إلينا أن نعمل بالطاعة والمعصية، فإن الله خلق العباد فسواهم وأحسن خلقهم، وجعلهم فاعلين للأشياء مريدين[2] الأفعال، فليس يخلو العبد من أن يكون فاعلاً شيئاً، أو مريداً لشيء وجعل فيهم القدرة لما كلفهم من العمل ومنّ عليهم بالسلامة، وجعل مشيئته محيطة بمشيئتهم فقال: {إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً، وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} [الإنسان:٢٩-٣١]وجعل للعباد العقول والأبصار، والأسماع والألسن، والشفاه والأيدي، والأرجل، ثم احتج عليهم بما خولهم من نعمه فقال: {أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} [الأعراف:١٩٥] وقال في موضع آخر: {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ، وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ، وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد:٨-١٠] وروي أنه لمعرفة الخير والشر، وقال: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} [الشمس:٩،٨]قال: معرفة الفجور والتقوى.

وقد رواه هبة الله اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (١٢٢٤) وابن بطة في: "الإبانة" تحت رقم (١٦١٨، ١٦١٩)، عن الأوزاعي: قال لنا بعض أصحابنا: عن الزهري، عن ابن عباس قال: فذكره موقوفاً عليه. وهو الأشبه بالصواب، والله أعلم. ويتقوى بتعدد الطرق إلى الحسن لغيره.

[1] لم أجده بهذا اللفظ، بعد بحث شديد. وقد روي اللالكائي (١٢٢٧) عن عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ، قَالَ :سَمِعْتُ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ يَقُولُ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ أَرَأَيْت من صَدَّنِي عَنِ الْهُدَى، وَأَوْرَدَنِي الضَّلَالَةَ، وَالرَّدَى، أَلَا تَرَاهُ قَدْ ظَلَمَنِي؟ قَالَ: "إِنْ كَانَ الْهُدَى كَانَ شَيْءٌ لَكَ عِنْدَهُ فَمَنَعَكَاهُ فَقَدْ ظَلَمَكَ، وَإِنْ كَانَ هُوَ لَهُ يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ فَلَمْ يَظْلِمْكَ، قُمْ لَا تُجَالِسْنِي". وسنده ضعيف جدا، لأجل خالد بن يزيد العدوي، فهو واه.

[2] في (ج): مدبرين لِلأفعال.

وسئل محمد عن قوله سبحانه: {يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [النحل:٩٣] قال: يضل من أدبر عنه بالخذلان والترك، قال الله عز وجل: {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ، الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ} [البقرة:٢٧،٢٦] ويهدي الله من أقبل إليه من أهل ولايته بالعون والتوفيق والمن الزائد، قال الله عز وجل: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت:٦٩].

وسئل عن قوله عز وجل: {طُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ} [التوبة:٨٧] قال: هو الخذلان والترك لأهل الكفر والضلالات.

قال الحسني: أخبرنا جعفر بن حاجب إجازة، قال أخبرنا علي بن أحمد بن عمرو، قال: قال محمد بن منصور: بلغني عن رجل يجتمع إليه بالكوفة أنه قال: من زعم أن الله جل وعز سلط إبليس على أيوب فقد كفر، وقد غلط هذا القائل على كتاب الله، ووجهه على غير وجهه، ليس التسليط من الله لإبليس ليغوي العباد؛ لأن الله قد نهاه أن يغوي العباد، وليس ذلك كالتسليط من الله لملك الموت على قبض الأرواح، التسليط لملك الموت على الأمر، وملك الموت مطيع في ذلك محمود، والتسليط من الله لإبليس على جهة التخلية خلي على شيء قد نهى عنه أن يفعله إنما هذا على جهة التملك والإقدار، أما تسمع كيف يقول سبحانه: {أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا} [مريم:٨٣] إنما معناه خلينا إبليس منهي عن المعصية مذموم عليها.

القول في الاستطاعة قبل الفعل [١٥٤]

قال محمد: سألت أحمد بن عيسى عن تقدمة الاستطاعة [والفعل]؟[1]

[1] غير موجود في (ج).

فقال: "الفعل بعد الاستطاعة وليس[١] حيث تذهب المعتزلة أن الاستطاعة هي الآلة التي خلقها الله الفؤاد والسمع والبصر واليدان، والأداة التي جعلها الله منذ هو صغير فإذا بلغ الحنث كلف العمل، وقد تقدم كلام أحمد في ذلك"[٢].

وقال الحسن بن يحيى –عليه السلام–: وسألت عن الاستطاعة قبل الفعل أو بعد الفعل، فإن الله سبحانه خلق العباد فاعلين للأشياء مريدين للأفعال، فلن يخلو العبد من أن يكون فاعلاً لشيء أو مريداً لشيء، والاستطاعة هي القوة والسلامة، فما دام الإنسان سليم العقل والجوارح فيه القوة فهو مستطيع لما كلفه الله وطوقه، فليس يفقد الإنسان القوة حتى يفقد العقل والسلامة والقوة، فالسلامة في الجسم بمنزلة الروح في البدن، فهي مع الفعل[٣] الكائن وقبل الفعل الذي لم يكن، قال الله عز وجل:{فَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[البقرة:٦٤] وقال: {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[النور:٢١] وقال: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ}[يونس:٩٩،١٠٠] وقال: {وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين}[السجدة:١٣] وقال: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ}[الأنعام:١٢٥].

---

[١] في (ج): فليس.
[٢] "أمالي أحمد بن عيسى" (٣٠٣/٤_العلوم).
[٣] في (ج): فهو مع العقل.

قول القاسم -عليه السلام- في ألم الأطفال

قال محمد في "كتاب أحمد"[1]: أخبرني رجل أثق به أنه سمع هذا من القاسم بن إبراهيم: سألت عما يصيب الأطفال من الألم كيف كان الله عز وجل فيما يصيبهم به غير ظالم، ولو فعل بهم غيره ذلك لكان ظالماً؟ قيل له ولا قوة إلا بالله: الفرق فيه عند من أنصف أبين من كل بيان؛ لأن الله عز وجل ولي كل ما بالأطفال من نعمة، وليس بمأمور ولا منهي في شيء من ذلك فلله الشكر واجباً فيما بهم من نعمة وحسنة، وليس لهم على الله عز وجل في ذلك من نعمة واجبة، وكل ما وصل إليهم من الله من ألم أو أذى ففيه موعظة وعبرة لأولي النهى، ودليل على قدرة الله، ولو كان يلزم من ذلك شيء من التجوير والظلم للزم فيما هو أكبر من ذلك من موتهم الذي هو ألم الآلام، وكذلك أيضاً كان يلزم في موت الأبرار وهم أفضل[2] من الأطفال، وليس في هذا، والحمد لله، مسألة يلزم بها تعنيف، ولا يضل بها إلا كل متحير.

القول في أولاد المشركين

قال أحمد بن عيسى فيما حدثنا علي عن ابن هارون، عن سعدان، عن محمد قال: ذكرت لأحمد بن عيسى أطفال المسلمين فقال: في الجنة، وسألته عن أطفال المشركين فقال: قد اختلف فيهم، ولكن قد علمنا أن الله سبحانه لا يعذب أحداً حتى يحتج.

وروى محمد بن فرات وراق[3] محمد بن منصور، عن محمد قال: قال أحمد بن عيسى كان زيد بن علي –عليه السلام– يقول: أطفال المشركين والأبكم، والشيخ

---

[1] "أمالي أحمد بن عيسى" (٣٠٦/٤_العلوم).
[2] في (ب) و(ج): أكبر.
[3] كذا في (ب)، وفي (ج): عن محمد بن منصور.

الفاني، يقولون يوم القيامة يا رب بعثت رسولاً وأنزلت كتاباً وأنا طفل لا أعقل، ويقول الشيخ: وأنا فانٍ لا أعقل، ويقول الأبكم: وأنا لا أعقل، فيقول الله جل وعز: ((صدقتم أنا باعث إليكم رسولاً فمن أطاعه كان كمن أطاعني في الدنيا، [ومن عصاه كان كمن عصاني في الدنيا][١]، فيخدد الله لهم أخدوداً من النار ثم يقال لهم: ادخلوها فمن دخلها منكم كانت عليه برداً وسلاماً)) [١٥٥] قال: وليس يدخلها أحد منهم لعلم الله فيهم[٢].

وسألت أحمد بن عيسى عن الحديث في الأطفال أتثبته؟ قال: قد جاء ذلك عن زيد بن علي وأنا متردد فيه، فلم يثبته.

وقال الحسن بن يحيى: قد أدخل الله النار أولاد المشركين الذين سبق في علمه أنهم لا يؤمنون، قال الله سبحانه لنوح: {أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ}[هود:٣٦] {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً}[نوح:٢٧،٢٦] وأهلك الولدان في زمن عاد وثمود بالصيحة ولا ذنب لهم، ولم يبلغوا الحلم والاختيار، وقتل الخضر الغلام ولم يبلغ الحلم، فبلغنا في الحديث أنه وجد في كفه مكتوب كافر خلقة[٣].

---

[١] غير موجود في (ج).

[٢] روى الإمام أحمد رحمه الله في "مسنده" (١٦٣٠١) ، والبيهقي في "الاعتقاد (169) "، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي يَدُلُّونَ عَلَى اللَّهِ بِحُجَّةٍ - : رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ :رَبِّ ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ، مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا). وحسنه شيخنا الأرناؤوط في تخريج "المسند" ، وصححه الألباني في "الصحيحة" (١٤٣٤) وله شواهد متعددة. منها عن أنس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يؤتى بأربعة يوم القيامة : بالمولود ، والمعتوه ، ومن مات في الفترة ، والشيخ الفاني ، كلهم يتكلم بحجته ، فيقول الرب تبارك وتعالى لعُنُق من النار : أُبْرزْ ، ويقول لهم : إني كنت أبعث إلى عبادي رسلا من أنفسهم ، وإني رسول نفسي إليكم ، أُدخلوا هذه (أي النار) ، قال : فيقول من كتب عليه الشقاء : يا رب أنى ندخلها ومنها كنا نفرّ ، قال : ومن كتب عليه السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعاً ، قال : فيقول الله تعالى أنتم لرسلي أشد تكذيبا ومعصية ، فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار. " رواه أبو يعلى(4224) .

[٣] تقدم تخريجه.

وقال الحسن أيضاً فيما روى ابن صباح عنه وهو قول محمد في "المسائل": صح لنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "أولاد المسلمين في الجنة"[1].

وأما أولاد المشركين فقد اختلف في الرواية عن رسول الله فيهم، والأمر فيه إلى الله سبحانه؛ لأن الله يقول: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} [الشورى:١٠] وقد اختلفت الرواية في أطفال المشركين فهذا مما لا يعلم أن العبد يسأل عنه يوم القيامة فيرد حكمه إلى الله، ونحن نعلم أن الله لا يعذب أحداً حتى يحتج عليه، قال الله عز وجل: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} [الإسراء:١٥].

وقال محمد: سألت أحمد بن عيسى فأجابني بنحو هذا الجواب.

الكلام في خلق الأفعال

قال محمد في "كتاب أحمد"[2] وفي "المسائل" بعضه: سألت أحمد بن عيسى عن أفعال العباد أمخلوقة أم غير مخلوقة؟ فقال: أفعال العباد مخلوقة هي من الله خلق، ومن العباد فعل، لأن خلق الله يقدم فعل العباد، ولا فعل العبد يقدم خلق الله، قد سئل علي-عليه السلام- عن ذلك فقال: "هي من الله خلق ومن العباد فعل، لا تسأل عنها أحداً بعدي"[3].

قال أحمد: إنما يعذب الله العباد على فعلهم لا على خلقه.

---

[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أطفالُ المؤمنينَ في جبلٍ في الجنةِ، يكفلُهم إبراهيمُ وسارَّةُ، حتى يردَّهم إلى آبائِهم يومَ القيامةِ". أخرجه ابن أبي الدنيا في "النفقة على العيال" (٢٠٣)، والحاكم (١٤١٨)، وأبو نعيم في "تاريخ أصبهان" (٢٣٣/٢) باختلاف يسير. وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (١٠٢٣).

[2] "أمالي أحمد بن عيسى" (٣٠٢/٤_العلوم).

[3] سيأتي تخريجه.

قال محمد: وحدثني علي بن أحمد عن أبيه قال: سأل رجل أمير المؤمنين –صلى الله عليه – عن أعمال العباد أشيء منهم أم من الله؟ فقال: "خلقها الله وعملها العباد، لا تسأل عنها أحداً بعدي"[1].

قال أحمد[2]: ومعنى قوله خلقها الله وعملها العباد، أن العباد هم العاملون لها والله خالقها عند فعلهم، فالفعل منهم والخلق من الله معاً، لا أن خلق الله تقدم فعل العباد ولا تأخر عن وقت فعلهم، والثواب والعقاب على فعلهم لا خلقه أعمالهم، والحجة تلزمهم بما ركب من جوارحهم وسلامتها من الآفات المانعة لهم من الفهم بها والحركات، فمن علم منه الهداية جاءته من الله المعونة والتوفيق الزائد، ومن علم منه الضلالة خذله فلم يكن منه هداية وذلك من الله على أوليائه وأهل طاعته بسابق علمه فيهم، وقد ألزمهم حجته فقطع عذرهم فيما كلفهم من طاعته فهم عاملون ما علم لا محالة؛ لأنه لا يحول بينهم وبين طاعته إلا بالخذلان لهم، لسابق علمه فيهم، وقد قطع عذرهم بأن جعل فيهم بما مثله يفهم، فمن لم يفهم فهو مقطوع العذر.

وذلك أنه تعالى ذكره إذا أمرهم بأمر فقد جعل فيهم بما مثله يفهمون ذلك الأمر، من العقل الذي يكتسب ما يثاب عليه ويعاقب؛ لأن معونة الله إياهم على فعلهم هي غير فعلهم، فعلى فعلهم أثابهم لا على معونته لهم على الفعل، وإنما أعان من علم أنه فاعل الطاعة، وخذل من علم أنه فاعل المعصية.

قال محمد في "المسائل": وسئل عن أفعال العباد؟ بلغنا عن علي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "هي من الله خلق ومن العباد فعل".

---

[1] رواه محمد بن منصور في "الأمالي" (٣٠٣/٤_العلوم) عن على بن أبى طالب -رضي الله تعالى عنه- أنه سئل عن أعمال الخلق التي يستوجبون بها من الله تعالى السخط والرضا؟ فقال: هي من العباد فعلا، ومن الله تعالى خلقا، لا تسأل عن هذا أحدا بعدى". وسنده كسنده هنا معضل، لأن أحمد بن عيسى يرويه مباشرة عن علي رضي الله عنه، وبينهما مفاوز تضل فيها القطا.

[2] نفس المصدر.

وقال الحسن: أفعال العباد مخلوقة، أجمع آل رسول الله[١٥٦] صلى الله عليه وآله وسلم على أن الله الخالق لجميع الأشياء لا خالق غيره الأفعال وغير ذلك، والحجة في ذلك كتاب الله عز وجل، قال الله سبحانه: {لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَداً}[مريم:٨٩-٩١] وقال: {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ، وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ}[القمر:٥٢،٥٣] وقال: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}[الصافات:٩٦] فالمنطق[١] والشهوة والحركة من الإنسان مخلوقة، وقال الله عز وجل: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[التين:٤] وكل الخلق يقرون بأن الإنسان مخلوق وليس منه شيء إلا وهو مخلوق.

فإن زعموا أن أفعال العباد ليست منهم، فقد زعموا أن الله عذب العباد على ما ليس منهم، وأثابهم على ما ليس منهم، وإن زعموا أن أفعال العباد منهم فقد ألزمهم الحجة أن أفعال العباد مخلوقة، وإن زعموا أنها ليست منهم مخلوقة فقد جحدوا أن الله خلق العباد.

وسألت عن القدر وعن الخير والشر؟ فالذي نقول إن الله سبحانه خلق الخير والشر وقدر الأشياء تقديراً فقال: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر:٤٩] فقد وصف الله أن فعلهم شيء والله خالق كل شيء، والخير والشر شيء وهما مخلوقان، وقال: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} [الأنبياء:٣٥].

---

[١] في (ج): فالنطق.

الكلام في خلق القرآن

قال محمد في "كتاب أحمد"[١]: ذاكرت عبد الله بن موسى[٢] في قول من يقول: القرآن مخلوق، فقلت: أدركت أحداً من آبائك يقول به؟ قال: لا.

قال محمد: وكان عبد الله –عليه السلام– يكره الكلام فيه وفي غيره مما أحدث الناس، وكان عبد الله إذا ذكر له رجل من يتكلم فيما أحدث الناس من كلام، قال: "اللهم أمتنا على الإسلام ويمسك".

وقال محمد في كتاب "الجملة": رأيت أحمد بن عيسى يترحم على من يقول بخلق القرآن ومن لا يقول به، وكان عنده الأخذ بالجمل محمود، وترك ما فيه الفرقة وهو عنده اتباع للسلف.

قال محمد: حدثني علي بن أحمد الباهلي أنه ذكر أحمد بن عيسى اختلاف الناس في خلق القرآن، فقال أحمد: كلا الفرقتين مخطئة في إقدام بعضهم على بعض بالبراءة.

وقال أحمد بن عيسى فيما حدثنا علي، عن ابن هارون، عن سعدان، عن محمد عنه، وذكر اختلاف الناس وتفرقهم في الدين فقال: إني لخائف على إمام

---

[١] "أمالي أحمد بن عيسى" (٣٠٤/٤_العلوم).

[٢] هو الإمام الجليل العابد الناسك عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي الهاشمي القرشي، ولِد سنة بضع وخمسين بعد المائة بالبصرة زمن استتار والده بها، وَرَد المدينة حيث نزل في نواحيها بأرض السّويقة التي عَمّرَها والِدُه وتوارى بها.
أمه سلمة بنت محمّد بن طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصّديق التيمية القرشية. روى عن أبيه موسى الجَوْن وروايته عنه كثيرة عن جَدّه، وروى عنه أبناؤه محمّد بن عبد الله، وأحمد بن عبد الله، وموسى بن عبد الله، وإدريس بن يحيى بن عبد الله بن الحَسَن، وزيد بن الحَسَن العلوي، وإسماعيل بن يعقوب، ومحمّد بن منصور المرادي. وكان صالحاً عابداً ورعاً زاهداً عالماً عاملاً فاضلاً كاملاً فصيحاً بليغاً أديباً شاعراً. لم يزل متخفياً ومتغيباً إلى أن مات في أيام المتوكل. في يوم الأربعاء ليلة النصف من شهر رمضان سنة ٢٤٧هـ.
راجع: البخاري: "سرّ السلسة العلوية" (ص١٠)، الأزورقاني: "الفخري" (ص٨٧)، ابن عنبة: "عمدة الطالب" (ص١٣٧)، الرازي: "الشجرة المباركة" (ص ٦)، الأصفهاني: "مقاتل الطالبيين" (ص ٦٢٨)، "نسب قريش" (ص٥٥)، ابن فندق: "لباب الأنساب" ٥٥٥/٢، العبيدلي: "تهذيب الأنساب" (ص٤١). ابن شدقم: "تحفة الأزهار" ٣٨١/١، الطبري: "تاريخ الرسل والملوك" ٢٢٥/٦، الخطيب البغدادي: "تاريخ بغداد" ٣١/٧، ابن عساكر: "تاريخ دمشق" ٤٧٧/٦٠، ابن طباطبا: "منتقلة الطالبية" (ص ١٧٤).

لو قام فإنه إن ذهب يوهم كل فرقة أنهم على حق كان أول من يهلك نفسه، وإن سار إلى فرقة أفسد الباقين على نفسه.

وأخبرنا محمد بن علي بن أبي الجراح، قال أخبرنا أبي، قال حدثنا إسحاق بن محمد، قال حدثني حمدان بن علي بن أيوب، قال أخبرني بنين العطار، قال: قدم رجل كان يقدم على أحمد بن عيسى من أصحاب الكلام فيناظره، قال فقدم البصرة وهو مريض، فقمت عليه فلم يزل عندي عليلاً حتى مات، وكتبت إلى أحمد بن عيسى أنه قدم علي فلان، وأنه لم يزل عندي عليلاً حتى مات، وكنت أفعل به وأفعل حتى مات -رحمه الله وغفر له ورضي عنه-، قال: فكتب إليَّ أحمد: أما قولك إني قمت عليه وفعلت به فلعمري أن هذا يجب، وأما قولك -رحمه الله وغفر له ورضي عنه- فإنما أردت بذلك ترضيني أن الرجل كان يلقاني فيناظرني، وكنت أملُه فلما مات انقطعت عصمته، قال: وكان الرجل يقول القرآن مخلوق.

قال الحسني: حدثنا أبو حازم محمد بن علي الوشا، قال حدثنا إسحاق بن محمد المقري، قال أنبأنا علي بن الحسين بن كعب، قال حدثنا يحيى بن حسن بن فرات، ومحمد بن جميل، ومحمد بن راشد قالوا: سألنا عبد الله بن موسى بن عبد الله فقلنا له: ما تقول في القرآن؟ قال: "من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر [١٥٧] لأن الله عز وجل يقول: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ} [التوبة:٦]".

حدثنا محمد بن جعفر بن النجار، وأبو طالب بن الصباغ، وزيد بن مصانة، عن علي بن عبد الرحمن بن ماتي، عن علي بن الحسين بن كعب بمثله.

حدثنا ميمون بن حميد، قال: حدثنا إسحاق بن محمد، قال حدثنا عبيد بن كثير، قال حدثنا عباد بن يعقوب، ويحيى بن حسن بن فرات قالا: سمعنا عبد الله بن موسى بن عبد الله يقول: "القرآن كلام الله ليس بمخلوق".

حدثنا الحسين بن محمد البجلي المقري، قال حدثنا علي بن سفيان بن يعقوب، قال حدثنا سعدان بن محمد بن سعدان، قال سمعت الحسين بن الحكم بن مسلم يحدث أن القاسم كتب إلى عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن يسأله عن القرآن؟

فكتب إليه عبد الله: "نحن نرى أن الكلام في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له، وتكلف المجيب ما ليس عليه، فانته بنفسك والمختلفون في القرآن إلى أسمائه الذي سماه الله بها تكن من المهتدين، فلا تسم القرآن بأسماء من عندك فتكون من الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون"[1].

حدثنا ميمون بن علي بن حميد، قال أخبرنا إسحاق بن محمد المقري، قال حدثنا الحسن بن أبي جعفر المقري، قال حدثنا إبراهيم بن بشر، قال: قلت لعبد الله بن موسى ما تقول في القرآن؟

قال:" كلام الله وكتابه"، فقلت: إن عندنا قوماً يقولون إنه مخلوق، ويقولون من لم يقل إنه مخلوق فهو كافر، قال: "هم أولى بالكفر".

[1] روى ابن بابويه نفس هذه العبارات عن الإمام الرضا علي بن موسى بن جعفر، عليهم السلام، في كتابه "التوحيد" (ص ٢٢٣) عن اليقطيني قال : كتب علي الرضا عليه السلام إلى بعض شيعته ببغداد : « بسم الله الرحمن الرحيم ، عصمنا الله وإيّاك من الفتنة ، فإن يفعل فأعظم بها نعمة ، وإلاّ يفعل فهي الهلكة ، نحن نرى أنّ الجدال في القرآن بدعة ، اشترك فيها السائل والمجيب ، فتعاطى السائل ما ليس له ، وتكلّف المجيب ما ليس عليه ، وليس الخالق إلاّ الله ، وما سواه مخلوق ، والقرآن كلام الله ، لا تجعل له اسماً من عندك ، فتكون من الضالّين ، جعلنا الله وإيّاك من الذين يخشون ربّهم بالغيب ، وهم من الساعة مشفقون ».

قال محمد في كتاب "الجملة": وسألت القاسم بن إبراهيم عن القرآن فقال: "كلام الله ووحيه وتنزيله، لا نجاوز هذا إلى غيره، وهكذا كان أسلافنا".

قال محمد: وكان يقول بخلق القرآن يضمر ذلك، وقال لي القاسم: يقال للذين يقولون القرآن مخلوق أليس قد علم الله أنه مخلوق؟ فإذا قالوا: نعم، قيل لهم: أليس قد علم الله أنه مخلوق واجتزى من الخليقة أن قال لهم مجعول؟ فإذا قالوا: نعم، قيل لهم: فَلِمَ لا تجتزون من خلق الله بما اجتزى الله به في خلقه؟

قال محمد: وذلك حث منه على القول بالجمل، وترك الاختلاف والفرقة.

حدثنا ميمون بن حميد، عن إسحاق بن محمد التمار، عن قاسم بن عبيد، عن بنين بن إبراهيم قال: قلت لقاسم بن إبراهيم قال لي ابن منصور عنك إنك قلت: "من زعم أن القرآن مخلوق فقد ابتدع"، فقال: نعم هما بدعتان، لم يبلغنا أنهم قالوا: مخلوق ولا غير مخلوق، ولكنا نقول كلام الله ووحيه.

حدثنا الحسن بن أحمد [بن][1] القطان، قال حدثنا زيد بن محمد بن أبي الناس، قال حدثنا قاسم بن عبيد، قال حدثنا أحمد بن سلام، قال سألت القاسم بن إبراهيم عن القرآن، وأخبرته بما روي عن زيد بن علي: "إنا لا نشبه بالله أحداً، ولا نقول لكلام الله مخلوق"، فقال: "هكذا أقول".

---

[1]موجود في (ج).

وقال محمد: حدثنا أبو الطاهر[١] عن ابن أبي فديك، عن ابن أبي ذئبٍ، عن الزهري، عن علي بن الحسين أنه سئل عن القرآن، فقال: "كلام الله وكتابه ولا أقول غير ذلك"[٢].

وحدثني حرب بن حسن الطحان، عن أحمد بن مفضل، عن معاوية بن عمار[٣]، قال: سألت جعفر بن محمد -عليه السلام- عن القرآن خالق أو [غير][٤] مخلوق، فقال: "لا خالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الخالق"[٥].

وقال محمد في كتاب "الجملة": وذكر اختلاف الناس وإكفار بعضهم بعضاً وإقدام بعضهم على بعض بالبراءة والتضليل، فقال: رأيت المتفرقين وعاشرت المختلفين في المقالات من الخاصة والعامة، من علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل الفضل منهم، وغيرهم من أهل العلم والفضل من الشيعة الموجبين لإنكار المنكر، وحياطة الدين، فما رأيتهم يكفر بعضهم بعضاً، ولا

---

[١] هو أبو الطاهر أحمد بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب أبو طاهر العلوي المدني. يروي عن: أبيه وابن أبي فديك. وعنه: أبو يونس المديني ومحمد بن منصور الكوفي وغيرهما. له ما ينكر وقد ذكره ابن أبي حاتم وأبو أحمد الحاكم وما ضعفاه. راجع "سير أعلام النبلاء" (٧٢/١٢).

[٢] رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" (١٥٢) ومن طريقه أبو بكر الخلال في "السنة" (١٩٩٦) واللالكائي (٣٨٩)، ورواه البيهقي في "الأسماء والصفات" (٥٣٣) بنحوه، وكلهم رووه من طريق هرون بن حاتم الملائي البزاز الكوفي، وهو ضعيف، ذكره ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٨٨/٩) وابن حبان في "الثقات" (٢٤١/٩).
وقد ثبت بسند حسن عن علي بن الحسين، عليه السلام، من طريق يونس بن بكير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين أنه قال في القرآن: "ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله عز وجل".
رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" (١٥١) ومن طريقه اللالكائي (٣٨٨) والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٥٣٤)، ورواه الخلال في "السنة" (١٩٧٢) وأبو نعيم في "الحلية" (٢٢٠/٣).

[٣] في (ج): عن عمار.

[٤] موجود في (ج).

[٥] رواه عن عمار الدهني عنه عبد الله بن أحمد في "السنة" (١٤٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠) والبخاري في "خلق أفعال العباد" (١٠٩) وابن جرير الطبري في "صريح السنة" (١٥) وعثمان الدارمي في "الرد على الجهمية" (٣٤٥) و"النقض على المريسي" (١٤٧) والآجري في "الشريعة" (١٥٩) وابن بطة في "الإبانة" (٢٠٦٦، ٢٠٦٨، ٢٠٦٩) واللالكائي (٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤) والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٥٣٧) و"الاعتقاد" (٢٦٧) ومن كتب الشيعة الإمامية روى ابن بابويه في "التوحيد" (ص ١٥٦) عن عَلِيُّ بْنُ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلْتُ الصَّادِقَ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ. فَقَالَ: هُوَ كَلَامُ اللَّهِ، وَقَوْلُ اللَّهِ، وَكِتَابُ اللَّهِ، وَوَحْيُ اللَّهِ، وَتَنْزِيلُهُ، وَهُوَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ الَّذِي لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.
قال ابن تيمية في "منهاج السنة" (٥٤/٢): " وَمِثْلُ هَذِهِ الْآثَارِ كَثِيرَةٌ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ". وقال (٤٥/٢): " وَقَدِ اسْتَفَاضَ عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْقُرْآنِ: أَخَالِقٌ هُوَ أَمْ مَخْلُوقٌ؟ فَقَالَ :لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ".
قلت: وقد جاءت آثار بذلك عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم وابنه علي الرضا. فقد روى ابن بابويه في "التوحيد" (ص ٢٢٣) عن الجعفري قال: قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام: يا ابن رسول الله ما تقول في القرآن؟ فقد أُختلف فيه من قبلنا، فقال قوم: إنّه مخلوق، وقال قوم: إنّه غير مخلوق، فقال عليه السلام: «أمّا إنّي لا أقول في ذلك ما يقولون، ولكنّي أقول: إنّه كلام الله عزّ وجلّ». وروى أيضا (ص ٢٢٣) عن الريّان بن الصلت قال: قلت للرضا عليه السلام: ما تقول في القرآن؟ فقال: «كلام الله لا تتجاوزوه، ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلّوا»، وعن ابن خالد قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله أخبرني عن القرآن أخالق أو مخلوق؟ فقال: «ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنّه كلام الله عزّ وجلّ».

يستحلون ذلك، ولا يبرأ بعضهم من بعض، بل قد رأيت بعضهم يتولى بعضاً، ويترحم عليه بعد المعرفة منه بمخالفة بعضهم لبعض في المقالات.

سمعت القاسم بن إبراهيم وذكر أخاه محمد بن إبراهيم[1] فقال: -رحمة الله عليه ورضوانه- إني لأرجو أن يكون له يوم القيامة موقف يغبط به، على أنه كان يقول بشيء من التشبيه، وذلك عندهم [١٥٨] أنه لا يقول بخلق القرآن، وكان يكثر الترحم عليه ما لا أحصيه، ورثاه بأبيات كتبتها عنه.

ومن ذلك أن عبد الله بن موسى ذاكرته هذا الأمر وذكرت له القاسم بن إبراهيم، فقال عبد الله: "وددت أنه فعل حتى أكون أول من وضع يدهُ في يدهِ". قال عبد الله: "وقد بلغني أنه يقول بخلق القرآن، ولم أسمع منه".

قال محمد: وحضرت عبد الله بن موسى -عليه السلام- وجماعة من أهل بيته مجتمعين عند القاسم بن إبراهيم في منزله فتذاكروا هذا الأمر، وكان منهم فيه جد أين يكون؟ وكيف التأني له؟ وكان القاسم أشدهم فيه ذكراً، وكانوا يومون إلى عبد الله بن موسى. فقال عبد الله بن موسى: أنا ليس في شيء قد ضعفت عنه، ولكن من يقوم بهذا وهذه يدي له، وكأنه أومأ إلى القاسم بن إبراهيم.

قال محمد بن منصور: فكل واحدٍ منهما يتولى صاحبه ويدين له بالطاعة، ويؤهله لهذا الأمر الذي ليس فوقه غاية من تقليد الأحكام، والحلال والحرام، والدماء

[1] هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وطَبَاطَبَا لقب أبيه إبراهيم، وقيل بل لقب جدِّه إسماعيل، لُقِّب به لِلَثْغَةٍ في لسانه، ولد بالمدينة سنة ١٧٣ هـ. خرج بالكوفة داعياً إلى الرضا من آل محمد، وخرج معه أبو السرايا (السري بن منصور) الشيباني في أيام المنصور، فغلب على الكوفة ودعا بالآفاق ولقّب بأمير المؤمنين وعظم أمره ثم مات فجأة سنة ١٩٩ هـ. وقول أخيه القاسم الرسي إنه كان يقول بشيء من التشبيه، ويقصد عدم القول بخلق القرآن، فحاشاه من القول بالتشبيه، بل كان على السنة والاعتقاد الصحيح الذي كان عليه متقدمو آل البيت قبل التأثر بعلم الكلام. وهذا النص دليل واضح لما قلناه في المقدمة من أن متقدمي آل البيت كانوا على نفس اعتقاد جمهور السلف. انظر: أبو الفرج الأصفهاني، "مقاتل الطالبيين" (٥١٨ ـ ٥٣٦). تحقيق سيد أحمد صقر.

والمواريث، وهذه غاية الولاية أن جعله بينه وبين الله في دينه، يحل به ويحرم، يحل به الجمعة ركعتين ويحرم به الظهر أربعاً في وقت الجمعة.

قال محمد: وكان عمرو بن الهيثم المرادي[1] من كبار أصحاب سليمان بن جرير، وكان يقول القرآن مخلوق ويشدد في ذلك، وسمعته يقول: "لا رحم الله ابن أبي دواد[2]، كان الناس على جملة تؤديهم إلى الله عز وجل، فطرح بينهم الفرقة–يعني حين أظهر المحنة في القرآن–".

قال محمد: وكان عمرو بن الهيثم، وبشر بن الحسن[3]، ومحمد بن يحيى الحجري دعاة لعبد الله بن موسى ومذهبهم واحد–يعني كانوا يقولون بخلق القرآن–، وكان عبد الله بن موسى قد بعث ابنيه أو أحدهما مع بشر بن الحسن إلى طاهر بن الحسين يدعوه إلى هذا الأمر، مع معرفة عبد الله بقول بشر ومعرفة بشر بعبد الله، وقوله بالجمل فلم أر أحداً من هؤلاء دان بالبراءة ممن خالفه في المقالة.

قال محمد: وذكر عبد الله بن موسى محمد بن يحيى الحجري[4] فقال: "كان أصدق أهل الكوفة لي".

قال محمد: وسمعت القاسم بن إبراهيم يقول: "ما رأيت كلاميا[5] قط له خشوع"، ثم قال: "الجُمل الجُمل".

---

[1] لعله عمرو بن الهيثم بن قطن بن كعب الزبيدي القطعي، أبو قطن البصري. روى عن مالك وعبد العزيز الماجشون وأبي حنيفة وغيرهم، وعنه أبو ثور وأحمد بن حنبل وغيرهم. وكان ثقة ثبتا، لكنه كان قدريا، وتوفي بعد المائتين. راجع "تهذيب الكمال" (٢٢/ ٢٨٠) وذيوله. ويشكل على ذلك أن أبا قطن هذا - وإن كان من القدرية - فهو زبيدي بصري.. بينما ذاك مرادي كوفي فيما يظهر، كما يستبعد أن شيخا في هذا العمر الكبير يكون رسولا داعية لعبد الله بن موسى العلوي. فالله أعلم بحقيقة الأمر.

[2] هو أحمد بن أبي دُواد فرج بن جرير بن مالك قاضي القضاة أبو عبد الله الإيادي كان فصيحاً مفوَّهاً شاعراً جواداً ممدَّحاً رأساً في الاعتزال، أصله من قرية بقنسرين وتجر أبوه إلى الشام وكان معه حدثا فنشأ في طلب العلم وخاصة الفقه والكلام وصحب هياج بن العلاء السلمي وكان من أصحاب واصل بن عطاء فصار إلى الاعتزال، وهو الذي شغب على الإمام أحمد وأفتى بقتله، وبسببه وفتياه امتحن الإمام أحمد وأهل السنة بالضرب والهوان على القول بخلق القرآن. توفي سنة ٢٤٠ هـ. راجع "سير أعلام النبلاء" (١٦٩/١١).

[3] لم أهتد إليه.

[4] لعله محمد بن يحيى الحجري الكندي الكوفي، يروي عن عبد الله بن الأجلح الكندي، وعنه إبراهيم بن درستويه والحسن بن الطيب الشجاعي والحسين بن عمر الثقفي وغيرهم. راجع: "الضعفاء" (١٤٨/٤) و"ميزان الاعتدال" (٦٥/٤).

[5] في (ج): كلمانياً.

قال محمد: وقال لي محمد بن عبد الله الاسكافي[١]، وكان يقول بخلق القرآن: "إذا كان هذا الأمر كتبنا على الأعلام لا إله إلا الله محمد رسول الله، القرآن كلام الله"، نريد بذلك الألفة، واجتماع الكلمة، وترك الاختلاف والفرقة.

قال محمد: وقد عاشرت رؤساء المعتزلة ومن لا أحصي منهم ممن يقول بهذا القول، ومنهم جعفر بن حرب[٢]، وجعفر بن مبشر القصبي[٣]، ومحمد بن عبد الله الإسكافي، فما سألني أحد منهم قط عما يختلف الناس فيه من أمر القرآن والاستطاعة، ولا كشفوني عن شيء من ذلك.

فأخبرني أبو سهل الخراساني أنه كان رسول سهل بن سلامة[٤]، وهو من كبار المعتزلة وعبادهم إلى عبد الله بن موسى يدعوه أن يتقلد هذا الأمر ويكون سهل عوناً له عليه.

قال محمد: فهذا غير سبيل المنتحلين اليوم للدين، وغير ما أظهروا وشرعوا من التباين والبراءة والتكفير، وهذا هو الفُرقة والاختلاف الذي نهى الله عنه في القرآن بقوله: {وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[آل عمران:١٠٥] وقوله: {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ}[آل عمران:١٩] فأخبر الله سبحانه أن اختلافهم بغي من بعضهم على بعض، وأخبر عز وجل أن في الفُرقة الضعف والفشل

---

[١] هو أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي أحد المتكلمين من المعتزلة، توفي سنة ٢٤٠ هـ. انظر ترجمته في " تاريخ بغداد " (٥/ ٤١٦).

[٢] هو أبو الفضل جعفر بن حرب الهمذاني المعتزلي العابد، كان مِنْ نُسَّاك القوم، وله تصانيف، توفي سنة ٢٣٦ هـ. مترجم في " السير " ١٠/ ٥٤٩ ـ ٥٥٠.

[٣] هو أبو محمد جعفر بن مبشر الثقفي المعتزلي. قال الذهبي: كان مع بدعته يوصف بزهد وتألُّه وعِفَّة، وله تصانيف جمة، وتبحّر في العلم. انظر ترجمته في " السير " ١٠/ ٥٤٩.

[٤] أبو حاتم سهل بن سلامة الأنصاري، ثائر قام زمن المأمون، قام ببغداد ودعا إلى الأمر بالمعروف وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَر، فبايعه خلق من المطوعة، وقمعوا كثيرًا من أهل الفساد؛ ثم آل أمرهم إلى الخروج والقتال. ولكنه انهزم وسجن سنة ٢٠٢ هـ. انظر "تاريخ الإسلام" (٩/٥).

عن العدو، فحذر من ذلك بقوله: {وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}[الأنفال:٤٦] يقول لا شريك له: فتذهب[١٥٩] هيبتكم.

فهذا ما ندب الله عليه مع ما رأينا عليه السلف الصالح المتقدم، الذين يصلح أن نجعلهم بيننا وبين الله؛ لأنهم لا يخلون من إحدى منزلتين، إما أن يكونوا علموا أن الديانة فيما بينهم وبين الله القول ببعض هذه المقالات التي تنازع الناس فيها حق واجب لازم، فأجزأهم من ذلك الإضمار ورأوا الصواب والرشد في الإمساك عن إظهار ما فيه الفرقة والاختلاف، الذي نهى الله عنه، فرأوا الجمل والقول بظاهر القرآن كافياً مؤدياً للعباد إلى الله عز وجل فتمسكوا بذلك، فينبغي لمن أم الدين وقصد إلى الله، الاقتداء بهم، والتمسك بسبيلهم، أو يكونوا لم يعتقدوا في ظاهر الأمر وباطنه إلاّ القول بظاهر القرآن والجمل المجتمع عليها فقد يجب الاقتداء بهم أيضاً في ذلك.

قال محمد: وهذا أحمد بن عيسى قد اجتمع عليه المختلفون، واتحد من يشركه في أمره جماعة من المتفرقين.

وقد كتب إليه عبد الله بن محمد بن سليمان[١] يسأله عن القرآن وغيره باختلاف الناس فيه، فكان فيما كتب إليه أحمد بن عيسى: "ذكرت اختلاف الناس في القرآن ولم يختلفوا أنه من عند الله".

فهذا من أحمد دليل على أن الأخذ بظاهر القرآن والجمل المجتمع عليها مجز مؤدٍ إلى الله عز وجل، وقد علمت أن رجال أحمد بن عيسى الذين كان يوجههم في أموره مختلفون، منهم حسن بن هذيل على مذهب أبي الجارود[٢]،

---

[١] في (ج): محمد بن عبد الله بن سليمان.

[٢] زِيَاد بن الْمُنْذر أَبُو الْجَارُود الثَّقَفِيّ الْكُوفِي، يروي عَن أبي الطُّفَيْل وَالْأَعْمَش. قَالَ أَحْمد وَالنَّسَائِيّ: مَتْرُوك الحَدِيث، وَقَالَ يحيى: كَذَّاب عَدو الله لَا يُسَاوِي فلسًا. وَقَالَ ابْن حبَان: كَانَ رَافِضِيًّا يضع الحَدِيث فِي مثالب أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَآله لَا يحل كتب حَدِيثه، وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيّ: مَتْرُوك الحَدِيث وَقَالَ إِنَّمَا هُوَ مُنْذر بن زِيَاد. وهو رأس الفرقة الجارودية من الزيدية. قال الشهرستاني في

ومنهم عبد الرحمن بن معمر وهو يظهر القول بالقرآن لا يستتر به، ومُخَوَل بن إبراهيم[1]، وأمثالهم كثير من المختلفين، فلم نره بان بفرقة يفارق فيها أخرى.

وقد كان -رحمة الله عليه- عالماً بما يضيق عليه من ذلك، وما يتسع له في أمر دينه، ولو ضاق عليه ذلك لم يفعله.

وهذا الحسن بن يحيى أنا متصل به منذ أربعين سنة أو قريب من ذلك، يعاشر ضروباً من المتدينين مختلفين في المذاهب، فما رأيته مع قوله بالجملة، وكراهيته للفرقة امتحن أحداً، ولا كشف له عن مذهب، بل قد رأيته يعمهم بالنصيحة، ويحسن لهم العشرة، وترحم على من مضى من سلفه وأهل بيته، ممن يوافقه في المقالة ويخالفه، هذا مع جلالة سنه، وكثرة علمه، ومعرفته بما يلزم في ذلك ويجب عليه.

قال محمد في كتاب "الجملة": وأخبرني من أثق به من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن محمد بن عبد الله[2] أنه أوجب على من قام بهذا الأمر الدعاء لجميع الديانين، وقطع الألقاب التي يدعي بها فرق المضلين، وغلق الأبواب

بيان عقيدتهم: " زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على عليّ رضي الله عنه بالوصف دون تسميته، وهو الإمام من بعده، والناس قصروا؛ حيث لم يتعرفوا الوصف، ولم يطلبوا الموصوف، وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم، فكفروا بذلك.
وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة إمامه زيد بن علي؛ فإنه لم يعتقد هذا الاعتقاد". راجع "الملل والنحل" (١٥١/١). راجع هذه الأقوال في أبي الجارود في كتاب "تهذيب الكمال" للحافظ المزيّ (٥١٨/٩-٥١٩) ط مؤسسة الرسالة.

[1] مخول بْن إِبْرَاهِيم بْن مخول بْن راشد النهدي الكوفي. صاحب الإمام يحيى بن عبد الله بن الحسن. روى عن إسرائيل وقيس بن الربيع وعمرو بن شمر وغيرهم، وعنه :أحمد بن يحيى الصوفيّ، وأحمد بن عثمان بن حكيم، وأبو حاتم الراويّ. وهو صدوق، لكنه كان من غلاة الشيعة الذين يبغضون الصديق، رضوان الله عليه. توفي سنة ٢١٤ هـ. انظر: "تاريخ الإسلام" (٤٠٤/١٥) و"ميزان الاعتدال" ٤/ ٨٥ رقم ٨٣٩٨، و"لسان الميزان" ٦/ ١١ رقم ٣٤.

[2] هو الإمام محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي الهاشمي القرشي، ولد بالمدينة سنة ١٠٠ هـ. يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا القاسم. أمه :هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد القرشية الأسدية. روى عن أبيه، وأبي الزناد، ونافع مولى ابن عمر و الأعرج، عن أبي هريرة، في كيفية الهوي إلى السجود، وقال: وحدث عنه عبد الله بن جعفر المخرمي، وعبد العزيز الدراوردي ، وعبد الله بن نافع الصائغ صاحب الإمام مالك، ووثقه النسائي وغيره. ولما بويع لبني العباس، اختفى محمد وأخوه إبراهيم مدة خلافة أبي العباس السفاح، فلما صارت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور جد في طلبهما، فخرج أخوه إبراهيم إلى البصرة، وقتل. أما محمد النفس الزكية، فخرج بالمدينة وكاد يهزم أبا جعفر، لكن تفرق عنه الكثير وبقى معه القليل، وكان الإمامان أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس يناصرانه، ويقال إنهما ابتليا بسبب ذلك. وكان مقتله يوم الإثنين بعد العصر، لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ١٤٥ هـ، ودفن بالبقيع. رضي الله عنه وأرضاه. وقد صنف كتاب "السير" وقد طبع مؤخرا ما وجد منه، ونقل عنه أبو عبد الله العلوي في "الجامع الكافي"، وقيل إن محمد بن الحسن الشيباني استفاد منه كثيرا في كتابه "السير". راجع: "تاريخ الطبري" (٦:١٥٦) و"مقاتل الطالبيين" لأبي الفرج الاصفهاني (ص ٢١٣ ـ ٢١٤)، و"تهذيب الكمال" (١٦٥/٢٥) و"سير أعلام النبلاء" (٢١٠/٦).

التي في فتح مثلها يكون عليهم التلف، والإمساك عما شتت الكلمة، وفرق الجماعة، وأغرى بين الناس فيما اختلفوا فيه وصاروا به إخواناً، والدعاء لطبقات الناس من حيث يعقلون إلى السبيل التي لا ينكرون وبه يؤلفون، فيتولى بعضهم بعضاً، ويدينون بذلك، فإن اجتماعهم عليه اثبات للحق وإزالة للباطل.

قال محمد: وكذلك سمعنا عن إبراهيم بن عبد الله[1] أنه سئل عن بعض ما يختلف الناس؟ فيه من المذاهب فلم يجب فيه، وقال: أعينوني على ما اجتمعنا عليه حتى نتفرغ لما اختلفنا فيه.

حدثنا أبو الحسن محمد بن جعفر بن محمد النحوي، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال حدثنا محمد بن منصور، قال: قال لي القاسم بن إبراهيم: أخبرني بعض من أثق به من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن محمد بن عبد الله بن الحسن أنه قال: "يجب على من قام بهذا الأمر الدعاء لجميع الناس، وقطع الألقاب التي يدعي بها فرق المضلين"، وذكر مثل هذا الكلام.

وقال الحسن بن يحيى: "أجمع آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن الله خلق كل شيء، والقرآن كلام الله ووحيه وتنزيله، يسمى بما سماه الله به في كتابه، لا يجاوز ذلك إلى غيره".

وقال الحسن وسئل عن القرآن؟ "قد وجدنا الله سبحانه سمى القرآن بأسماء[١٦٠] في كتابه لم يرد من خلقه أن يتكلفوا للقرآن اسماً غير ما سماه الله به، وقبل ذلك من أهل الإسلام في عصر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، ومن القرون التي كانت من بعده حتى تكلم المتكلمون بالرأي، وتراقوا[2] في دينهم رجماً بالغيب إلى صفة ما لا يدركون من نعت خالقهم، وحتى نحلوا القرآن أسماء برأيهم

---

[1]
[2] كذا في (ب)، وفي (ج): ترافعوا.

لم يجدوه منصوصاً في آية محكمة يستغنى بها في التأويل، واحتجوا بأنهم لم يجدوا للمجعول معنى يصرفونه إليه إلا مخلوقاً، فسموا القرآن برأيهم مخلوقاً ولم يسموه مجعولاً كما قال الله، ومنزلاً ومحدثاً كما قال الله، ولم يتراقوا رجماً بالغيب إلى تحديد القرآن من ذات الله تبارك وتعالى عن أن يدركه الواصفون إلا بما وصف به نفسه في كتابه، بلا تحديد ولا تشبيه ولا تناهي.

ومعنى قوله: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً}[الزخرف:٣] صيرناه، قال الله سبحانه: {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ}[ص:٢٦] يعني إنا صيرناك خليفة في الأرض، ولسنا نقول إن القرآن خالق ولا مخلوق، ولكنا نسميه بالأسماء التي سماه الله بها في محكم كتابه، قال الله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً}[النساء:١٦٤] وقال: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ}[الشورى:٥١] وقال: يا موسى {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي [وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي}[طه:١٤] فمن زعم أن الداعي لموسى إلى عبادته غير الله فقد ضل، وقال الله تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ}[الشورى:٥١]][1] فقد بين الله لنا كيف جهة كلامه، فكلام من هو كلامه أرسل به جبريل إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن كلامه وحي بلا رسول، وقوله: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ}[القصص:٧] {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} [النحل:٦٨] فقد أوحى بلا رسول، ومنه الوحي إلى الرسل في النوم، ومن كلامه لموسى –عليه السلام– بلا كيفية، فليس لنا أن نكيف ما لم يكيف الله، ولا نحد ما لم يحد الله، فمن حد ما لم يحدد الله فقد اجترأ على تأويل علم الغيب بلا حجة.

---

[1] غير موجود في (ج).

والقرآن كلام الله ووحيه وتنزيله وكتابه، وقال: {قُرْآنٌ مَجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} [البروج:٢١،٢٢] وقال: {قُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ} [الواقعة:٧٧،٧٨] وقال: {كِتَابٌ عَزِيزٌ، لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت:٤١،٤٢] وقال: {وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ} [الشعراء:٥] فأحدث في قلوب العباد بالرسل من تنزيل الكتاب ما لم يكونوا يعلمون.

وإنا وجدنا الله يقول في كتابه: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً}[الكهف:١٠٩] وقال: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[لقمان:٢٧] وقال: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[النحل:٤٠] فإذا كان القرآن يكون بكن ويكون كن يكن فمتى يتناهى علم من رجم بالغيب في معرفة كينونة القرآن من ذات الله، وقد قال علي – صلى الله عليه –: "يا بردها على الكبد إذا سئل المرء عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم"[1].

حدثنا زيد بن حاجب، عن ابن وليد، عن جعفر بن الصيدلاني قال: أخبرني يحيى بن أبي عطاء البزاز أنه سمع الحسن بن يحيى يقول: "ليس بمخلوق–يعني القرآن".

وقال الحسن فيما روى ابن صباح عنه، وهو قول محمد في "المسائل": وسئل عمن يقول القرآن مخلوق أو غير مخلوق فقالا: "القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله، نقول في ذلك ما قال الله ولا نتعدى ذلك إلى غيره، والله خالق كل شيء،

---

[1] رواه الدارمي في " مسنده" (١٨٥،١٨٤،١٨٣) والبيهقي في "المدخل"(2/261-262/794) وَذَكَرَ الشَّعْبِيُّ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ: «مَا أَبْرَدَهَا عَلَى الْكَبِدِ، مَا أَبْرَدَهَا عَلَى الْكَبِدِ» فَقِيلَ لَهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: " أَنْ تَقُولَ لِلشَّيْءِ لَا تَعْلَمُهُ: اللَّهُ أَعْلَمُ "، ورواه الخطيب البغدادي في "الفقيه والمتفقه" (١١٠٣) وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٥١٠/٤٢). وسنده حسن.

الأول قبل كل شيء وخالقه، والباقي [بعد][1] كل شيء ووارثه، وكلما كان من دون الله فهو مخلوق".

وقال أبو جعفر محمد بن علي -عليه السلام- [١٦١]: "الزم ما اجتمع عليه المتفرقون".

قال محمد: فاكتف بما لا خلاف فيه ولا فرقة من الجملة التي دل عليها الكتاب، وما أُجمع عليه من الخبر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن المحنة عندنا في القرآن بدعة.

وأما من يقول: إن الله لم يكلم موسى تكليماً فإن هذا راد لتنزيل القرآن، بل نقول كما قال الله عز وجل: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً}[النساء:١٦٤] على معنى ما أراد، لسنا نكيف ذلك، وقد علمنا أن الكلام من الله على وجوه شتى، وكذلك الوحي منه على وجوه شتى، قال الله عز وجل: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ}[الشورى:٥١] فهذه حالات الأنبياء، وقوله: {إِلاَّ وَحْياً} في النوم، وكذلك كان أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمس سنين إنما يرى في النوم الوحي، ثم ظهر له جبريل بعد ذلك[2].

وأما قوله: {أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} فكما كلم موسى -عليه السلام-. وأما قوله: {أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً} فهو جبريل -عليه السلام-.

---

[1] غير موجود في (ج).

[2] في خبر عائشة المطول في البخاري (٣): أول ما بدىء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلاَّ جاءت مثل فَلَقِ الصبح ... وانظر " الفتح " ١/ ٢٧.

وقال محمد وقد سئل عن قوله: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس:٨٢] فقال: "نقول في ذلك ما قال الله ولا نكيفه، ويقال والله أعلم: إن لوحاً بين عيني إسرافيل فإذا أراد الله أمراً قرأه إسرافيل في ذلك اللوح".

القول في خلق الجنة والنار

قال محمد في "كتاب أحمد"[١]: سألت أحمد عن الجنة والنار قلت: أخلقتا؟

قال: هما مخلوقتان، قد خلقهما الله تعالى، وأسكن آدم الجنة، وأخرج إبليس منها.

قال السيد الشريف: حدثنا محمد بن الحسين بن غزال، قال حدثنا علي بن عبد الجبار، قال حدثنا محمد بن منصور المقري، قال: سألت أحمد بن عيسى قلت: خلقت الجنة والنار؟

قال: إي والله لقد خلقت الجنة، وأسكن فيها آدم وأخرج منها إبليس.

قال الحسن ومحمد: الجنة والنار مخلوقتان قد خلقهما الله، اتصل بنا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعن علماء أهل البيت –عليهم السلام.

قال محمد: وهذا عندنا إجماع العلماء، وإنما يدفع ذلك من لا يعلم.

---

[١]"أمالي أحمد بن عيسى" (٣٠٤/٤_العلوم).

قال الحسن فيما روى ابن صباح عنه، وهو قول محمد في "المسائل":

ومن قال إن الله لم يخلق الجنة والنار، ولكن يخلقهما بعد، فإنا نقول: إن هذا القول تكلف من قائله، وجرأة وقذف بالغيب وبدعة.

قال الحسن: وقد ذكر الله الجنة {جنتان...ذواتا أفنان} [الرحمن:٤٦_٤٨]، {جنتان...مدهامتان} [الرحمن:٦٢_٦٤]، و[الكهف:١٠٧]، {جنة المأوى} [النجم:١٥]، و{جنة عدن}، وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين} [آل عمران:١٣٣]، فأخبر أنه قد أعدها للمتقين، وقال لآدم: {اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} [البقرة:٣٥]، وقال: {اهْبِطَا مِنهَا جَمِيعاً} [طه:١٢٣] وقال: {عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى} [النجم:١٥،١٤] وقد أجمع المسلمون أن سدرة المنتهى في الجنة التي أُعدت للمتقين.

وقال في النار: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقهَا} [الكهف:٢٩] وقال: {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة:٢٤] وقال: {النَّارُ يعْرَضُونَ عَلَيهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا} [غافر:٤٦] وقال: {لَهَا سَبعَةُ أَبوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ} [الحجر:٤٤] فقد دل على أنه قد خلقها وكونها، إذ قال عرضها كذا وفيها كذا، وقول الله لا يسقط ولا يختلف، وذلك لأنه مقت من قول العباد أن يقولوا ما لا يفعلون.

والآثار المشهورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه دخل الجنة حيث أُسري به إلى السماء، وأُري النار ومن فيها، فنعت ما فيها[1]، فذلك دليل على إبطال

[1] من ذلك ما رواه البخاري (٣٢٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه " بيْنا نَحْنُ عِنْدَ رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، إذْ قالَ :بيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي في الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إلى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلتُ: لِمَن هذا القَصْرُ؟ فقالوا :لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا، فَبَكَى عُمَرُ وقالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يا رَسولَ اللَّهِ!"، ومنها حديث أنس عند البخاري (٣٥٠) وغيره: "ثم أُدخلت الجنة، فإذا فيها حبائل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك"، والأحاديث بهذا المعنى كثيرة.

قولهم، ولا سبيل إلى ترك التنزيل بقول التأويل المبطل مع أخبار كثيرة مشهورة متسق بها الخبر، أثبتها العلماء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في إثبات خلق الجنة والنار.

القول في عذاب القبر

قال محمد[1]: سألت أحمد بن عيسى عن منكر ونكير، فقال: لست أدفعه، وقال: الفتانين، وسألت القاسم بن إبراهيم عن منكر ونكير فقال: إن الحديث فيهما كثير، وإن الله سبحانه يقدر عليه كما يقدر على غيره.

وقال الحسن بن يحيى: وسئل عن منكر ونكير وما يسأل عنه العبد فقال: سمعنا عن النبي، [وعن علي][2] -صلى الله عليهما- أنهما قالا: "القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار"[3]. ويسأل عن خمس: "من ربك؟ ومن نبيك [١٦٢]

---

[1] "أمالي أحمد بن عيسى" (١٣٩٦_رأب الصدع).

[2] غير موجود في (ج).

[3] روى الترمذي (٢٤٦٠) من طريق عُبَيْد اللهِ بْن الوَلِيدِ الوصافِيّ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: " دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُصَلاَّهُ فَرَأَى نَاسًا كَأَنَّهُمْ يَكْتَشِرُونَ - أي يضحكون - قَالَ: (أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ أَكْثَرْتُمْ ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ: لَشَغَلَكُمْ عَمَّا أَرَى، فَأَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ؛ الْمَوْتِ!! فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى القَبْرِ يَوْمٌ إِلاَّ تَكَلَّمَ فِيهِ فَيَقُولُ : أَنَا بَيْتُ الغُرْبَةِ ، وَأَنَا بَيْتُ الوَحْدَةِ ، وَأَنَا بَيْتُ التُّرَابِ ، وَأَنَا بَيْتُ الدُّودِ ، فَإِذَا دُفِنَ العَبْدُ الْمُؤْمِنُ قَالَ لَهُ القَبْرُ: مَرْحَبًا وَأَهْلاً ، أَمَا إِنْ كُنْتَ لأَحَبَّ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ ، فَإِذْ وُلِّيتُكَ اليَوْمَ ، وَصِرْتَ إِلَيَّ : فَسَتَرَى صَنِيعِيَ بِكَ ، قَالَ: فَيَتَّسِعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الجَنَّةِ ، وَإِذَا دُفِنَ العَبْدُ الفَاجِرُ ، أَوِ الكَافِرُ ، قَالَ لَهُ القَبْرُ: لاَ مَرْحَبًا وَلاَ أَهْلاً ، أَمَا إِنْ كُنْتَ لأَبْغَضَ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ ، فَإِذْ وُلِّيتُكَ اليَوْمَ ، وَصِرْتَ إِلَيَّ ، فَسَتَرَى صَنِيعِيَ بِكَ !! قَالَ: فَيَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَلْتَقِيَ عَلَيْهِ وَتَخْتَلِفَ أَضْلاَعُهُ). قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِأَصَابِعِهِ ، فَأَدْخَلَ بَعْضَهَا فِي جَوْفِ بَعْضٍ قَالَ: (وَيُقَيِّضُ اللَّهُ لَهُ سَبْعِينَ تِنِّينًا ، لَوْ أَنْ وَاحِدًا مِنْهَا نَفَخَ فِي الأَرْضِ : مَا أَنْبَتَتْ شَيْئًا مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا ، فَيَنْهَشْنَهُ وَيَخْدِشْنَهُ حَتَّى يُفْضَى بِهِ إِلَى الْحِسَابِ). قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّمَا القَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ).
وقال الترمذي عقبه : " هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ " .
عطية: هو ابن سعد العوفي القيسي، ضعيف، ضعفه النسائي، وأبو زرعة، والساجي، وغيرهم .انظر: "التهذيب" (٧/٢٠٠-٢٠٢). وعبيد الله بن الوليد راويه عنه: ضعيف أيضا، بل ضعيف جدا، ضعفه ابن معين، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وغيرهم، وقال عمرو بن علي، والنسائي: ليس بثقة ولا يكتب حديثه، وقال العقيلي: في حديثه مناكير، لا يتابع على كثير من حديثه. " تهذيب التهذيب" (٧ /٥٠-٥١)، " ميزان الاعتدال " (١٧/٣).
ويغني عنه أيضا ما رواه الترمذي (٢٣٠٨) وحسنه، وابن ماجة (٤٢٦٧)، وأحمد (٤٥٤)، والحاكم (٧٩٤٢) عَنْ هَانِئٍ، مَوْلَى عُثْمَانَ، قَالَ: " كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ) قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ).
صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في "صحيح الترمذي".
لكن هذا الحديث بجميع رواياته ليس عن علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه.
أما رواية علي، رضي الله عنه، فقد رواها أبو إسحاق الثقفي في "الغارات" (٢٣٣/١)، وابن شعبة في "التحف" (ص١٢٤)، وأبو جعفر الطوسي في "الأمالي" (٢٤/١) والمفيد في "الأمالي" (ص ٢٦٠)، وذكرها الشريف الرضي في "نهج البلاغة" باب الكتب تحت رقم ٢٧ باختصار، بألفاظ مختلفة، وحديث طويل، وسنده غير صحيح ففيه مجاهيل لا يعرفون. وفيه: " يا عباد الله ما بعد الموت لمن لم يغفر له أشد من الموت، القبر، فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته، إن القبر يقول كل يوم: أنا بيت الغربة، أنا بيت التراب، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود والهوام. والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار."

وما دينك وما إمامك ومن وليك؟ فيقول المؤمن: الله ربي، ومحمد نبيي، والقرآن إمامي، والإسلام ديني، وعلي وليي"[1].

---

[1] لم يثبت أننا نسأل في قبورنا عن ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضوان الله وسلامه عليه، ولكن جاءت بذلك روايات في كتب الشيعة لا يصح منها شيء، وعلامات الوضع بادية عليها. فمنها ما رواه الكليني في "الكافي" (٢٢٩/٣): عن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (جعفر بن محمد) قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أُخْرِجَ مِنْ بَيْتِهِ شَيَّعَتْهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى قَبْرِهِ يَزْدَحِمُونَ عَلَيْهِ حَتَّى إِذَا انْتَهَى بِهِ إِلَى قَبْرِهِ قَالَتْ لَهُ الْأَرْضُ مَرْحَباً بِكَ وَ أَهْلًا أَمَا وَ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يَمْشِيَ عَلَيَّ مِثْلُكَ لَتَرَيَنَّ مَا أَصْنَعُ بِكَ فَتَوَسَّعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ وَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ مَلَكَا الْقَبْرِ وَ هُمَا قَعِيدَا الْقَبْرِ مُنْكَرٌ وَ نَكِيرٌ فَيُلْقِيَانِ فِيهِ الرُّوحَ إِلَى حَقْوَيْهِ فَيُقْعِدَانِهِ وَ يَسْأَلَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ. فَيَقُولَانِ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ: وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، فَيَقُولَانِ وَمَنْ إِمَامُكَ؟ فَيَقُولُ: فُلَانٌ. قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: صَدَقَ عَبْدِي افْرُشُوا لَهُ فِي قَبْرِهِ مِنَ الْجَنَّةِ".
وجاء لفظ المؤلف فيما رواه أبو جعفر الطوسي في "الأمالي" (ص ٣٩٠) دثنا جعفر بن محمد بن مسرور، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر بن جامع الحميري، عن أبيه، قال: حدثنا أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه محمد بن خالد، عن خلف بن حماد الأسدي، عن أبي الحسن العبدي، عن الأعمش، عن عباية بن ربعي، عن عبد الله بن عباس، قال: أقبل علي بن أبي طالب (عليه السلام) ذات يوم إلى النبي (صلى الله عليه وآله) باكيا، وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): مه يا علي. فقال علي (عليه السلام): يا رسول الله، ماتت أمي فاطمة بنت أسد. ثم قال يعد كلام: ثم زحف النبي (صلى الله عليه وآله) حتى صار عند رأسها، ثم قال: يا فاطمة، أنا محمد سيد ولد آدم ولا فخر، فإن أتاك منكر ونكير فسألاك: من ربك؟ فقولي: الله ربي، ومحمد نبيي، والاسلام ديني، والقرآن كتابي، وابني إمامي ووليي. ثم قال: اللهم ثبت فاطمة بالقول الثابت. ثم خرج من قبرها، وحثا عليها حثيات، ثم ضرب بيده اليمنى على اليسرى فنفضهما، ثم قال: والذي نفس محمد بيده، لقد سمعت فاطمة تصفيق يميني على شمالي. إلخ.. وهو حديث طويل واضح البطلان والوضع!!
أمَّا ما هو السؤال الذي تسأله الملائكة في القبر فهو مبين في الحديث الآتي:
عن البراء رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر ، ثلاث مرات ، - أو مرتين - ثم قال : إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا و إقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس حتى يجلسون منه مد البصر معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة يجيء ملك الموت فيقعد عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فإذا أخذوها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط فيخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون: هذا فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فيفتح لهم فيستقبله من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، قال: فيقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في عليين في السماء السابعة وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيُجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. فيقولان: ما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت به فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيأتيه من طيبها وروحها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: ومن أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي. وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح حتى يجلسون منه مد البصر ثم قال : ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : يا أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط الله وغضبه قال : فتفرق في جسده ، قال : فتخرج فينقطع معها العروق والعصب كما تنزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في تلك المُسوح فيخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على ظهر الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى سماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط (الأعراف / ٤٠) ، قال : فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فتطرح روحه طرحا وقال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق)، (الحج / ٣١)، قال : فيعاد روحه في جسده ويأتيه الملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: وما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، قال: فينادي مناد من السماء أفرشوا له من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار. قال: فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف عليه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة رب لا تقم الساعة."
رواه أبو داود (٤٧٥٣) وأحمد – واللفظ له (18063) – صححه الألباني في " صحيح الجامع" (1676)، والصحيح أن الملكين لا يسألان الميت في قبره إلا عن أمور التوحيد والعقيدة، وهو واضح بيِّن.

وقال الحسن فيما روى ابن صباح عنه، وهو قول محمد في "المسائل": منكر ونكير حق[1]، ومن لم يقر بمنكر ونكير جهلاً منه فينبغي له أن يتعلم من العلماء، وإن كان لا يقر به إنكاراً لذلك ورداً له فقد ثبت لنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه أثبت منكراً ونكيراً وعذاب القبر، وأجمع على ذلك علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغيرهم، وقد ثبت لنا عن علي –صلى الله عليه–[2] أنه قال: القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، فهو كما روي عنه.

وروي عن علي –صلى الله عليه– أنه قال: "حرام على نفس تخرج من الدنيا حتى تعلم إلى أين مصيرها"[3].

قال محمد: بلغنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن علي، وعن علي بن الحسين، وأبي جعفر، وزيد بن علي –عليهم السلام– وغيرهم من علماء أصحاب[4] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منكر ونكير أحاديث كثيرة صحيحة، وهو عندنا كما قالوا[5].

القول في الصراط والميزان

قال الحسن فيما روى ابن صباح عنه، وهو قول محمد في "المسائل": الصراط والميزان عندنا حق، ومن لم يقر بذلك جهلاً منه فينبغي له أن يتعلم ذلك

[1] ودليل هذه التسمية ما رواه أحمد (٣/ ٣٨٣)، وابن حبان (٧/ ٣٨٦) (٣١١٤٧)، وغيرهما من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً " (إذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر والآخر: النكير ...)، والحديث حسنه الألباني - رحمه الله - وانظر "السلسلة الصحيحة" (١٣٩١)، وفي هذا الحديث، وما في معناه رد على الذين ينكرون تسمية الملكين بمنكر، ونكير.

[2] في (ج): عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

[3] رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٣٨٤٤٥) حدثنا أبو أسامة عن سفيان عن أبي حازم عن المنهال قال: قال علي: "حرام على كل نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم إلى أين مصيرها". وفيه انقطاع، فإن المنهال لم يلق علياً، عليه السلام.

[4] في (ج): من علماء آل رسول الله.

[5] أورد تلك الروايات الإمام المرشد بالله الشجري في آخر كتابه "الأمالي الخميسية" بأسانيده (٢٩٥٥_٢٩٨٥)، وفيها ذكر منكر ونكير بالاسم، وإثبات عذاب القبر، وهي بمفرداتها قد لا يصح سندها، ولكن أصل إثبات عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ثابت كما وضحته من الأحاديث الصحيحة الثابتة.

من العلماء، وإن كان لا يقر بذلك إنكاراً له ورداً له، فإن الصراط والميزان ثابت[1] عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخبر المتسق.

قال محمد: وقال الله تعالى في كتابه: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [الأنبياء:٤٧] فذلك عندنا حق على معنى ما قال الله سبحانه لسنا نكيف ذلك، ولن تسأل العباد، إن شاء الله، عن تكييف ما لم يكيفه الله، غير أنا نؤمن بذلك على معنى ما قال الله، ونقول ما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قال الله عز وجل: {مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتهُوا} [الحشر:٧] ولسنا نكيف ما لم يكيف لنا.

باب القول في الإجماع

قال محمد في "كتاب أحمد"[2]: سمعت أحمد بن عيسى يقول: لا يختلف آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حق حكم من الله جل وعز، وذكر اختلاف أبي جعفر وزيد بن علي -عليهما السلام- في نكاح نساء أهل الذمة، فقال أبو جعفر: هو حلال، وقال زيد: هو حرام.

قال أحمد بن عيسى[3]: فلم يحرمه زيد بن علي على أن تحريمه حكم من الله، ولو كان كذلك لبرئ كل ممن خالفه، وبرئ كل واحدٍ منهما من صاحبه، ولكنه حرمه من جهة النظر على أنه عنده كذلك.

---

[1] في (ج): ثابتان.
[2] "أمالي أحمد بن عيسى" (٣٢٢/٤_العلوم).
[3] هو تتمة ما سبق في نفس المصدر.

قال محمد: حدثنا عباد، عن عمرو بن ثابت، عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر إنكم تختلفون، قال: "إنا نختلف ونجتمع، ولم يجمعنا الله على ضلالة"[١].

وقال الحسن: كل ما أجمع عليه أبرار العترة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله فقد لزم أهل الإسلام العمل به.

قال الحسن: والحجة من الله عز وجل على الخلق آية محكمة من كتاب الله تحل حلالاً، أو تحرم حراماً، أو تأمر بأمرٍ، أو تنهى عن نهي.

وقال الحسن في وقت آخر: الحجة من الله على الخلق آية محكمة تدل على هدى أو ترد عن ردى، أو سنة من رسول الله مشهورة متسق بها الخبر عن غير تواطئ أو عن علي، أو عن الحسن أو عن الحسين -عليهم السلام-، أو عن أبرار العترة العلماء الأتقياء المتمسكين بالكتاب والسنة، الذين دل عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبر أن الهدى فيهم، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبرنا أن الهدى في التمسك بالكتاب، وبمن[٢] تمسك بالكتاب من العترة، فهذا موضع الحق والهدى، وبه تقوم الحجج في كل ما اختلف الناس فيه.

وذلك [١٦٣] أن أهل الإسلام أجمعوا على التصديق بالله، والتصديق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والتصديق بالكتاب الذي جاء به من عند الله، بإجماع الأمة بالأخبار المشهورة عن غير[٣] تواطئ.

وقال الحسن في وقت آخر: المخرج من الاختلاف في الحلال والحرام اتباع المحكم المنصوص عليه من كتاب الله، والأخذ بالأخبار المشهورة المتسق

---

[١] رواه محمد بن منصور في "أمالي أحمد بن عيسى" (٣٢٢/٤_العلوم)، وعباد هو ابن يعقوب الرواجني، قال الدارقطني: عباد بن يعقوب شيعي صدوق، "ميزان الاعتدال"(٢/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، توفي سنة ٢٥٠ هـ. يروي عن عمرو بن أبي المقدام ثابت بن هرمز الحداد الكوفي، وهو ضعيف، توفي سنة ١٧٢ هـ. راجع "تهذيب الكمال" (ترجمة ٤٠٦٧)، وأبوه ثقة صالح كما في "تهذيب الكمال" (ترجمة ٨٣٣). فهذا سند ضعيف، ومع ذلك فقد يقصد الأمة الإسلامية عامة وليس آل البيت خاصة.

[٢] في (ج): من.

[٣] في (ج): من.

بها الخبر عن غير تواطئ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو عن علي – صلى الله عليه – أو عن خيار العترة الموافقة للمحكم من كتاب الله، واتباع الأبرار الأتقياء الأخيار من عترة رسول الله، فهذه الحجج الواجبة على المسلمين.

قال الحسن: فيما اجتمعت[1] الأمة عليه من الفرائض فإجماعهم هو الحجة على اختلافهم؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "ما كان الله ليجمع أمتي على ضلالة"[2].

وما اختلفوا فيه من حلال أو حرام، أو حكم أو سنة فدلالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك قائمة بقوله: "إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا [3]حتى يردا عليَّ الحوض"[4]. فهذا موضع الحجة منه عليهم،

---

[1] في(ج): أجمعت.

[2] رواه أبو داود (٤٢٥٣) عن أبي مالك الأشعري بلفظ (إن الله أجاركم من ثلاث خلال أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعا وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق وأن لا تجتمعوا على ضلالة)، ورواه الترمذي (٢١٦٧)عن ابن عمر بلفظ (إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ إلى النار)، وفي الباب عن أنس وكعب بن عاصم الأشعري عند ابن أبي عاصم في "السنة"، وانظر "السلسلة الصحيحة" رقم (١٣٣١) و"ظلال الجنة" له (رقم ٨٢ و٨٣). قال الإمام محمد بن جعفر الكتاني، رحمه الله، في "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" : "ذكر ابن الهمام في التحرير وغير واحد أنها متواترة معنى ونص ابن الهمام ومن الأدلة السمعية أي على أن الإجماع حجة قطعية آحاد تواتر منها مشترك لا تجتمع أمتي على الخطأ ونحوه كثير اهـ. ومن ألفاظه "إن اللّه لا يجمع أمتي على ضلالة"، الحديث أخرجه الترمذي وغيره عن (١) ابن عمر بإسناد رجاله ثقات لكن فيه اضطراب، و"سألت ربي أن لا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها" أخرجه أحمد وغيره عن (٢) أبي بصرة الغفاري. و"إن اللّه أجاركم من ثلاث خلال وذكر منها وأن لا تجتمعوا على ضلالة"، أخرجه أبو داود وغيره عن (٣) أبي مالك الأشعري. و"إن أمتي لا تجتمع على ضلالة" الحديث أخرجه ابن ماجه وغيره عن (٤) أنس. "لا يجمع اللّه هذه الأمة على ضلالة ويد اللّه مع الجماعة"، أخرجه الحاكم في "المستدرك" عن (٥) ابن عباس، وأورده في "المقاصد" في حرف لام الألف، وقال بعد كلام: "وبالجملة فهو حديث مشهور المتن ذو أسانيد كثيرة وشواهد متعددة في المرفوع وغيره" اهـ وراجعه وراجع أيضاً "شرح التحرير" لابن أمير الحاج في الباب الرابع من المقالة الثانية".

[3] في (ج): يفترقا.

[4] هناك روايات عدة وردت لهذا الحديث من طريق زيد بن أرقم ومن طريق أم سلمة، ومن طريق علي، ومن طريق زيد بن ثابت، ومن طريق أبي سعيد الخدري، ومن طريق جابر بن عبد الله (رضي الله عنهم).
اما حديث زيد بن أرقم، رضي الله عنه، فَعَنْهُ أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قال: "وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. قال زيد: فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: "وأهل بيتي، أذكركم الله أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي"، أخرجه مسلم (٢٤٠٨)، وأحمد (١٩٢٨٥)، والدارمى (٣٣١٦)، وعبد بن حميد (٢٦٥) وابن خزيمة (٢٣٥٧)، وابن حبان (١٢٣)، والحاكم (٤٧١١).
وأما حديث علي (رضي الله عنه) وفيه أن النبي، صلى الله عليه واله وسلم، قال: "إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، سببه بيد الله وسببه في أيديكم، وأهل بيتي". أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (١٥٥٨) من طريق الكثير بن زيد وهو ضعيف، ضعفه أبو حاتم والنسائي وأبو زرعة، ويعقوب بن شيبة، وابن المديني.
وحديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) وفيه:
أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قال: "تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض".
أخرجه الترمذي (٣٧٨٨) وأبو يعلى (١٠٢١) وأحمد (١١١٤٧) وابن سعد (١٩٤/٢) وابن أبى شيبة (٣٠٠٨١)، وفيه عطية العوفي، وهو ضعيف، ضعفه الامام أحمد وأبو حاتم والنسائي وغيرهم.
وحديث زيد بن ثابت، رضي الله عنه، وفيه: "إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض".

وهذا خبر مشهور، ونقلته الأمة عن[1] غير تواطؤ، فأبرار آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رؤساء الأمة وقادتها وسادتها، الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الهدى في التمسك بهم، وإنما هذا خاص لهم دون غيرهم، وهم الذين أورثوا الكتاب، وأمر[2] برد الأمور إليهم، فقال: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [النحل:٤٣].

وقال الحسن في وقت آخر: وفرض الله اتباع العلماء فقال: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ} وسمى الله رسوله ذكراً فقال: {قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً، رَسُولاً}[الطلاق:١٠،١١] فأهل بيته المصطفون الطاهرون العلماء الذين أوجب الله أن يسألوا، وأن يكونوا متبوعين غير تابعين، وقال الله سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}[التوبة:١١٩] وقال: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}[النساء:٨٣] فدل عليهم بالعلم أنهم يعلمون ما يجهل العباد معرفته من ظاهر أحكام الله، وفرائضه وحدوده، وسننه التي لا يسع العباد جهلها، ولا يسوغ لهم الإضراب عنها، فمن ادعى ديناً أو تأول تأويلاً، أو ذهب إلى رأي من الآراء من غير الطريق الذي دل عليه الكتاب والرسول، وأبرار العترة فقد ضل ضلالاً بعيداً، وقال الله عز وجل: {مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[الحشر:٧] وقال عز وجل:

أخرجه أحمد (٢١٩١١) وأخرجه الطبراني(4923) ، وفيه القاسم بن حسان، وثقه أحمد بن صالح والعجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، وضعفه البخاري وابن قطان، وسكت عنه ابن أبي حاتم، وضعفه الذهبي، وقال ابن حجر: مقبول، وفيه شريك بن عبد الله وهو سيء الحفظ. راجع "تهذيب الكمال" (٣٧١/٢٣).
وورد بلفظ" إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به بعدى لن تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى وإنهما لن يتفرقا حتى يَرِدَا علىَّ الحوضَ"، أخرجه عبد بن حميد (٢٤٠) من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني قال الذهبي: حافظ منكر الحديث وقد وثقه ابن معين وغيره وقال احمد بن حنبل كان يكذب جهارا وقال النسائي ضعيف. وفيه كذلك شريك بن عبد الله وهو سيء الحفظ .راجع "تهذيب الكمال" (٤١٩/٣١) وذيوله.
وحديث جابر بن عبد الله، رضي الله عنه، وفيه: "يا أيها الناس! إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي"، أخرجه الترمذي (٣٧٨٦) والطبراني (٢٦٨٠)، فيه زيد بن حسن الأنماطي، قال أبو حاتم منكر الحديث، وقال ابن حجر: ضعيف. وحديث الأمر بالتمسك بالعترة نعم صححه الألباني وغيره، انظر "المشكاة" (٦١٤٤)، "الروض النضير" (٩٧٧ - ٩٧٨)، "الصحيحة" (٤ / ٣٥٦ - ٣٥٧) وقال، رحمه الله: "إن الحديث صحيح بعد التأكد من تخريجه وإن قال بعضهم بتضعيفه. وأن كلمة عترتي يعني بها أهل بيته كما جاء في بعض طرق الحديث".

[1] في (ج): من.

[2] في (ج): وأمروا.

{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً}[النساء:١١٥].

وقال محمد بن علي وزيد بن علي -عليهم السلام- وكانا إمامين من أئمة الهدى: "ونحن ولد فاطمة أئمتكم في حلالكم وحرامكم"[١].

قال الحسن: فكل ما أجمع عليه [أبرار][٢] علماء العترة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله، فقد لزم أهل الإسلام العمل به.

فمما أجمع عليه علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفي التشبيه عن الله، وأنه ليس كمثله شيء، ولا تدركه الأبصار، تعالى عن الصفات والأشباه، والأنداد والنظراء، وأن الله خالق كل شيء، وأن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله، ونسميه بما سماه الله به في كتابه لا نجاوز ذلك إلى غيره، وأجمعوا على كراهية الجدال والإحداث في دين الله، والنظر فيما لم يكلف الناس النظر فيه، وأجمعوا أنه من أحسن فلله عليه المنة في إحسانه، ومن أساء فلله عليه الحجة في إساءته، وهو غير معذور في معصيته، ولن يخرج الخلق بين قدرة الله وتدبيره وملكه، وأن الله خالق لجميع الأشياء لا خالق غيره الأفعال وغير ذلك، وأجمعوا على النهي عن الكلام في تفسير القرآن بغير علم، ورووا في ذلك هم والأمة معهم: "من فسر القرآن برأيه أو قال فيه بغير علمٍ قولاً عظيماً"[٣]، ورووه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن بعده ممن يجب الأخذ عنه، وأجمعوا هم[١٦٤] والأمة معهم على أن في القرآن ناسخاً ومنسوخاً، ومحكماً ومتشابهاً، وخاصاً وعاماً، وأنه لا يسع أحداً يتكلم

---

[١] لم يذكر سنده كي ننظر فيه.

[٢] غير موجود في (ج).

[٣] لفظ الحديث: " مَنْ قَالَ فِي القُرآنِ بِرأيِهِ، فَلْيَتَبوأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ".
أخرجه الترمذي (٢٩٥١)، وأحمد في "المسند" (٢٠٦٩، ٢٤٢٩، ٢٩٧٦، ٣٠٢٥) من طرق عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً.. فذكره. قال الترمذي: "هذا حديث حسن". ووافقه البغوي. وهذا السند ضعيف لضعف عبد الأعلى، ولكن للحديث شواهد وطرق، فلعله حسنه الترمذي والبغوي لأجلها.

في القرآن إلا من يعلم ذلك، وأن أحداً لا يكون في القرآن حجة بالرأي والاستحسان.

بلغنا أن[١] النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "من فسر آية من كتاب الله برأيه لقي الله وهو عليه ساخط"[٢]. ولو أن تأويل القرآن مباح للناس، وأن الله تعبدهم بأن يتأولوا القرآن برأيهم ومبلغ عقولهم، ما احتاجوا إلى أن الله يبعث إليهم الرسل يعلمونهم السنن، ومن زعم أن التأويل مباح لغيره فقد أكفر نفسه إذ زعم أن لمن خالفه إذا تأول القرآن برأيه أن يكون على الصواب، فلمن خالفه أن يكفره ويضلله، وإنما التأويل هو الذي نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعلمه إياه عن رب العالمين، ليس يوصل إلى ذلك التأويل إلا بالأخبار المشهورة المتسقة عن[٣] غير تواطؤ، أو بنقل صادق عن صادق، وأجمعوا هم وعلماء الأمة على أنه ما كان من فرض من حلال أو حرام، أو أمرٍ أو نهي في كتاب الله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو المبين لذلك عن الله والدال عليه، والحجة على الخلق من الله جل وعز فيه لقوله عز وجل: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر:٧]، وقوله: و{أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} [آل عمران:٣٢] ونحو ذلك في القرآن كثير.

وأجمعوا على أن كل ما فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحرمه مما ليس له أصل في القرآن مثل الرجم للمحصن والمحصنة، ومثل قوله: "يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب"[٤]، ومثل قوله: "لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها"[٥]، وما كان نحو ذلك فإجماع آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلماء

---

[١] في (ج): عن.
[٢] لم أجد هذا اللفظ من الحديث.
[٣] في (ج): من.
[٤] أخرجه البخاري (٢٦٤٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
[٥] رواه البخاري (٥١٠٩) ومسلم (١٤٠٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا ، وَلَا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا) .

الأمة على أن ذلك لازم العمل به، والحكم به لا يسع أحداً تركه ولا خلافه، ولم ينظروا في ذلك إلى رد الخوارج، ومن قال بقولهم في رد الأخبار، وقالوا: ليس الخوارج من علماء الإسلام وليس لهم مع أهل العلم نظر، لقول النبي، صلى الله عليه وآله وسلم: "يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية"[1]، وتجريهم على تأويل القرآن بلا حجة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهذه الخصال مما اجتمع عليه آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند الاختلاف وهي أصول الدين، وما يلزم أهل الإسلام العمل عليه، والاقتداء به.

ثم اختلفت الأمة بعد ذلك في فروع هذه الأصول فسبيل سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والأخذ بما أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والاقتداء بما أجمع عليه علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وترك ما سوى ذلك.

قال محمد في كتاب "الجملة": يلزم الحجة في الإجماع بآية محكمة لا تحتمل تأويلاً، أو بسنة قائمة عن رسول الله لا يختلف فيها إجماع الأمة، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لا تجتمع أمتي على ضلالة"[2]، والإجماع الذي لا اختلاف فيه الذي يقوم مقام القرآن.

اجتمعت[3] الأمة على أشياء منها: أنه إذا زالت الشمس فقد دخل وقت الظهر ووجبت الصلاة، وأجمعوا جميعاً أن الظل وقت زوال الشمس ما كان من نقصان فأنت في صدر النهار ولم تزل الشمس، وإذا ابتدأ الظل في الزيادة فقد زالت الشمس ودخل وقت الظهر، وأجمعت الأمة جميعاً أنه إذا غربت الشمس وأيقنت

---

[1] رواه البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤) عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
[2] روى الترمذي (٢١٦٧) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ). وقد تقدم قريبا.
[3] في (ج): أجمعت.

خروج النهار ودخول الليل فقد أفطر الصائم، ووجبت صلاة المغرب، وأجمعت الأمة إذا طلع الفجر فقد حرم الطعام على الصائم وحلت صلاة الفجر، وأجمعوا أن الفجر هو المعترض، واختلفوا فيما قبل ذلك من سائر الفرائض التي تجب أو تزول بطلوع الفجر، لاختلافهم في النور الساطع الممتد في أفق السماء.

وقال محمد في كتاب "الجملة": وإذا اختلف أهل العلم في الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحلال والحرام، نظر في المعنى الذي اختلف فيه هل له أصل في القرآن؟ فإن أصاب له أهل العلم أصلاً في القرآن ردوا المعنى إلى الأصل الذي في القرآن[١٦٥] فإن كان موافقاً له، أو قريباً منه، أو هو أشبه من غيره في القرآن، عمل بالذي هو أشبه من غيره بالقرآن، فإن لم يعرفوا له أصلاً في القرآن نظروا فيمن حمل ذلك المعنى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أقواها إسناداً، وأثبتها عن النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، فعمل بذلك، فإن لم يعرفوا فيه عن النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، أصلاً ثبتت به حجة، وكان الاختلاف في ذلك بين أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، نظر في أعلم أصحاب رسول الله بالكتاب والسنة، والحلال والحرام، وأتقاهم لله وأولاهم، أن يجعلوه بينهم وبين الله تبارك وتعالى، فعمل بما صح عنه في ذلك المعنى، فإن حدثت حادثة لم يجدوا لها أصلاً في القرآن، ولا خبراً عن النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، تثبت به حجة، عمل فيها بمثل حديث النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، لمعاذ، ومثل قول النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، لعلي -عليه السلام- في هذه المسألة يكون شورى بين العابدين من المؤمنين، فإن اختلف أهل العلم الموثوق

بهم في حادثة، أخذ بأحوط الأمور وأبعدها من الشبهات؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "دع ما يريبك إلا ما لا يريبك"[1].

وقال محمد في "كتاب أحمد": بلغنا عن علي –صلى الله عليه – أنه قال: "ما ورد عليَّ أمران كلاهما لله رضاً إلا أخذت بأشدهما على بدني وأبعدها من هواي"[2].

وعن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "الحلال بين والحرام بين وبينهما شبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا إن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله محارمه"[3].

القول فيما يجب قبوله من الأخبار

قال محمد: سمعت أبا الطاهر أحمد بن عيسى يقول: إذا سمعت بحديثين وثبت عندي حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحديث عن علي –صلى

[1] هذا الحديث أخرجه الترمذي (٢٤٤٢)، وأحمد (١٦٣٠)، وابن حبان (٧٢٢) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: " حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ)، وقد صححه الشيخ الألباني رحمه الله، ورواه النسائي (٥٦١٥) من غير زيادة "فإن الصدق طمأنينة ....".

[2] رواه الثقفي في "الغارات" (٨١/١) قال: حدثنا محمد حدثنا: الحسن حدثنا: إبراهيم أخبرني يوسف بن كليب بن عبد الملك عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود عن معاوية بن عمار، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن علي: قال: "ما اعتلج على علي عليه السلام أمران لله قط، إلا أخذ بأشدهما، وما زال عندكم يأكل مما عملت يده يؤتى به من المدينة، وإن كان ليأخذ السويق فيجعله في الجراب، ثم يختم عليه مخافة أن يزاد فيه من غيره، ومن كان أزهد في الدنيا من علي عليه السلام؟ "! والسند فيه مجاهيل وتخليط، فإن كان المقصود بأبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود الصحابي وابنه، فهذا مستحيل، وإن كان غيرهما فهما مجهولان. ووجدته من كلام الإمام أبي جعفر الباقر، رضي الله عنه، في "أمالي" ابن بابويه (ص ٣٥٦) حدثنا أبي (رحمه الله)، قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن محمد بن قيس، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام)، أنه قال: "والله إن كان علي (عليه السلام) ليأكل أكل العبد، ويجلس جلسة العبد، وإن كان ليشتري القميصين السنبلانيين، فيخير غلامه خيرهما ثم يلبس الآخر، فإذا جاز أصابعه قطعه، وإذا جاز كعبه حذفه، ولقد ولي خمس سنين ما وضع آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطيعا، ولا أورث بيضاء ولا حمراء، وإن كان ليطعم الناس خبز البر واللحم، وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخل، وما ورد عليه أمران كلاهما لله رضا إلا أخذ بأشدهما على بدنه، ولقد أعتق ألف مملوك من كد يده، تربت فيه يداه، وعرق فيه وجهه، وما أطاق عمله أحد من الناس، وإن كان ليصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وإن كان أقرب الناس شبها به علي بن الحسين (عليهما السلام)، وما أطاق عمله أحد من الناس بعده".

[3] رواه مسلم (١٥٩٩)، ورواه ابن منصور في "الأمالي" (١٨٣/٣_العلوم).

الله عليه – أخذت بالحديث الذي عن علي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه كان أعلم الناس بآخر ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم[١].

قال الحسن بن يحيى: وإذا روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خبر، فرواه علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [على][٢] غير ما روته الأمة عن النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، كانت الحجة فيما رواه آل رسول الله، وأثبتوه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وكذلك الرواية عن أمير المؤمنين، إذا روت الأمة عنه خلاف ما روى خيار آل رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، كانت الحجة وصحة النقل ما رواه علماء آل رسول الله عن أمير المؤمنين.

فإذا اختلفت الأمة بعد أمير المؤمنين في الأحكام، في الحلال والحرام والسنن، كان ما صح عن علماء آل رسول الله أوجب أن يؤخذ به، وترك[٣] ما سواه، وبذلك أمروا أن يتمسكوا بهم عند الاختلاف والتفرق، فإن جاء عن أبرار العترة ما تختلف الرواية فيه في النقل والأخبار أخذنا من ذلك بأوثق ما جاءنا عنهم وأحوطه للدين وأبعده من الشبهة، فإن حدثت حادثة لم يبلغنا عنهم فيها خبر كان ذلك شورى بين العابدين من المؤمنين، فإذا اجتمعوا[٤] على أمرٍ عمل به، وإن اختلفوا أخذ في ذلك بالاحتياط فيما حدث بأشق الأمرين على الأبدان، وأبعده من الهوى، وكذلك سمعنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"[٥].

---

[١] "أمالي أحمد بن عيسى" (١/٢٣٨_العلوم).

[٢] غير موجود في (ج).

[٣] في (ج): ويترك.

[٤] في (ج): أجمعوا.

[٥] أخرجه الترمذي (٢٤٤٢)، وأحمد (١٦٣٠)، وابن حبان (٧٢٢) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: " حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ)، وقد صححه الشيخ الألباني رحمه الله، ورواه النسائي (٥٦١٥) من غير زيادة (فإن الصدق طمأنينة ....).

وسمعنا عن أمير المؤمنين –صلى الله عليه – أنه قال: "ما ورد عليَّ أمران كلاهما لله رضاً إلا أخذت بأشقهما على نفسي وأبعدهما من هواي"[1]، فهذا موضع الحجة والصواب عند اختلاف الأمة وافتراقها.

القول في القياس والرأي

قال الحسن: وسئل عن القياس في الدين هل يجوز؟ فقال: القياس بالرأي في الدين بالابتداع حرام، والرأي بالخلاف لكتاب الله وسنة نبيه[2] محرم، ومباح لهم أن يتبعوه بالرأي والقياس بكتاب الله وسنة نبيه، متبعين غير مبتدعين ولا متبعين للهوى، وإنما جعل الله العقول للعباد ليتدبروا ويتفكروا ويقيسوا الأشياء بعضها ببعضٍ ويميزوا بعقولهم فقال: {أَفَلاَ يَتَدَبرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى[١٦٦] قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد:٢٤] وقال: {أَفَلاَ يَتَدَبرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً} [النساء:٨٢] وقال: و{الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فيتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ} [الزمر:١٨] وقد سمعنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي –صلى الله عليه –: "اعمل بما في كتاب الله ، وبما وجدته في سنة رسول الله ، واعطف الرأي على الهدى إذا قومك عطفوا الهدى على الرأي"[3].

وقال محمد في كتاب "القضاء": إذا ورد على القاضي أمر لم يجده في الكتاب، ولا في السنة، ولا في إجماع الأمة، فليجتهد رأيه[4] في تمثيله وقياسه بأشبه

---

[1] تقدم تخريجه قبل صفحات.

[2] في (ج): رسوله.

[3] أورد هذا الحديث الحافظ السيوطي في "جمع الجوامع" (٣٤٣٧٢) والمتقي الهندي في "كنز العمال" (٤٤٢١٦) عن يحيى بن عبد الله بن الحسن عن أبيه قال: كان على يخطب فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى من أهل الجماعة ومن أهل الفرقة ومن أهل السنة ومن أهل البدعة؟ فقال: ويحك أما إذا سألتنى فافهم عنى ولا عليك ألا تسأل عنها أحدا بعدى فأما أهل الجماعة فأنا ومن اتبعنى وإن قلوا...في حديث طويل جدا. وفيه: " فقلت يا رسول الله فأرشدنى إلى الفلج عند الخصومة يوم القيامة فقال نعم إذا كان ذلك فاقتصر على الهدى إذ قومك عطفوا الهدى على العمى وعطفوا القرآن على الرأى فتأولوه برأيهم تتبع الحجج من القرآن بمشتبهات الأشياء الكاذبة عند الطمأنينة إلى الدنيا والتهالك والتكاثر فاعطف أنت الرأى على القرآن إذا قومك حرفوا الكلم عن مواضعه عند الأهواء الساهية".إلخ. وعزاه إلى وكيع. وواضح أنه حديث موضوع.

[4] في (ج): برأيه.

الأصول به وليستعن بغيره من أهل العلم ويستشيرهم، فإن أجمع رأيه ورأيهم على شيء فليحكم به.

القول فيمن رد الآثار واستغنى بظاهر القرآن عن الأخبار

قال محمد في كتاب "الجملة": ولابد لمن تأول القرآن في الأحكام والحلال والحرام أن يستعمل الآثار، واتباع السنن في تأويل القرآن، قال الله عز وجل:{فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ}[النساء:٩٢] ففي أي مكان فسر ذلك من القرآن بلا أثر فيه اتباع سنة أن الدية كذا وكذا في وقت كذا، تؤخذ في كذا من الذهب والورق، والإبل والغنم، وما أشبه ذلك؟ وعلى من هي؟

وقال عز وجل: {وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ} [المائدة:٤٥] فأي مكان قال لك في القرآن في الموضحة كذا وما الموضحة؟ وفي الهاشمة كذا وما الهاشمة؟ وفي المنقلة كذا وما المنقلة؟ وفي الآمة كذا وما الآمة؟ وكذلك الجائفة وغيرها من الجراحات، وقوله سبحانه: {عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ} [البقرة:٢٣٦] وقوله: {يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ} [المائدة:٩٥] فانظر رحمك الله، ما قدر الموسع والمقتر؟ وما الحكم في ظبي؟ أو فوق[1] ذلك أو دونه؟ وهل يستخرج حكم الله وسنة رسوله في ذلك إلا بالآثار التي رواها المسلمون بعضهم عن بعض؟

فمن دفع الآثار في ذلك وزعم أنه مستغن بالقرآن لقوله عز وجل: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}[الأنعام:٣٨]فهذ رجل جاهل، متهم على الإسلام بعمد أو جهل، ليس له أن يتكلم في دين الله، وإنما قوله عز وجل: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}[الأنعام:٣٨] يريد الأصول والأمهات، مثل {أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة}، {ولله على الناس حج البيت}، وما أشبه ذلك من الفرائض المسميات التي فسرت

[1] في (ج): وما فوق ذلك.

بالرواية الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعن العلماء بعده، لا يدرك تفسيرها وشرحها إلا بالرجوع إلى الآثار.

القول في سماع العلم من أهل الخلاف

قال الحسن: وسألت عن سماع العلم من أهل الخلاف، وذكرت أن أقواماً يكرهون ذلك، فالجواب في ذلك: أن رسول الله ،صلى الله عليه وآله وسلم، قد بلّغ ما أمر به، وعلم أمته ما فرض الله عليهم وما سنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم، ولم يقبض إلا عن كمال الدين، فسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منقسمة عند من سمعها من أصحابه، فمنهم من حفظ، ومنهم من قدم وأخر ونسي وغفل، ومنهم من بدل وغير وزاد ونقص، وقد ثبتت الحجة من رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، على أمته أنه بلغ إليهم ما أمر به، ودلهم على من يحفظ ما نسوا، ويعلم ما جهلوا، وأمرهم بالتمسك به عند اختلافهم، والاتباع له عند تفرقهم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "يا علي حربك حربي، وسلمك سلمي، وأنت مع الحق والحق معك"[١].

---

[١] رواه ابن المغازلي في "مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب" (٧٣) أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن موسى الغندجاني قال حدثنا أبو الفتح هلال بن محمد الحفار قال :حدثنا إسماعيل بن علي بن رزين عن أبيه قال: حدثنا أخي دعبل بن علي قال: حدثنا شعبة بن الحجاج عن أبي التياح عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أتاني جبريل عليه السلام بدرنوك من درانيك الجنة، فجلست عليه، فلما صرت بيني يدي ربي كلمني وناجاني، فما علمني شيئاً إلا علمه علي، فهو باب مدينة علمي"، ثم دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إليه فقال لي: " يا علي سلمك سلمي، وحربك حربي، وأنت العلم ما بيني وبين أمتي من بعدي". وهذا سند ضعيف جدا، فإسماعيل بن علي بن رزين متهم بالكذب، كما قال الذهبي، وقال الخطيب: ليس بثقة.
وروى له شاهدا (٢٨٥) أخبرنا أبو الحسن علي بن عبيد الله بن القصاب البيع، رحمه الله، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يعقوب المفيد الجرجرائي، حدثنا أبو الحسن علي بن سليمان بن يحيى، حدثنا عبد الكريم بن علي، حدثنا جعفر بن محمد بن ربيعة البجلي، حدثنا الحسن بن الحسين العرني، حدثنا كادح بن جعفر عن عبد الله بن لهيعة عن عبد الرحمن بن زياد عن مسلم بن يسار عن جابر بن عبد الله قال :لما قدم علي بن أبي طالب بفتح خيبر قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "يا علي لولا أن تقول طائفة من أمتي فيك ما قالت النصارى في عيسى بن مريم؛ لقلت فيك مقالاً لا تمر بملأٍ من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت رجليك"، ثم قال: " وإن حربك حربي، وسلمك سلمي، وسريرتك سريرتي، وعلانيتك علانيتي، وإن ولدك ولدي، وأنت تقضي ديني وأنت تنجز وعدي، وإن الحق على لسانك، وفي قلبك، ومعك، وبين يديك ونصب عينيك، الإيمان مخالط لحمك ودمك، كما خالط لحمي ودمي، لا يرد علي الحوض مبغض لك، ولا يغيب عنه محب لك". وفيه الحسين العرني، أحاديثه منكرة، وابن لهيعة، وقد اختلط، والإفريقي، وهو ضعيف. فالحديث بهذه الرواية شديد الضعف إن لم يكم موضوعا.
قال ابن تيمية، رحمه الله، في "منهاج السنة" (٦٣٤/٨): " لا يُوجَدُ فِي شَيْءٍ مِنْ دَوَاوِينِ أَهْلِ الْحَدِيثِ الَّتِي يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهَا لَا هُوَ فِي الصِّحَاحِ وَلَا السُّنَنِ وَلَا الْمَسَانِدِ وَلَا الْفَوَائِدِ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَنَاقَلُهُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ وَيَتَدَاوَلُونَهُ بَيْنَهُمْ، وَلَا هُوَ عِنْدَهُمْ لَا صَحِيحٌ وَلَا حَسَنٌ وَلَا ضَعِيفٌ، بَلْ هُوَ أَخَسُّ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مِنْ أَظْهَرِ الْمَوْضُوعَاتِ كَذِبًا".
قال أبو محمد: ويقرب منه حديث رواه الإمام أحمد (٩٦٩٨) حَدَّثَنَا تَلِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْجحّافِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: نَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَلِيٍّ، وَالْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ، وَفَاطِمَةَ، فَقَالَ: (أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ).
ومن طريق الإمام أحمد رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (٢٦٢١)، والحاكم في "المستدرك" (٤٧١٣)، والآجري في "الشريعة "

ثم أعلمهم بموضع الحق والهدى بعد أمير المؤمنين –عليه السلام– بالدلالة على عترته، فما روت العامة من سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشهورة، المتسق بها الخبر عن غير تواطئ أخذت، وحملت من كل من يؤديها إذا كان يحسن التأدية لها، مأموناً على الصدق فيها، وما جاء من الآثار التي تخالف ما مضى عليه علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك من ذلك ما خالفهم[١٦٧] وأخذ ما وافقهم، ولم نضيق سماع ذلك من كل من نقله من أهل الخلاف، إذا كان يعرف بالصدق على هذا التمييز، ولا خير في السماع من أهل الخلاف، إذا لم يكن مع المستمع تمييز على ما ذكرنا.

وسألت عن كتاب العلم بأجرٍ؟ فإن كان فيه اختلاف فإن ذلك عندنا جائز أن يكتبه لمن يعرفه، ويدين منه لاتباع أهل الحق، ولا بأس بالأجرة على ذلك، فأما من يكتب له الاختلاف، ويدين في ذلك بغير مذهب أهل الحق، فأكره الكتاب لذلك والأجرة عليه.

قال: وسألت عمن سمع شيئاً من العلم وسئل عنه أيحل له أن يمنعه؟

فالجواب عندنا: أنه يجب على من عنده علم، ولو حديث واحد، أن يعلمه من يطلبه منه إذا كان موضعاً لذلك. وينبغي للعالم ألا يعطي العلم غير أهله، وعلى العالم إذا علم أن يعلم، وعلى من لا يعلم أن يتعلم، قال الله عز وجل: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتبيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فنبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا

(1529)، وفيه تليد بن سليمان، وقد ضعفه جماعة، ومنهم من اتهمه بالكذب، ووثقه آخرون، ولكنهم بدعوه لنيله من خيار الصحابة رضي الله عنهم. راجع "تهذيب التهذيب" (٤٤٨/١).
ورواه الترمذي (٣٨٧٠)، وابن ماجة (١٤٥)، وابن حبان (٦٩٧٧) من طريق أَسْبَاط بْن نَصْرٍ الهَمْدَانِيّ، عَنْ السُّدِّيِّ، عَنْ صُبَيْحٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ به مرفوعا، قال الترمذي عقب روايته لهذا الحديث: " صبيح مولى أم سلمة ليس بمعروف ".
ورواه الطبراني في "المعجم الأوسط" (٢٨٥٤) من طريق حُسَيْن بْنُ الْحَسَنِ الْأَشْقَرُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى ، عَنْ أَبِي مَضَاءٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صُبَيْحٍ ، مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ جَدِّهِ صُبَيْحٍ قَالَ : " كُنْتُ بِبَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ، فَجَلَسُوا نَاحِيَةً ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا، فَقَالَ : (إِنَّكُمْ عَلَى خَيْرٍ) وَعَلَيْهِ كِسَاءٌ خَيْبَرِيٌّ، فَجَلَّلَهُمْ بِهِ ، وَقَالَ: (أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ، سَلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ). وحسين الأشقر فيه ضعف. والحديث حسنه الحاكم وسكت عنه الذهبي. فلعله لطرقه وشواهده، فهو قابل للتحسين. والله أعلم.

بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} [آل عمران:١٨٧] وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "من كتم علماً أُلجم بلجام من نار يوم القيامة"[١].

وسمعنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "أربع يجبن على كل ذي حجا وعقل من أمتي، استماع العلم وحفظه، والعمل به ونشره"[٢]. فهذا يجب على أهل العلم.

وأما المتعلم فقد أوجب الله عليه إذا لم يعلم أن يتعلم، قال الله عز وجل: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لاَ تعْلَمُونَ} [النحل:٤٣] وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[٣]، فعلى الناس أن يعنوا بدينهم، وإنما الناس عالم ومتعلم، ولا خير فيما سوى ذلك.

القول في ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -صلى الله عليه-

قال محمد في "كتاب أحمد": سئل أحمد بن عيسى عن الولاية أفرض هي كسائر الفرائض؟

قال: نعم، لنداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها.

---

[١] أخرجه أبو داود (٣٦٥٨) واللفظ له، والترمذي (٢٦٤٩)، وابن ماجه (٢٦٦)، وأحمد (٧٥٧١) عن أبي هريرة، رضي الله عنه، وهو حديث حسن صحيح بسند.

[٢] لم أجد هذا اللفظ، ولكن ورد عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " تَعَلَّمُوا مَا شِئْتُمْ إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا، فَلَنْ يَنْفَعَكُمُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ حَتَّى تَعْمَلُوا ". أخرجه الديلمي في "الفردوس" (٢٢٥٠)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" ((52/342 وضعفه الألباني في "ضعيف الجامع" (2453).

[٣] رواه ابن ماجه (٢٢٤) من حديث أنس بْنِ مَالِكٍ قَالَ: عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أنه قالَ : "طَلَبُ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلَىْ كُلِّ مُسْلِمٍ"، وحسَّنه بكثرة طرقه وشواهده : المزي والزركشي والسيوطي والسخاوي والذهبي والمناوي والزرقاني ، وهو في " صحيح ابن ماجه" للألباني .
قال الإمام إسحاق بن راهويه، رحمه الله: " طلب العلم واجب، ولم يصح فيه الخبر؛ إلا أن معناه: أن يلزمه طلب علم ما يحتاج إليه من وضوئه وصلاته وزكاته إن كان له مال، وكذلك الحج وغيره، قال: وما وجب عليه من ذلك لم يستأذن أبويه في الخروج إليه وما كان منه فضيلة لم يخرج إلى طلبه حتى يستأذن أبويه."
قال ابن عبد البر رحمه الله: " يريد إسحاق، والله أعلم، أن الحديث في وجوب طلب العلم في أسانيده مقال لأهل العلم بالنقل، ولكن معناه صحيح عندهم، وإن كانوا قد اختلفوا فيه اختلافا متقاربا على ما نذكره ها هنا إن شاء الله"
"جامع بيان العلم وفضله "، لابن عبد البر (٥٢/١-٥٣- ط الزهيري).

وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي –صلى الله عليه – يوم غدير خم: "اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه"[1]، قال: يقول هو في كل حالاته لكم ولي، لا يكون في حال براءة أبداً، ويمكن ذلك في غيره كائناً من كان، فنصبه لهم علماً عند الاختلاف والفرقة.

قال: فإن جهل الولاية رجل فلم يتوله لم تنقطع بذلك عصمته، وإن تبرأ وقد علم انقطعت منا، وكان منا في براءة مما دان به وأنكر من فرض الولاية، لا نراه يخرج بها من حد المناكحة والموارثة، وغير ذلك مما تجري به أحكام المسلمين بينهم بعضهم في بعض، على مثل من وافقنا بالولاية وإيجابها في المناكحة والموارثة، غير أن هذا الموافق موافق معتصم بما قد اعتصمنا به من الولاية، ونحن من الآخر في حد براءة من فعله، وقوله على مثل هذه الجهة لا على مثل البراءة من أهل الشرك واليهود والنصارى والمجوس، فهذا وجه البراءة عندنا ممن خالفنا.

وقال الحسن بن يحيى: الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا، وولاية علي بن أبي طالب، والبراءة من عدوه، والإمام المفترض الطاعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب–صلى الله عليه–.[2]

---

[1] رواه الترمذي (٣٧١٣) وابن ماجه (١١٦)، قال الترمذي عقبه: "هذا حديث حسن صحيح". وله روايات كثيرة عن جمع من الصحابة، رضي الله عنهم، فقد أخرجه أحمد (١٨٤٧٩) عن أبي هريرة، و(٩٦١) عن علي، و(٩٦٢) عن البراء، و(١٩٢٧٩) والنسائي في السنن الكبرى (٨٤١٠) عن زيد بن أرقم، و(١٩٣٠٢) والنسائي في السنن الكبرى (٨٠٩٢) عن أبي الطفيل. قال ابن كثير: هذا إسناد جيد، ونقل عن الذهبي قوله: وهذا حديث صحيح. ينظر: "البداية والنهاية" (٦٦٨/٧).

[2] قال الإمام البيهقي في "الاعتقاد" (ص ٥١٧_ أبو العينين): أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ السُّلَمِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْحَجَّاجِيُّ، ثنا الْعَبَّاسُ بْنُ يُوسُفَ الشِّكْلِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ الرَّبِيعَ بْنَ سُلَيْمَانَ يَقُولُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ فِي مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ"، يَعْنِي بِذَلِكَ وَلَاءَ الْإِسْلَامِ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ)، وَأَمَا قَوْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لِعَلِيٍّ: "أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ"، يَقُولُ: وَلِيُّ كُلِّ مُسْلِمٍ.
ثم قال الحافظ البيهقي: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، أنا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ قَالَ: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، أنا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، أنا فُضَيْلُ بْنُ مَرْزُوقٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْحَسَنِ (بن الحسن بن علي)، وَسَأَلَهُ، رَجُلٌ، أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»؟ قَالَ لِي: بَلَى وَاللَّهِ لَوْ يَعْنِي بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِمَارَةَ وَالسُّلْطَانَ لَأَفْصَحَ لَهُمْ بِذَلِكَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَنْصَحَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا وَلِيُّ أَمْرِكُمْ وَالْقَائِمُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي

قال الحسن: كان علي فريضة من فرائض الله، وَعَلَماً نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن الله تعالى يقول: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ}[النساء:٥٩] وافترض الله في الكتاب طاعته وطاعة رسوله، وطاعة أولي الأمر، وقال: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}[النساء:٨٣] وقال: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى}[النحل:٩٠] وقال: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}[آل عمران:٦٨].

ثم دل على أن إمام المؤمنين وسيدهم علي بن أبي طالب، فقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ[١٦٨] وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}[المائدة:٦٧][1] فلما نزل جبريل بهذه الآية وأمره أن يبلغ ما أنزل إليه من ربه أخذ بيد علي –صلى الله عليه – فأقامه، وأبان ولايته على كل مسلم، فرفع يده حتى رأى الناس بياض إبطيهما[2]، وذلك في

فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ اخْتَارَ عَلِيًّا لِهَذَا الْأَمْرِ وَجَعَلَهُ الْقَائِمَ بِهِ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ تَرَكَ عَلِيٌّ مَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَكَانَ عَلِيٌّ أَوَّلَ مِنْ تَرَكَ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ». وهذا الإسناد صحيح.

قال البيهقي: وَرَوَاهُ شَبَابَةُ بْنُ سِوَارٍ، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْحَسَنِ أَخَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ وَهُوَ يَقُولُ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَتَوَلَّاهُمْ، فَذَكَرَ قِصَّةً ثُمَّ قَالَ: وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ اخْتَارَ عَلِيًّا لِهَذَا الْأَمْرِ وَلِلْقِيَامِ بِهِ عَلَى النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عيهُ وَسَلَّمَ إِنْ كَانَ عَلِيٌّ لَأَعْظَمَ النَّاسِ خَطِيَّةً وَجُرْمًا فِي ذَلِكَ؛ إِذْ تَرَكَ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَمَرَهُ أَوْ يَعْذِرُ فِيهِ إِلَى النَّاسِ. قَالَ: فَقَالَ الرَّافِضِيُّ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ"، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كَانَ يَعْنِي بِذَلِكَ الْإِمْرَةَ وَالسُّلْطَانَ وَالْقِيَامَ عَلَى النَّاسِ بَعْدَهُ لَأَفْصَحَ لَهُمْ بِذَلِكَ كَمَا أَفْصَحَ لَهُمْ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَلَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا وَلِيُّ أَمْرِكُمْ مِنْ بَعْدِي فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا فَمَا كَانَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا شَيْءٌ فَإِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قلت: وهذا سند صحيح أيضا.

[1] رواه الإمام أحمد بن حنبل في "مسنده" (١٨٤٧٩) قال: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا بِغَدِيرِ خُمٍّ، فَنُودِيَ فِينَا: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، وَكُسِحَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ شَجَرَتَيْنِ، فَصَلَّى الظُّهْرَ، وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: " أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ " قَالُوا: بَلَى، قَالَ: " أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟ " قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ، فَقَالَ: " مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ " قَالَ: فَلَقِيَهُ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ: " لَهُ هَنِيئًا يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَمُؤْمِنَةٍ ". وجاء في تحقيق شيخنا شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف من أجل علي بن زيد- وهو ابن جدعان - وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم. عفان: هو ابن مسلم الصفار. وأخرجه ابن ماجه (١١٦)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على فضائل الصحابة لأبيه (١٠٤٢) من طريقين، عن حماد، به.

وروى ابن أبي حاتم الرازي في "تفسيره" (٦٦٠٩) قال: حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا عُثْمَانُ بْنُ خُرَّزَاذَ، ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّا، ثنا عَلِيُّ بْنُ عَابِسٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [المائدة: ٦٧] فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. وعطية العوفي ضعيف. راجع "تهذيب التهذيب" (٢٠٠/٧).

ثم قال في (٦٦١١) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّمَادِيُّ، ثنا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، ثنا عَبَّادٌ، عَنْ هَارُونَ بْنِ عَنْتَرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: إِنَّ نَاسًا يَأْتُونَا فَيُخْبِرُونَا أَنَّ عِنْدَكُمْ شَيْئًا لَمْ يُبْدِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَالَ: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [المائدة: ٦٧]؟ وَاللَّهِ مَا وَرَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} [المائدة: ٦٧]. وهذا كأنه رد منه على الرواية الأولى، فإن السياق في محاججة أهل الكتاب.

[2] ورد ذلك في حديث الحارث بن مالك عن سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، في حديث طويل وفيه: يوم غدير خم قام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأبلغ ثم قال: "يا أيها الناس ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟"، ثلاث مرات قالوا: بلى، قال: "ادن يا

آخر عمره حين رجع من حجة الوداع متوجهاً إلى المدينة ونادى الصلاة جامعة، ولم يقل الصلاة جامعة في شيء من الفرائض إلا يوم غدير خم، ثم قال: "أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم"، يعيد ذلك ثلاثاً، يؤكد عليهم الطاعة ويزيدهم في شرح البيان، قالوا: بلى، قال: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله"[1].

فأوجب له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الطاعة عليهم ما أوجب لنفسه، وجعل عدوه عدوه ووليه وليه، وجعله علماً لولاية الله يعرف به أولياء الله من أعدائه، فوجب لعلي على الناس ما وجب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الولاية والنصر، فمن تولاه وأطاعه فهو لله ولي، ومن عاداه فهو لله عدو، ومن عصاه وخالفه ووضع من عظيم حقه ما رفع الله فقد عصى الله ورسوله، ثم أنزل الله في

علي"، فرفع يده ورفع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يده حتى نظرت إلى بياض إبطيه فقال: "من كنت مولاه فعلي مولاه"، حتى قالها ثلاث مرات. أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (١٣٧٦) قال: حدثنا أبو مسعود، ثنا علي بن قادم، ثنا إسرائيل، عن عبد الله بن شريك، عن الحارث بن مالك، فذكره.

وأخرجه الشاشي في "مسنده" (٦٣)، ومن طريقه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١١٦/٤٢- ١١٧). قال: حدثنا أحمد بن شداد الترمذي. كلاهما (أبو مسعود، وأحمد بن شداد الترمذي) عن علي بن قادم، عن إسرائيل، عن عبد الله بن شريك، عن الحارث بن مالك، فذكره. قال النسائي في "خصائص علي" (ص ٦٢): "عبد الله بن شريك ليس بذلك، والحارث ابن مالك لا أعرفه".

ورواه محمد بن سليمان الكوفي في "مناقب أمير المؤمنين" (١٣٧/١) رقم (٧٦) قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال: حدثنا محمد بن عبد الله المروزي قال: حدثنا زيد بن خرشة الأصبهاني قال: حدثنا الحماني قال: حدثنا قيس بن الربيع قال: حدثنا أبو هارون العبدي:

عن أبي سعيد الخدري: أن رسول، الله صلى الله عليه واله وسلم، لما دعى الناس إلى علي بغدير خم أمر بما كان تحت الشجرة أن يقم وذلك يوم الخميس ثم دعا الناس إلى علي فأخذ بضبعه حتى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ثم لم ينصرف حتى نزلت هذه الآية: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) [المائدة: ٥].

فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: "الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي وبالولاية لعلي من بعدي". ثم قال: "من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله". وهذا الحديث مسلسل بالضعفاء، فالحماني وقيس بن الربيع وأبو هرون العبدي كلهم ضعفاء.

[1] كأن المؤلف دمج الروايات في بعضها. وأما هذه الزيادة فقد رواها الإمام أحمد في "مسنده" (٩٦٤) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ الْوَكِيعِيُّ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ نِزَارٍ الْقَيْسِيُّ، حَدَّثَنِي سِمَاكُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْعَبْسِيُّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، فَحَدَّثَنِي أَنَّهُ شَهِدَ عَلِيًّا فِي الرَّحَبَةِ قَالَ: أَنْشُدُ اللهَ رَجُلًا سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَهِدَهُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ إِلا قَامَ، وَلا يَقُومُ إِلا مَنْ قَدْ رَآهُ، فَقَامَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَقَالُوا: قَدْ رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ حَيْثُ أَخَذَ بِيَدِهِ يَقُولُ: " اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ " فَقَامَ إِلا ثَلاثَةٌ لَمْ يَقُومُوا، فَدَعَا عَلَيْهِمْ، فَأَصَابَتْهُمْ دَعْوَتُهُ. وفي تحقيق شيخنا الأرناؤوط: حسن لغيره دون قوله: "وانصر من نصره، واخذل من خذله"، وهذا إسناد ضعيف لجهالة الوليد بن عُقبة وسِماك بن عُبيد.

ورواها قبل ذلك برقم (٩٥١) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَكِيمٍ، أَخْبَرَنَا شَرِيكٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرٍو ذِي مُرٍّ، بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي إِسْحَاقَ - يَعْنِي - عَنْ سَعِيدٍ، وَزَيْدٍ، وَزَادَ فِيهِ: " وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ". وقال في التحقيق: إسناده ضعيف لجهالة عمرو ذي مرْ، وقال ابن حبان: في حديثه مناكير، وأبو إسحاق قد تغير.

وأخرجه البزار (٧٨٦) من طريق فطر بن خليفة، والنسائي فى "الخصائص" (٩٩) من طريق إسرائيل، كلاهما عن أبي إسحاق، بهذا الإسناد. وهذه الزيادة التي في الحديث لم يرد ما يقوبها، فهي ضعيفة.

وأخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٢١٢/٤٢) قال: أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر أنا أبو سعد الحنزرودي أنا السيد أبو الحسن محمد بن علي، نا أحمد بن علي بن مهدي، نا أبي، نا علي بن موسى الرضا، نا أبي عن أبيه جعفر الصادق، حدثني أبي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله". وفيه أحمد بن علي بن مهدي فهو متهم بالوضع كما في لسان الميزان (٢٢٢/١).

علي –عليه السلام–: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} [المائدة:٥٥][1] فدل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على علي بصفة، فوجب على أهل الإسلام معرفة علي، وولايته وطاعته بإمامته، وأن يكون متبوعاً غير تابع، بالأخبار المشهورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن غير تواطؤ.

وقال الحسن في قول الله سبحانه: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى} [طه:٨٢] قال: اهتدى إلى ولاية علي وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم[2]، وقال في قوله: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} [الصافات:٢٤] قال: عن ولاية علي، صلى الله عليه[3].

[1] القول بأنها نزلت في علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قول من الأقوال التي رواها المفسرون، وليس هو بأرجحها، بل ولا أقواها، فإن السياق والإسناد يأباه، إذ السياق كله في التحذير من موالاة اليهود والنصارى. قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ (٦٥٤٩) :حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْمُرَادِيُّ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ سُوَيْدٍ عَنْ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي حَكِيمٍ فِي قَوْلِهِ: (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا)، قَالَ :هُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. وَحَدَّثَنَا (٦٥٥١) أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ أَبُو نُعَيْمٍ الْأَحْوَلُ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ قَيْسٍ الْحَضْرَمِيُّ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، قَالَ :تَصَدَّقَ عَلِيٌّ بِخَاتَمِهِ وَهُوَ رَاكِعٌ، فَنَزَلَتْ (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ). وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ (١٢٢١٤) حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا غَالِبُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، سَمِعْتُ مُجَاهِدًا يَقُولُ فِي قَوْلِهِ (إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) الْآيَةَ. نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، تَصَدَّقَ وَهُوَ رَاكِعٌ. قال الحافظ ابن كثير في "تفسيره" عند هذه الآية بعد أن أورد روايات كثيرة في الباب: رَوَاهُ ابْنُ مَرْدُوَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَفْسِهِ، وَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَأَبِي رَافِعٍ، **وَلَيْسَ يَصِحُّ شَيْءٌ مِنْهَا بِالْكُلِّيَّةِ لِضَعْفِ أسانيدها وجهالة رجالها**، ثم قال: وقد تقدم في الأحاديث التي أوردناها أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ كُلَّهَا نَزَلَتْ فِي عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حِينَ تَبَرَّأَ من حلف اليهود، وَرَضِيَ بِوَلَايَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ: (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ).

[2] روى ذلك ابن جرير الطبري (١٨٢٨٨) حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: أخبرنا عمر بن شاكر، قال: سمعت ثابتا البناني يقول في قوله (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) قال: إلى ولاية أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وسلم. وعمر بن شاكر البصري ضعيف. ثم إن سياق الآيات كله في قصة موسى عليه السلام، ولا علاقة لها بموالاة علي، رضي الله عنه. وقد أورد الإمامية روايات كثيرة في ذلك عن أئمة آل البيت، لا يعتد بسندها.

[3] ورد في "مناقب الإمام علي عليه السلام" (١٥٦/١) لمحمد بن سليمان الكوفي: (قال) أبو أحمد: سمعت إبراهيم بن مسلم يحدث عن عبيد بن إسحاق العطار قال: حدثنا قيس بن الربيع عن سليك عن أبي هريرة: عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله (تعالى): ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾، قال: "عن ولاية علي" (عليه السلام). قلت: عبيد بن إِسْحَاق أَبُو عبد الرَّحْمَن الْعَطَّار يُقَال عطار المطلقات يروي عَن شريك، ["لسان الميزان" (٤٩/٥)]، وقيس بن الربيع كذلك ضعيف ["تهذيب التهذيب" (٣٩١/٨)]. والحديث لا يصح بحال. وفي الباب روايات أوردها الشيعة الأمامية في كتبهم.
فمن ذلك ما رواه ابن بابويه في "عيون أخبار الرضا"(٢٨٠/٢) حدثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي قال: حدثنا سهل بن زياد الآدمي عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنى قال: حدثني سيدي علي بن محمد بن علي الرضا عن أبيه محمد بن علي عن أبيه الرضا عن آبائه عن الحسين بن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أبا بكر منى بمنزله السمع وان عمر منى بمنزله البصر وإن عثمان منى بمنزله الفؤاد"، قال: فلما كان من الغد دخلت إليه وعنده أمير المؤمنين (عليه السلام) وأبو بكر وعمر وعثمان فقلت له: يا أبت سمعتك تقول في أصحابك هؤلاء قولا فما هو؟ فقال: نعم ثم أشار إليهم فقال: هم السمع والبصر والفؤاد وسيسألون عن وصيي هذا وأشار إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثم قال إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾، ثم قال (عليه السلام): وعزة ربى إن جميع أمتي لموقوفون يوم القيامة ومسؤولون عن ولايته وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾. وسهل بن زياد ضعفه جمع من الإمامية ["معجم رجال الحديث" للسيد الخوئي (٣٥٥/٩) (5639)]، وكذلك الحال في الدقاق ["معجم رجال الحديث" (٢٧٧/١٢) (٧٩١٥)]. والرواية كلها لا تشبه الأحاديث الصحيحة.

وقال محمد: وسئل عن ولاية علي أمير المؤمنين في أنه افترضها الله عز وجل على الأمة؟ فقال: [سمعنا][1] أن أمير المؤمنين –صلى الله عليه– تصدق بخاتمه على مسكين وهو راكع في صلاته فنزلت: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} [المائدة:٥٥][2].

وسئل محمد عمن آمن بالله ورسوله وعمل ولم يعرف الولاية لعلي –صلى الله عليه– ولا لغيره، ومات على ذلك، فقال: إن كان هذا الرجل لم يبلغه خبر أمير المؤمنين، وما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه، وفي غيره ممن تجب عليه ولايته فلا شيء عليه، وقد مات مسلماً، وإن كان ترك ذلك عداوة أو معاندة فقد مات ضالاً.

القول في إثبات الوصية لأمير المؤمنين –صلوات الله عليه–

قال محمد: حدثني علي بن أحمد بن عيسى، عن أبيه أنه سئل لما صارت بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلاحه عند علي دون العباس، والعباس أقرب رحماً من علي؟ فقال: لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من يقضي عني عداتي وديوني وتكون له تركتي"، فقبضها علي صلى الله عليه وسلم.[3] فمن هذا الوجه صارت له تركة النبي صلى الله عليه وآله دون العباس.

---

[1] موجود في (ج).

[2] تقدم أن الحديث لا يصح.

[3] رواه الإمام أحمد بن حنبل في "مسنده" (٨٨٣) قال: حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمِنْهَالِ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَسَدِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] قَالَ: جَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَاجْتَمَعَ ثَلَاثُونَ، فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا، قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ: " مَنْ يَضْمَنُ عَنِّي دَيْنِي وَمَوَاعِيدِي، وَيَكُونُ مَعِي فِي الْجَنَّةِ، وَيَكُونُ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِي؟ " فَقَالَ: رَجُلٌ - لَمْ يُسَمِّهِ شَرِيكٌ - يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْتَ كُنْتَ بَحْرًا، مَنْ يَقُومُ بِهَذَا؟ قَالَ: ثُمَّ قَالَ: لِآخَرَ، قَالَ: فَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا. قال المحقق: إسناده ضعيف لضعف شريك بن عبد الله النخعي وعباد بن عبد الله الأسدي، المنهال: هو ابن عمرو.
وأخرجه الطبري في "تهذيب الآثار" (ص ٦٠-٦١) من طريق أسود بن عامر، بهذا الإسناد.
وأخرجه أيضاً (ص ٦٠) بنحوه مختصراً من طريق يحيى بن آدم، عن شريك، به.
ولفظه عن علي دونَ ذكر الآية: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "من يضمن عني دَيْني، ويقضي عِداتي، ويكون معي في الجنة؟ " قال علي: أنا.
وقوله: "كنت بحراً" كناية عن واسع كرمه وجوده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال أحمد فيما حدثني أبي، عن علي بن شقير، عن ابن حاتم، عن محمد بن مروان، عن إبراهيم بن الحكم، عن سارية بن أبي سارية، عنه قال: أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أولى الناس به وأفضلهم عند الله وعنده وأعلم الناس من بعده علي بن أبي طالب –صلى الله عليه–[١].

وقال الحسن بن يحيى: أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي –صلى الله عليه– أول ذلك الخبر المشهور، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إن الله سبحانه لما أمر نبيه أن ينذر عشيرته الأقربين، جمع بني عبد المطلب وهم يومئذٍ أربعون رجلاً وإن منهم لمن يأكل الجذعة ويشرب الفرق، فأمر علياً –عليه السلام– فعمل لهم طعاماً من فخذ شاة وصاعاً من طعام، ثم جمعهم فمسح بيده على الثريد وسمى الله ثم قال لهم: "كلوا"، فأكلوا حتى شبعوا، وما أثروا في ذلك الطعام إلا يسيرا، ثم قال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "يا بني عبد المطلب كونوا في الإسلام رؤوساً ولا تكونوا أذناباً، أدعوكم إلى الإسلام[١٦٩]إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، أيكم يجيبني إلى الإسلام على أن يكون أخي ووزيري، ووصيي ووارثي، وخليفتي في أهلي وقومي، يقضي ديني وينجز موعدي"، فقام إليه علي، صلى الله عليه، وهو يومئذٍ أصغرهم سناً فأجابه إلى ما دعا إليه، فتفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فيه ومسح بيده على وجهه، ودعا له وضمه إليه، فقال أبو لهب: بئس ما حبوت ابن عمك إن أجابك إلى ما دعوته إليه من بينهم أن ملأت فمه بصاقاً، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "بل ملأته فهماً وحكماً وعلما"[٢].

---

[١] محمد بن مروان هو السدي، وهو متروك الحديث، ["تهذيب التهذيب" (٣٨٧/٩) (رقم ٧٢١)] وإبراهيم بن الحكم هو ابن ظهير الكوفي متهم بالكذب، ["لسان الميزان" (٦٧/١) (رقم ١٠٦)].

[٢] أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٤٢/ ٤٩ ـ ٥٠)، عن محمد بن يوسف، قال: أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الله بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أنا: أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، أنا: أبو الحسن أحمد بن يعقوب الجعفي، نا: علي بن الحسن بن الحسين بن الحسين بن علي بن الحسين، نا: إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي ، حدثني: إسماعيل بن الحكم الرافعي ، عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، قال: قال أبو رافع به. هذا إسناد معلول بأربع علل:

فهذا أول ولاية علي صلى الله عليه وآله، فاستحق بذلك الوصية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والخصال التي شرطها رسول الله له دون بني عبد المطلب.

ولما حضرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوفاة دعا بسيفه ورمحه وسلاحه وبغلته [وناقته][١]، وكل ما كان له حتى عصابته كان يعتصب بها في الحرب على الدرع فدفع إليه جميع ما كان[٢] يملك، ثم دفع إليه خاتمه، وبنو عبد المطلب والمهاجرون والأنصار حضور[٣].

الأولـى: إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي ـ ابن أبي طالب رضي الله عنه ـ، مجهول.
الثانيـة: علي بن الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ مجهول كذلك.
الثالثـة: أبو الحسن أحمد بن يعقوب الجعفي، هو: أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن حمزة بن زياد أبو الحسن القصباني الجعفي، المعروف بـ (ابن الجلاء)، هكذا ورد نسبه في موضع عند ابن النجاشي في "رجاله" (١٣٣/١)، وهو مجهول كذلك.
الرابـعة: أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الله بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، مجهول كذلك. وللحديث شاهد من رواية عبد الله بن العباس، عن علي ـ رضي الله عنهما ـ.
أخرجه ابن جرير الطبري في "تفسيره" (٤٠٩/١٩)، وفي تاريـخه" (١/ ٥٤٢) ـ وفيهما قصة ـ، وفي "تـهذيب الأثار" في مسند علي رضي الله عنه (ص: ٦٢ ـ ٦٣) ـ مختصراً واللفظ لـه ـ، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٤٢ / ٤٨)، والطحاوي في "معاني الآثار" (٣ / ٢٨٤)، (٤ / ٣٨٧). قال الحافظ ابن كثير في "تفسيره" بعدما ذكر رواية ابن جرير الطبري: "تفرد بهذا السياق عبد الغفار بن القاسم أبو مريم، وهو متروك كذاب شيعي، اتهمه ابن المديني وغيره بوضع الحديث، وضعفه الأئمة رحمهم الله". وله طرق أخرى كلها واهية لا يفرح بها.

[١] غير موجود في (ج).

[٢] في (ج): فدفع إليه جميع ذلك.

[٣] قال الإمام أحمد في "المسند" (٧٧): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ، عَنْ عُمَيْرٍ مَوْلَى الْعَبَّاسِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ، خَاصَمَ الْعَبَّاسُ عَلِيًّا فِي أَشْيَاءَ تَرَكَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: شَيْءٌ تَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يُحَرِّكْهُ فَلا أُحَرِّكُهُ. فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ عُمَرُ اخْتَصَمَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: شَيْءٌ لَمْ يُحَرِّكْهُ أَبُو بَكْرٍ فَلَسْتُ أُحَرِّكُهُ، قَالَ: فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ عُثْمَانُ اخْتَصَمَا إِلَيْهِ، قَالَ: فَأَسْكَتَ عُثْمَانُ وَنَكَّسَ رَأْسَهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَخَشِيتُ أَنْ يَأْخُذَهُ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي بَيْنَ كَتِفَيِ الْعَبَّاسِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا سَلَّمْتَهُ لِعَلِيٍّ، قَالَ: فَسَلَّمَهُ لَهُ. قال شيخنا الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير إسماعيل بن رجاء، فمن رجال مسلم. أبو عوانة: هو الوضاح بن عبد الله اليشكري، وعُمير مولى العباس: هو عُمير بن عبد الله الهلالي.
وأخرجه المروزي (٢٩)، وأبو يعلى (٢٦) عن أبي خيثمة، والبزار (١٤) عن محمد بن المثنى، كلاهما عن يحيى بن حماد، بهذا الإسناد.
وأخرجه عمر بن شبة في " تاريخ المدينة " (١ / ١٩٩)، والمروزي (٢٨)، والطبراني (44) من طريق عبد الرحمن بن حميد الرؤاسي، عن الأعمش، به.
أما الخاتم فلم يثبت أنه أعطاه لعلي عليه السلام والرضوان. فقد ورد في صحيح البخاري (٥٨٧٩) عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ خَاتَمُ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فِى يَدِهِ، وَفِى يَدِ أَبِى بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَفِى يَدِ عُمَرَ بَعْدَ أَبِى بَكْرٍ، فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ جَلَسَ عَلَى بِئْرِ أَرِيسَ - قَالَ - فَأَخْرَجَ الْخَاتَمَ، فَجَعَلَ يَعْبَثُ بِهِ فَسَقَطَ قَالَ فَاخْتَلَفْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ مَعَ عُثْمَانَ فَنَنْزَحُ الْبِئْرَ فَلَمْ نَجِدْهُ.
وعن عبد الله بن عمر أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: "اتَّخَذَ خاتمًا مِنْ وَرِقٍ، فَكَانَ في يَدِهِ، ثُمَّ كَانَ فيِيَدِ أبي بَكْرٍ بَعْدَهُ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ في يَدِ عُمَر، ثُمَّ كانَ فييَدِ عُثْمَان، حتى وَقَعَ في بئر أريس"، راجع "سنن أبي دواد" حديث (٤٢٢٠).
أما سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى البخاري (٣١١٠) عن مُحَمَّد بْن عَمْرِو بْنِ حَلْحَلَةَ الدُّؤَلِيّ، أَنَّ ابْنَ شِهَابٍ حَدَّثَهُ، أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ حَدَّثَهُ، أَنَّهُمْ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ مَقْتَلَ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ لَقِيَهُ الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ فَقَالَ :هَلْ لَكَ إِلَيَّ مِنْ حَاجَةٍ تَأْمُرُنِي بِهَا؟ قَالَ :فَقُلْتُ لَهُ: لَا، قَالَ لَهُ :هَلْ أَنْتَ مُعْطِيَّ سَيْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَغْلِبَكَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، وَايْمُ اللهِ، لَئِنْ أَعْطَيْتَنِيهِ لَا يُخْلَصُ إِلَيْهِ أَبَدًا حَتَّى تَبْلُغَ نَفْسِي. وأخرجه مسلم (٢٤٤٩) (٩٥) وأبو داود (٢٠٦٩).
والسياق الذي ورد أعلاه لا أصل له.

ومن وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخاصة لعلي دون الناس أنه "علمه ألف باب، كل باب منها يفتح ألف باب"[١]، ودعا الله له أن يجعل أذنه الواعية[٢].

ودعا له حيث وجهه إلى اليمن أن يهدي قلبه ويثبت لسانه، فقال علي صلى الله عليه: "والله ما شككت في قضاء بين اثنين بعد دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"[٣].

وأعلمه بما هو كائن إلى يوم القيامة[٤]، والدليل على ذلك قول علي –صلى الله عليه –: "لا تسألوني عن فئة تضل مائة أو تهدي مائة فيما بينكم وبين الساعة إلا أخبرتكم بناعقها وقائدها وسائقها"[٥]، فهذه الوصايا الخاصة لعلي، صلى الله عليه.

---

[١] هذا ما رواه الصفار في "بصائر الدرجات" (ص٣٢٥ رقم ١٢) حدثنا يعقوب بن يزيد عن محمد بن أبي عمير عن مرازم عن أبي عبد الله (جعفر بن محمد الصادق) عليه السلام قال: "علم رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام ألف باب ففتح له من كل باب ألف باب". ورواه كذلك ابن بابويه في "الخصال" (ص٦٤٥ رقم ٢٩). ثم أوردا عددا من الأحاديث بهذا المعنى من طرق شتى بروايات كثيرة. والله أعلم بحالها ففي كتب الإمامية كذب كثير.

[٢] روى ابن المغازلي في "مناقب علي عليه السلام" (٣٦٣) عن علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: لما نزلت: {وتعيها أذنٌ واعيةٌ}، قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي". ورواه الطبري في "التفسير" (٥٥/٢٩) مرسلا. وفي سند ابن المغازلي سقط وإسناد ناقص.

ورواه ابن المغازلي (٣٦٤) عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: "أمرت أن أدنيك ولا أقصيك، وأن تعي، وحق لك أن تعي"، فأنزلت: {وتعيها أذنٌ واعيةٌ}. ورواه ابن جرير الطبري (٥٦/٢٩) وسنده ضعيف، كما قال ابن كثير، فيه أبو داود الأعمى، نفيع بن الحارث وهو متروك.

[٣] رواه ابن ماجه (٢٣١٠) وأحمد في "المسند" (٦٣٦) حدَّثَنِي يَحْيَى، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ، قَالَ: قُلْتُ: تَبْعَثُنِي إِلَى قَوْمٍ يَكُونُ بَيْنَهُمْ أَحْدَاثٌ، وَلا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ؟ قَالَ: " إِنَّ اللهَ سَيَهْدِي لِسَانَكَ، وَيُثَبِّتُ قَلْبَكَ " قَالَ: فَمَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ بَعْدُ. قال شيخنا، رحمه الله: حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أن أبا البختري- واسمه سعيد بن فيروز- لم يسمع من علي شيئاً، وله طريق أخرى متصلة برقم (٦٦٦) يصح بها. وأخرجه النسائي في "خصائص على" (٣٢) من طريق يحيى، بهذا الإسناد.

[٤] روى ابن بابويه في "الأمالي" (ص ٤٢٣) و"التوحيد" (ص ٣٠٥) عن الأصبغ بن نباتة "قالَ أمير المؤمنين علي عليه السلام: ولولا آيةٌ في كتابِ اللهِ لأخبرتكُم بما كانَ وبما هوَ كائنٌ إلى يومِ القيامة وهذهِ الآيةُ هيَ: (يمحو اللهُ ما يشاءُ ويُثبِت وعنده أمُّ الكتاب)". والأصبغ بن نباتة متهم بالكذب ["تهذيب الكمال" (٣٠٨/٣) (٥٣٧)، والراوي عنه سعد بن طريف متروك ليس بشيء، ["تهذيب التهذيب" (١٣٢/٨) (٨٨١)].

وردت أيضا في في زيادات القطيعي على "فضائل الصحابة" لأحمد برقم (١٣٤٦). وأوردها ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١٣١/٤٢ و١٣٢ و١٣٣) من طرق عدة وكلها لا تثبت.

وقد روى الطبري نفس اللفظ ولكن من قول كعب الأحبار لعمر، رضي الله عنه. قال ابن جرير الطبري (٢٠٤٨٥): حدثني المثنى قال ثنا حجاج قال حدثنا حماد عن أبي حمزة عن إبراهيم أن كعبا قال لعمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين لولا آية في كتاب الله لأنبأتك ما هو كائن إلى يوم القيامة قال وماهي؟ قال: قول الله: فذكره، وفيه أبو حمزة ميمون الأعور قال ابن معين ليس بشيء وقال أحمد متروك وهو ضعيف الحديث مطلقا، ["الكامل" لابن عدي (٥٥/٨) (١٨٩٤)].

[٥] رواه الصفار في "بصائر الدرجات" (ص ٣١٧) (باب في الأئمة انهم يعلمون كل ارض مخصبة وكل ارض مجدبة وكل فئة يهتدى وتضل إلى يوم القيمة، حديث رقم ٣): حدثنا أحمد بن محمد عن أبي زكريا أو عمن رواه عن أبي زكريا عن بعض أصحابه عن عمرو بن شمر قال سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقال قال علي عليه السلام:" ما من ارض مخصبة ولا ارض مجدبة ولا فئة

وقال محمد في "المسائل": ثبت عندنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصى إلى علي –عليه السلام– وهو إجماع، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصى إلى علي–عليه السلام–، وثبت لنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي"[1].

القول في عصمة أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين – صلى الله عليهم –

قال محمد في كتاب أحمد بن عيسى: قال أحمد بن عيسى نتولى أمير المؤمنين في ظاهر الأمر وباطنه، ونوجب له العصمة وليس ذلك لغيره من الأمة، ولو أن رجلاً تبرأ منه لشيء من أعماله، أو ترك ولايته لشيء منها تبرأنا منه، ولو أن رجلاً قال: أنا أتولى رجلاً من المسلمين لظاهر عمله[2]وأموره، وأتبرأ منه لشيء قد اطلعت عليه [لشيء][3] من باطن أمره، لم يجب علينا البراءة ممن قال هذا، ولكنا نقول: إنا نتولاه على ما ظهر من أعماله وأفعاله، وأنت أعلم ما تقول فيه.

تضل مائة وتهدى مائة الا وانا اعلمها وقد علمتها يعلمها كبيرهم وصغيرهم إلى يوم القيمة". وحديث حديث ضعيف جدا فيه عمرو بن شمر وهو متهم بالكذب ["لسان الميزان" (٦/٢١٠) (٥٨٠٩)]، وفيه رواة مجهولون.

ورواه في نفس الباب برقم (٨) حدثنا أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سلام القصير قال: قلت: لأبي عبد الله (جعفر بن محمد) عليه السلام: إنا نروي أحاديث لم نجد عند أهل بيتك فيها شيئا. قال: وما هي؟ قلت: يروون أن عليا عليه السلام قال: "سلوني وهو يخطب فإنكم لا تسألون عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن أرض مخصبة ولا عن أرض مجدبة ولا فئة تضل مائة وتهدى مائة إلا إن شئت أنبأتكم بناعقها وسائقها قائدها"، فقال: إنه حق. ورواه الثقفي في كتاب "الغارات والاستنفار" (١/ ١) قال: حدثنا إسماعيل بن أبان قال: حدثنا عبد الغفار بن القاسم بن قيس بن قهد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: حدثنا المنصور عن عمرو، عن زر بن حبيش، قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يخطب بالنهروان: أيها الناس أما بعد، أنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن أحد ليجترئ عليها غيرى. ولو لم أك فيكم ما قوتل أصحاب الجمل وأهل النهروان، وأيم الله لولا أن تنكلوا وتدعوا العمل لحدثتكم بما قضى الله على لسان نبيكم صلى الله عليه وآله لمن قاتلهم مبصرا لضلالتهم عارفا للهدى الذي نحن عليه. ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني إني ميت أو مقتول بل قتلا، ما ينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم وضرب بيده إلى لحيته والذي نفسي بيده لا تسألوني عن شئ فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تضل مائة أو تهدى مائة إلا نبأتكم بناعقها وسائقها" إلخ.

وآفة هذا السند عبد الغفار بن القاسم، فهو متروك متهم بالوضع، ["لسان الميزان" (٥/٢٣) (٤٨٥٣)].

وهو من خطب "نهج البلاغة" (رقم ٩١).

وقد أورد الصفار في هذا الباب روايات كثيرة بهذا المعنى.

[1] تقدم تخريج هذا الحديث، وقد صححه الألباني بمجموع طرقه في "صحيح الترمذي" (رقم: ٣٧٨٨). لكنه لا علاقة له بالوصية بالخلافة، كما نقلنا سابقا عن الحسن بن الحسن، رضي الله عنهما، فضلا عن أن يكون إجماعا!!

[2] في (ج): علمه.

[3] غير موجود في (ب).

ولو قال: أتبرأ من علي لوجهٍ من الوجوه لأعماله وأفعاله وغير ذلك، قلنا له: قد تبرأت ممن أمر الله بولايته، وقد أخبرنا[1] بعصمته وتطهيره على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وقد وجبت البراءة منك، وليس ذلك لغير علي -صلى الله عليه-.

قال محمد: وسمعت أحمد بن عيسى يقول: وذكر علياً وحسناً وحسيناً فقال: لا يجوز عليهم حكم، قلت: مثل أي شيء؟

قال: لا تقبل عليهم دعوى.

قلت: بمثل أي شيء؟

قال: ما لا يجوز في دين، لو أن مدعياً ادعى عليهم سرقاً، أو ما يشبه ذلك لم تقبل [عليهم] دعواه، وإن أقام على ذلك بينة وإلا فسد قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهم-يعني قوله- "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا".

وقال محمد: حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال: سمعت أحمد بن عيسى وسئل هل ثبت لك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "إن علياً معصوم لا يضل أبداً"؟[2]

---

[1] في (ج): وقد أخبر.

[2] هذا الحديث لا أصل له ولم أجده في أي كتاب. لكن روى الحافظ ابن عساكر في "تاريخ دمشق" [٤٦٤/١٩] قال: أنبأنا أبو محمد بن طاوس أنا أبو الغنائم بن أبي عثمان أنا أبو الحسن بن رزقويه أنبأ محمد بن عمر بن محمد بن الجعابي حدثني محمد بن أحمد بن المؤمل نا محمد بن علي بن خلف نا محمد بن كثير قال سمعت هاشم بن البريد يقول سمعت زيد بن علي يقول: "المعصومون منا خمسة النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين".
فيه محمد بن كثير القرشي الكوفي، أبو إسحق .قال أحمد: خرقنا حديثه.
وَقال البخاري: كوفي منكر الحديث.
وقال ابن المديني: كتبنا عنه عجائب وخططت على حديثه.
ومشاه يحيى بن مَعِين. وقال ابن عَدِي: الضعف على حديثه بين. انتهى.
وقال أبو حاتم الرازي: ضعيف الحديث. وقال أبُو داود عن أحمد: حدث عن ليث بأحاديث كلها مقلوبة.
وقال السَّاجِي: متروك الحديث.
وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالمتين عندهم.
وقال العقيلي: في حديثه وهم، وكنيته أبو إسحاق. راجع "لسان الميزان" (٥٨/٧) (٧٣٣٢).

قال: نعم، فقيل له: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك في غيره؟ قال: نعم، في الحسن والحسين، فقيل له:[١٧٠] هو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إنهما[1] سيدا شباب أهل الجنة"؟ قال: ليس بهذا تثبت العصمة، ولكن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أنا حرب لمن حاربتما، سلم لمن سالمتما"[2]. فقيل له: قال ذلك لأحدٍ غيرهما؟ قال: لا، إلا المنتظر المهدي.

قال إسماعيل: وسمعته وسئل عن رجل تجوز شهادته وحده، فقال: لا إلا علياً والحسن والحسين، فقيل: وكيف ذلك؟ قال: لأنهم معصومون.

قال محمد في كتاب أحمد: حدثني علي بن أحمد بن عيسى، عن أبيه أن رجلاً سأل أمير المؤمنين فقال له: ما تسمي أهل حربنا؟ فقال أمير المؤمنين: "نسميهم بما سماهم الله به، يقول الله عز وجل: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ إلى قوله: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ

وفيه محمد بن علي بن خلف، اختلف كلام الحفاظ فيه قال ابن عَدِي: عند محمد بن علي هذا من هذا الضرب عجائب وهو منكر الحديث والبلاء فيه عندي منه.

وقال الخطيب: قال محمد بن منصور: كان ثقة مأمونا حسن العقل. فرد ابن حجر كلامه. راجع "لسان الميزان" (٥٦/٧) (٧١٨٠).

وفيه محمد بن عمر [بن محمد بن سالم بن البراء بن سبرة بن سيار] أبو بكر الجِعَابي الحافظ.

قال الحافظ ابن حجر في "لسان الميزان": من أئمة هذا الشأن ببغداد على رأس الخمسين وثلاث مِئَة إلا أنه فاسق رقيق الدين ولي قضاء الموصل.

وقال الحاكم: قلت للدارقطني: بلغني أن ابن الجعابي تغير بعدنا فقال: وأي تغير؟ فقلت: هل اتهمته في الحديث قال: إي والله قد حدث عن الخليل بن أحمد صاحب العروض بعشرين حديثا مسانيد ليس لشيء منها أصل.

وقال الخطيب: حدثني عيسى بن أحمد الهمذاني سمعت أبا الحسن بن رزقويه يقول: كنت عند الجعابي فجاءه قوم من الشيعة فدفعوا إليه صرة دراهم فقالوا: أيها القاضي إنك قد جمعت أسماء محدثي بغداد وذكرت من قدم إليها وأمير المؤمنين علي قد وردها فنسألك أن تذكره فقال: نعم يا غلام هات الكتاب فجيء به فكتب فيه وأمير المؤمنين علي يقال: إنه قدمها.

قال ابن رزقويه: فلما انصرفوا قلت له: أيها القاضي هذا الذي ألحقته في الكتاب من ذكره؟ فقال: هؤلاء الذين رأيتهم أو كما قال.

وقال أبو القاسم التنوخي: تقلد ابن الجعابي قضاء الموصل فلم يحمد في ولايته.

وقال الخطيب: سألت البرقاني عنه فقال: كان صاحب غرائب ومذهبه معروف في التشيع، قلت: هل طعن في حديثه وسماعه؟ فقال: ما سمعت إلا خيرا.

وقال ابن عساكر: حدثنا غيث بن علي قال: قرأت في تاريخ المسبحي قال: مات القاضي أبو بكر الجعابي في رجب سنة ٣٥٥، وكان قد صحب قوما من المتكلمين فسقط عند كثير من أهل الحديث. راجع "لسان الميزان" (٤٠٨/٧) (٧٢٥٤).

قلت: وبهذا يتبين أن الرواية لا تصح عن الإمام زيد بن علي سلام الله ورضوانه عليه.

[1] في (ج): هما.

[2] هو حديث ضعيف وسيأتي تخريجه إن شاء الله.

كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة:٢٥٣] فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا[1].

قال محمد: وسئل أحمد بن عيسى أكان أمير المؤمنين في براءة من أهل حربه أو ولاية؟ فقال: لا تكون براءة أكثر من استحلاله الدماء والقتل هو وشيعته، كانوا في براءة من أهل حربه[2].

القول في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -صلوات الله عليه-

قال أحمد فيما حدثنا علي بن محمد الشيباني، عن محمد بن محمد بن هارون، عن سعدان، عن محمد قال: ذكرت لأبي عبد الله أمر علي -صلى الله عليه- ومن تقدمه فذكر منزلة علي -عليه السلام-، وما كان من النبي صلى الله عليه وآله وسلم من القول وتقدمته إياه: "ومن كنت مولاه فعلي مولاه"، وقوله: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى"، وغير ذلك.

---

[1] هذا سند معضل لا يصح، والثابت عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه خلاف هذا. قال وفي "مجموع الإمام زيد بن علي" (٦٥٦) قال أبو خالد الواسطي حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام أنه أتاه رجل فقال يا امير المؤمنين: أكفر أهل الجمل وصفين وأهل النهروان؟ قال: "لا، هم إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم حتى يفيئوا إلى امر الله عزوجل".
كما روى ابن ابي شيبة في: " مصنفه " (رقم/٣٧٧٦٣) (٢٥٦/١٥) والبيهقي في " سننه(8/173/182) (رقم/١٧١٥٨) وأبو العرب في " المحن " (١٠٥-١٠٦) عن ابي البختري قال: " سئل علي عن أهل الجمل قال: قيل: أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا قيل : أمنافقون هم؟
قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا ".
وأما ما جاء في حق الخوارج فقد روى عبد الرزاق (١٥٠/١٠) وابن أبي شيبة (٣٣٢/١٥) وابن نصر في" تعظيم قدر الصلاة" (591-594)والبيهقي (١٧٤/٨) عن طارق بن شهاب قال: " كنت عند علي فسئل عن أهل النهر أهم مشركون؟ قال: من الشرك فروا قيل: فمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا قيل له: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا ."
وفي سند عبد الرزاق انقطاع إلا أن الذي عند ابن ابي شيبة وابن نصر صحيح موصول وهذا لفظه. ورواه البيهقي في سننه (رقم/١٧١٩٩). فقال: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ وَأَبُو سَعِيدِ بْنُ أَبِى عَمْرٍو قَالاَ حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ: مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَلْعٍ عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ قَالَ:"سُئِلَ عَلِيٌّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ أَهْلِ الْجَمَلِ فَقَالَ: إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا، فَقَاتَلْنَاهُمْ وَقَدْ فَاءُوا وَقَدْ قَبِلْنَا مِنْهُمْ". وقد روَى ابنُ أبي شَيْبة15/292) ، (277 بسنَدٍ صَحيحٍ عن محمَّد بنِ عليٍّ البَاقر" أنَّ رجلاً ذكَرَ عند عليٍّ أصحابَ الجمَل حتى ذكرَ الكُفْر، فنَهاه عليٌّ" .

[2] الآثار السابقة تدل على عكس ذلك، وعلى أن الإمام عليا عليه السلام لم يكن مسرورا بقتال أهل الجمل وأنه عد جل من قاتلهم إخوانا له بغوا عليه. بل إنه عد الخوارج مسلمين، مع قتاله لهم وفرحه بذلك، فعن طارق بن شهاب قال " :كنت مع علي حين فرغ من قتال أهل النهروان، فقيل له: أمشركون هم؟ قال :من الشرك فروا. قيل: فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا فقاتلناه". رواه ابن نصر في "تعظيم قدر الصلاة" (٥٩١) وابن أبي شيبة في "المصنف " (8/707). والحديث مشهور عن الإمام علي كرم الله وجهه، وله طرق عديدة.

قال أحمد: وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: "إن تولوا علياً، ولن تفعلوا، تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم"[1].

وروى ابن عمرويه، عن محمد بن منصور، عن أحمد بن عيسى أنه قال: ليس يخلو أن يكون القوم سمعوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما قال في علي فعاندوا، أو لم يسمعوه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتأولوا فلم يصيبوا.

وقال أحمد فيما حدثنا محمد بن جعفر التميمي، عن علي بن عمرو، عن محمد عنه: الناس فريقان، فريق قالوا إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مضى ولم يستخلف أحداً، وجعل للمسلمين أن يختاروا لأنفسهم فاختاروا أبا بكر، وفريق قالوا إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استخلف علياً وجعله خليفة وإماماً من بعده، وكل فرقة مدعية ليس لها بينة عدول من غيرها على ما ادعت.

وأجمع الفريقان جميعاً على أنه لابد للناس من والٍ، إمام عدل[2] يعمل فيهم بالكتاب والسنة، يجمعهم عليه ويصلي بهم ويقيم لهم أعيادهم، ويأخذ لمظلومهم من ظالمهم، ويقوي ضعيفهم، ويقيم حدود الله فيهم، ويجبي زكاتهم، ويعطيها فقرائهم، ويجبي فيئهم ويقسمه بينهم، وكان الفرض عليهم أن يضعوا كتاب الله بين أيديهم، ويجمعوا عليه، علماؤهم وفقهاؤهم، ويعملوا به ويمضوا لما يأمرهم به القرآن.

وليس للأمة أن يؤثروا رجلاً فيولوه ويجعلوه إماماً قبل أن ينظروا في الكتاب والسنة، فإن وجدوا الكتاب والسنة يدلان على تولية رجل باسمه وفعله ولوه عليهم لفضله عليهم.

- [1] رواه الإمام أحمد بن حنبل في "مسنده" (٨٥٩) حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ يَعْنِي الْفَرَّاءَ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ يُثَيْعٍ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ :قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ نُؤَمِّرُ بَعْدَكَ؟ قَالَ " :إِنْ تُؤَمِّرُوا أَبَا بَكْرٍ، تَجِدُوهُ أَمِينًا، زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا، رَاغِبًا فِي الْآخِرَةِ، وَإِنْ تُؤَمِّرُوا عُمَرَ تَجِدُوهُ قَوِيًّا أَمِينًا، لَا يَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَإِنْ تُؤَمِّرُوا عَلِيًّا - وَلَا أُرَاكُمْ فَاعِلِينَ - تَجِدُوهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا، يَأْخُذُ بِكُمُ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ" ، وجود إسناده الحافظ ابن حجر في "الإصابة" (ج٤ / ص٤٦٨)، وقال الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٥/ ١٧٦) : رواه أحمد، والبزار، والطبراني في الأوسط، ورجال البزار ثقات.
[2] في (ج): عادل.

وإن لم يجدوا الكتاب والسنة يدلان على تولية رجل باسمه وفعله كانت لهم الشورى بما وافق الكتاب والسنة، والكتاب يدل على أن لله خيرة وصفوة، [وحبوة][1] من خلقه، وعلى أن خيرته من خلقه بعد الأنبياء المتقون، لقوله سبحانه: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[الحجرات:١٣] وخيرة الله من المتقين الخاشون، لقوله: {الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ}[الأنبياء:٤٩] والخاشون هم العلماء، لقوله: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}[فاطر:٢٨] والعلماء[١٧١] أفضل المؤمنين، لقوله: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}[الزمر:٩] والعلماء أعمل الناس بالعدل، وأعمل الناس بالعدل أدل الناس على العدل وأهداهم إلى الحق، لقوله: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ}[الأعراف:١٨١] وقوله: {أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى}[يونس:٣٥] وخيرة الله من العلماء المجاهدون لقوله: {لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}[النساء:٩٥] إلى آخر القصة، وخيرته من المجاهدين السابقون إلى الجهاد لقوله: {لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا}[الحديد: ١٠] الآية، وخيرته من السابقين البدريون، وخيرته من البدريين أكثرهم عملاً في الجهاد، وخيرة الله من البدريين علي بن أبي طالب –صلى الله عليه–؛ لأنه كان أكثرهم عملاً في الجهاد في سبيل الله، وأكثرهم ضرباً، وقتلاً وأسراً ومبارزة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبذلهم لمهجة نفسه، وكان خير هذه الأمة وأتقاها وأخشاها، وأعلمها بالسنة وأدلها على العدل، وأهداها إلى الحق، وأقدمها هجرة، وأكثرها عملاً في الجهاد، وأحق الأمة بالإمامة، وأن يكون متبوعاً ولا يكون تابعاً، محكوماً عليه لفضله في كتاب الله، أجمع على ذلك علماء الأمة، إلا من دفع ذلك بعد بيان ومعرفة.

[1] غير موجود في (ج).

قال محمد:[1] سئل أحمد بن عيسى عن أمر عثمان فقال: ما في أمره شبهة على ذي عقل وعلم، والدليل [على ذلك][2] أن أمير المؤمنين لم يقد منه، ولم يده من بيت المال، ولو لزمه ذلك ما تركه لشيء، وقال: لا تعد، والأمر في عثمان أن يكون على واحدة من ثلاثة أوجه، إن كان قتل بحق فلا دية له ولا قود على قاتله، وإن كان قتل مظلوماً وقاتله لا يعرف فالدية من بيت المال، وإن كان قتل مظلوماً وقاتله معروف اقتيد به[3].

قال محمد في "كتاب أحمد"[4]: سألت القاسم بن إبراهيم عن إمامة علي -صلى الله عليه- كيف كانت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: بالدلالة والإيماء.

وقال الحسن بن يحيى: الإمام المفترض الطاعة بعد رسول الله ،صلى الله عليه وآله وسلم، علي بن أبي طالب -صلى الله عليه-، ومن لم يعتقد بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إمامة علي لم يقبل الله له صلاة، ولا زكاة، ولا حجاً، ولا صوماً، ولا شيئاً من أعمال البر، وبعده الحسن والحسين -صلى الله عليهم-، ومن لم يؤمن بأن الإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم علي -صلى الله عليه- كما يؤمن بالقرآن والصلاة، والزكاة والصوم والحج، لم ينفعه شيء من عمله، إلا أن يكون

---

[1] "أمالي أحمد بن عيسى" (٣١٣/٤_العلوم).

[2] موجود في (ج).

[3] حاشى أمير المؤمنين عليا، كرم الله وجهه، أن يرضى أو يشارك أو يفرح بقتل أخيه أمير المؤمنين عثمان، رضي الله عنه. وقد وردت آثار كثيرة تدل على أنه دافع عنه وغضب لمقتله، ولعن قاتليه. فقد روى الإمام أحمد في " فضائل الصحابة " (١ / ٤٥٥) بإسناد صحيح من طريق محمد بن الحنفية قال : " بلغ علياً أن عائشة تلعن قتلة عثمان في " المربد " ، قال : فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال : وأنا ألعن قتلة عثمان ، لعنهم الله في السهل والجبل. قال مرتين أو ثلاثاً " ، وروى الحاكم بإسناده في "المستدرك" (٩٥/٣) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، عن قيس بن عباد قال: سمعت عليا يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي وجاءوني للبيعة، فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوما قتلوا رجلا قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة»، وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا، فلما دفن رجع الناس، فسألوني البيعة، فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين، فكأنما صدع قلبي، وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى. وروى ابن سعد "الطبقات" (٨٢/٣) بسنده عن ابن عباس أن عليا قال: والله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله، ولكني نهيت، والله ما قتلت عثمان ولا أمرت ولكني غلبت، قالها ثلاثا. وجاء عنه أيضا أنه قال: من تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من الإيمان، والله ما أعنت على قتله ولا أمرت ولا رضيت. رواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٤٥١/٣٩)، وقد اعتنى الحافظ ابن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي أنه تبرأ من دم عثمان، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها، أنه لم يقتله ولا رضي بذلك، ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث. ولذلك ثبت عن أئمة آل البيت، عليهم السلام توليه وتولي من سبقه من الخلفاء الراشدين، رضي الله عنهم جميعا.

[4] "أمالي أحمد بن عيسى" (٣١٣/٤_العلوم).

أعجمياً، أو صبياً أو امرأة، أو جاهلاً لم يقرأ القرآن، ولم يعلم العلم، فإن جملة الإسلام تجزيهم[1].

وقال الحسن: إن الله سبحانه أكمل لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم الدين الذي افترضه على عباده وبينه له، وافترض عليه إبلاغه، فكان مما افترض الله على عباده طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وطاعة ولي الأمر الذي يستحق مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإبلاغ عنه، وليس من الفرائض فريضة أكثر قدراً، ولا أعظم خطراً من الإمام الذي يقوم مقام نبيه، وقد بين ذلك في محكم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فجعل الله الإمامة في أهل بيت الصفوة والطهارة، والهدى والتقوى، من ذرية إبراهيم وذرية محمد -صلى الله عليهما- ولا تصلح في غيرهم، لقول الله سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [آل عمران:٣٣،٣٤] ثم قال لإبراهيم: {قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} [البقرة:١٢٤] فأخبر الله إبراهيم عليه السلام أنه إمام، وأن الإمامة في المتقين من ذريته، وأنها[١٧٢] لا تصلح للظالمين، وأخبر أن الإمامة عهده الذي لا يناله ظالمٌ على معنى من المعاني، ثم أخبر بمن يستحق الإمامة من ذرية إبراهيم فقال: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} [الأنبياء:٧٣].

وقال: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة:٢٤] فبين لنا أن الإمامة في المتقين والمهتدين، الصادقين الموقنين، الصابرين من ذرية إبراهيم، ثم بين الله لنا أن الإمامة في أهل بيت الصفوة والطهارة من ذرية إبراهيم فقال: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ

---

[1] ثبتت بيعة علي والحسن والحسين وغيرهم من آل البيت، عليهم السلام، للخلفاء الراشدين، وتوليهم والجهاد معهم، والمشاركة في فتوحاتهم. فكيف يقال هذا الكلام؟!!

عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، إِذْ قَالَتِ امرأة عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[آل عمران:٣٣-٣٥] وقال سبحانه: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ، جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا}[فاطر:٣٢،٣٣] وهذه الآية لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة[١]، فالظالم لنفسه الذي يقترف من الذنوب ما يقترف الناس، والمقتصد الرجل الصالح الذي يعبد الله في منزله، والسابق بالخيرات الشاهر سيفه، الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، ثم أخبر الله سبحانه بذرية إبراهيم فقال: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ}[البقرة:١٢٨،١٢٧].

ثم أخبر الله أن الأمة المسلمة هي التي استجاب الله فيها دعوة إبراهيم، وجعلهم شهداء على الناس، والشهداء على الناس الأنبياء، ومن يخلف الأنبياء من الذرية التي جنبها الله عبادة الأصنام وافترض مودتها فقال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ}[الحج:٧٧،٧٨]ثم ذكر الله سبحانه الذرية المصطفاة الطاهرة من ذرية إبراهيم الذي استجاب دعوته فقال: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ}[إبراهيم:٣٥] وقال: {رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}[إبراهيم:٣٧] فاستجاب الله دعوة إبراهيم على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال: {قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

---

[١] الروايات الثابتة عن السلف في تفسير الآية لم تذكر شيئا من اختصاص آل البيت بهذه الآية.

أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ}[الشورى:٢٣] وقال: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}[الأحزاب:٣٣]فلا تصلح الإمامة إلا في أهل بيت الصفوة والطهارة من ذرية إبراهيم، وذرية محمد –صلى الله عليهما– ومن الشجرة التي خلق الله منها إبراهيم ومحمداً –صلى الله عليهما– لأن الله يقول: {ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[آل عمران:٣٤] ولا تصلح الإمامة لمن يعبد صنماً لدعوة إبراهيم لبنيه المصطفين الطاهرين فقد اختص الله علياً بخصلتين ليستا لأحد من العالمين:

أحدهما: أن الله جعله مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتقلب معه في الأصلاب الزاكية، والأرحام الطاهرة، حتى أخرجه الله تعالى، ومحمداً من عبد المطلب، وذلك أن أم عبد الله أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأم أبي طالب واحدة، فهي فاطمة بنت عمرو بن عابد بن عمران بن مخزوم، وقال [١٧٣] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "خرجت من طهر من لدن آدم إلى أن أخرجت من صلب أبي لم يمسسني سفاح الجاهلية"[١].

فلم يشهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأحدٍ من أهل بيت الطهارة والصفوة أنه خرج من لدن أم من طهرٍ إلا هو حتى انتهت الطهارة في المولد إلى عبد الله وأبي طالب، ثم أنزل الله على نبيه آية التطهير: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} [الأحزاب:٣٣] فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكساء عليه وعلى علي وفاطمة والحسنين ثم قال: "هؤلاء أهل بيتي اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"[٢].

---

[١] هذا حديث حسن: أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط"، المجلد الخامس، من اسمه عبد الرحمن (٤٧٢٨) من مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي، لَحَدَّثَنِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيٍّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي"، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفضائل، باب ما أعطى الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم (٣١٦٤١) مرسلا، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.(3225)

[٢] تقدم تخريجه.

والخصلة الأخرى: قول الله سبحانه: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ} [الأحزاب:٦] فليس أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا من أهل بيته يجتمع له الإيمان والهجرة والقرابة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا علي –عليه السلام–.

وقال الحسن –عليه السلام– في وقت آخر: ثم أخبر الله نبيه أن أولى الناس برسول الله وبالمؤمنين أول من تبعه فقال: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}[آل عمران:٦٨] وكان إسماعيل أول من اتبع إبراهيم، وكان علي أول من اتبع محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، وقد بين الله تعالى أن علياً أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لئلا يشك فيه أحد فقال تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ}[الأحزاب:٦] فليس نعلم أحداً من المؤمنين والمهاجرين ممن أومأ الناس إلى أنه يستحق مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، تجتمع فيه هذه الثلاث الخصال، السبق والإيمان والهجرة، والرحم[1] والقرابة إلا علي صلى الله عليه، فإن الله سبحانه قد جمع له ذلك فهو أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الرحم، والإيمان والهجرة، وأولى الناس بمقامه من الكتاب والسنة، وأولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولاهم بالناس؛ لأن أولى الناس بإبراهيم إسماعيل؛ لأنه كان أول من اتبعه وهو ولي المؤمنين، وأولى الناس بهم.

وقال الحسن في وقت آخر: ولم يعرف أهل الإسلام مؤمناً مهاجراً له من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحم أولى به من علي –صلى الله عليه– فكانت

---

[1] في (ج): والرحم القريبة.

الفريضة على الناس أن يأتوه وينقادوا له بالطاعة، كما قدمه الله ورسوله، ويجعلوه متبوعاً غير تابع؛ لأنه أقدمهم سلماً[1]، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "علي أقضاكم"[2]، فلم ينقادوا له بالطاعة كما أمرهم الله، واستحال أن يكون المفضول إماماً للفاضل؛ لأن الله قدم الفاضل بفضله، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قدم من قدم الله، فمن قدم من أخر الله ورسوله وأخر من قدم الله ورسوله فقد خالف سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا.

وقد روي عن علي –صلى الله عليه– أنه قال على المنبر: "والله لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أولى بالناس به بقميصي هذا"[3]. وروي في الخبر المشهور أن بريدة وقع في علي عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتغير لون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأظهر الغضب وقال: "يا بريدة

---

[1] في (ج): إسلاماً.

[2] رواه أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفظه: "أرحَمُ أمَّتي بأمَّتي أبو بَكْرٍ، وأشدُّهم في دينِ اللَّهِ عُمرُ وأصدقُهُم حياءً عُثمانُ، وأقضاهُم عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأقرأُهُم لِكِتابِ اللَّهِ أبيُّ بنُ كَعبٍ، وأعلمُهُم بالحلالِ والحرامِ مُعاذُ بنُ جبلٍ، وأفرضُهُم زيدُ بنُ ثابتٍ ألا وإنَّ لِكُلِّ أمَّةٍ أمينًا، وأمينَ هذِهِ الأمَّةِ أبو عُبَيْدةَ بنُ الجرَّاحِ". أخرجه الترمذي (٣٧٩٠)، وابن ماجه (١٥٤) واللفظ له. وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ورواه عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما بلفظ: "أرْأَف أمتي بأمتي أبو بكرٍ، وأشدُّهم في دينِ اللهِ عمرَ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ، وأقضاهم عليٌّ ، وأفرضُهم زيدُ بنُ ثابتٍ ، وأقرؤهم أُبَيٌّ ، وأعلمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبلٍ ، ألا وإنَّ لكلِّ أمةٍ أمينًا ، وأمينُ هذه الأمةِ أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاحِ". أخرجه أبو يعلى (٥٧٦٣)، والبيهقي (١٢٥٤٩) واللفظ له. وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (868).

[3] هذا الأثر وجدته في كتب الإمامية فقد ورد مسندا في "الأمالي" للمفيد (المجلس ٢٦ الرقم ٢،) و"الأمالي" لأبي جعفر الطوسي (المجلس الأول الحديث ٩ ص ٨) من حديث الحسن بن علي الزعفراني قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي قال: حدثنا المسعودي قال: حدثنا محمد بن كثير، عن يحيى بن حماد القطان قال: حدثنا أبو محمد الحضرمي، عن أبي علي الهمداني: إن عبد الرحمن بن أبي ليلى قام إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إني سائلك لآخذ عنك، وقد انتظرنا أن تقول من أمرك شيئا فلم تقله، ألا تحدثنا عن أمرك هذا أكان بعهد [من] رسول الله صلى الله عليه وآله أو شيء رأيته؟ فإنا قد أكثرنا فيك الأقاويل، وأوثقه عندنا ما قبلناه عنك وسمعناه من فيك. إنا كنا نقول: لو رجعت إليكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينازعكم فيها أحد، والله ما أدري إذا سئلت ما أقول؟! أزعم أن القوم كانوا أولى بما كانوا فيه منك؟ فإن قلت ذلك، فعلى م نصبك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد حجة الوداع، فقال: "أيها الناس من كنت مولاه فعلي مولاه"، وإن تك أولى منهم بما كانوا فيه فعلى م نتولاهم؟. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا عبد الرحمن إن الله تعالى قبض نبيه صلى الله عليه وآله وسلم **وأنا يوم قبضه أولى بالناس مني بقميصي هذا**، وقد كان من نبي الله إلي عهد لو خزمتموني بأنفي لأقررت سمعا لله وطاعة، وإن أول ما انتقصناه بعده إبطال حقنا في الخمس، فلما رق أمرنا طمعت رعيان البهم من قريش فينا، وقد كان لي على الناس حق لو ردوه إلي عفوا قبلته وقمت به وكان إلى أجل معلوم، وكنت كرجل له على الناس حق إلى أجل فإن عجلوا له ماله أخذه وحمدهم عليه، وإن أخروه أخذه غير محمودين، وكنت كرجل يأخذ السهولة وهو عند الناس محزون. وإنما يعرف الهدى بقلة من يأخذه من الناس، فإذا سكت فاعفوني فإنه لو جاء أمر تحتاجون فيه إلى الجواب أجبتكم، فكفوا عني ما كففت عنكم. فقال عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين فأنت لعمرك كما قال الأول:
لعمرك لقد أيقظت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان

وهذه الرواية لا تصح فالحسن بن علي الزعفراني مجهول، لا يدرى من هو كما في "المفيد" للجواهري، والمسعودي لا يدرى من كذلك، ويحيى بن حماد القطان مجهول. أما أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي صاحب كتاب "الغارات" فقد قال ابن أبي حاتم: هو مجهول، وقال البخاري: لم يصح حديثه، وفي "لسان الميزان" عن أبي نعيم في تاريخ أصبهان أنه مات بأصبهان سنة ٢٨٠، وفي "لسان الميزان" يروي عن إسماعيل بن أبان وغيره، قال أبو نعيم في "تاريخ أصبهان": كان غاليا في الرفض ترك حديثه.

أكفرت بعدي"؟ فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسول الله، قال: "فإن علياً مني وأنا منه وهو وليكم بعدي"[١].

وقال علي أيضاً وهو على المنبر: "عهد إليَّ النبي الأمي أن الأمة ستغدر بي بعده"[٢].

وقد سمى الله علياً من نفس رسوله فقال: {فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} [آل عمران:٦١] وذلك حين باهله النصارى، فأحضر علياً وزوجته وابنيه، فأخبر الله في كتابه أنه من نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن ابنيه أبناء رسول الله، وأن زوجته بنت رسول الله نساءه، فضلها الله على نساء العالمين.

وكان خبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبر الصادقين، فأمر الله العباد أن يكونوا مع الصادقين فقال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}[التوبة:١١٩] ثم استخلفه بمكة حين عزمت قريش على أن يثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه فخلفه واضطجع على فراشه ووقاه بادرة الحتوف بنفسه، وكان يأتيه بالطعام ليلاً، وأمره أن يؤدي عنه الأمانات[١٧٤] التي كانت على يده، والودائع

---

[١] رواه أحمد (19928) والترمذي (٣٧١٢) وآخرون كثيرون، كلهم من طريق: جعفر بن سليمان، قال حدثني يزيد الرشك، عن مطرف بن عبد الله، عن عمران بن حصين به. قال الذهبي رحمه الله: " هو من أفراد جعفر " انتهى. " سير أعلام النبلاء" (١٩٩/٨) قال الترمذي ":هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث جعفر بن سليمان "، وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم " انتهى. وسكت عنه الذهبي ".المستدرك" (١١٩/٣) وصححه ابن حبان بإخراجه في " صحيحه" (٣٧٥/١٥).
وقال ابن عدي رحمه الله ":أدخله أبو عبد الرحمن النسائي في صحاحه، ولم يدخله البخاري "، كما في "الكامل" (١٤٦/٢).
وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله ":إسناد قوي " كما في "الإصابة " (٥٦٤/٤)
وصححه الألباني في " السلسلة الصحيحة " (رقم/٢٢٢٣).

[٢] حديث عليّ رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الأمة ستغدر بك بعدي، وأنت تعيش على ملتي وتقتل على سنتي، من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني، وإن هذه ستخضب من هذا- يعني لحيته من رأسه-). ذكره الحاكم (٣/ ١٤٢ - ١٤٣) معلقاً عن حيّان الأسدي: سمعت عليّاً يقول، وذكره ولم يسق له إسناداً لكن يشهد له ما ساقه بعد ذلك عن عليّ أنه قال: (إن مما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأمة ستغدر بك بعدي)، أخرجه الحاكم (٣/ ١٤٠)، والبيهقي في (دلائل النبوة) (٦/ ٤٤)، والخطيب في (تاريخ بغداد) (١١/ ٢١٦) من طريق هشيم عن إسماعيل بن سالم عن أبي إدريس الأودي- أوالأزدي- عن عليّ، وقد ساق إسناد البيهقي الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٧/ ٣٢٥)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وهو كذلك لولا أن أبا إدريس هذا لم أجد أحداً ذكره ولم أعرفه. لكن تابعه في هذا الحديث عن عليّ ثعلبة بن يزيد الحمّاني، عند البيهقي أيضا من طريق آخر لا مطعن فيه سوى أن ثعلبة هذا وإن كان صدوقاً لكنه شيعيّ غلا، وقال البخاري: في حديثه هذا نظر-كما في (الميزان) و(البداية والنهاية) -.

التي كانت عنده لما صار إلى الغار، وأن يخرج إليه أهله، فنفذ أمره وخرج يمشي مع أهله إلى المدينة مهاجراً على قدميه، حتى تفطرت قدماه دماً.

ثم قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فبنى المسجد وبنى فيه لنفسه بيتاً، وبنى لعلي بيتاً إلى جانب بيته، وأذن له في سكناه، وحرم على جميع العمومة والأقربين، والمهاجرين والأنصار، أن يبنوا في مسجده رفعة منه له، وإبانة منه لفضله ورفعاً لقدره، فتكلم في ذلك العمومة وبعض المهاجرين[والأنصار][1] فقال: "ما أنا أخرجتكم وأدخلته ولكن الله أمرني أن أدخله وأخرجكم"[2]. كل ذلك يبين الله منزلته لئلا يشك أحد في مكانه من رسول الله وعظم منزلته.

ثم أوتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بطائر فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر"[3]، فخص الله

[1] موجود في (ج).

[2] رواه الإمام أحمد في "مسنده" (١٩٢٨٧) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: كَانَ لِنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْوَابٌ شَارِعَةٌ فِي الْمَسْجِدِ. قَالَ: فَقَالَ يَوْمًا: " سُدُّوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ، إِلَّا بَابَ عَلِيٍّ " قَالَ: فَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ النَّاسُ، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَمَرْتُ بِسَدِّ هَذِهِ الْأَبْوَابِ، إِلَّا بَابَ عَلِيٍّ وَقَالَ فِيهِ قَائِلُكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا سَدَدْتُ شَيْئًا وَلَا فَتَحْتُهُ، وَلَكِنِّي أُمِرْتُ بِشَيْءٍ فَاتَّبَعْتُهُ ". وهو في "فضائل الصحابة" لأحمد (٩٨٥)، ومن طريقه أخرجه الحاكم في "المستدرك" ١٢٥/٣، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، فتعقبه الذهبي فقال: رواه عوف عن ميمون أبي عبد الله. يشير إلى أنه ضعيف لضعف ميمون هذا: وقد ذكره في "الميزان" ٢٣٥/٤، وذكر فيه هذا الحديث من منكراته.
وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٨٤٢٣). وقال الحافظ ابن حجر، رحمه الله، في "فتح الباري" في شرح حديث (٣٤٥٤) بعدما أورد شواهد عديدة للحديث: وهذه الأحاديث يقوي بعضها بعضا وكل طريق منها صالح للاحتجاج فضلا عن مجموعها. وقد أورد ابن الجوزي هذا الحديث في "الموضوعات"، أخرجه من حديث سعد بن أبي وقاص وزيد بن أرقم وابن عمر مقتصرا على بعض طرقه عنهم، وأعله ببعض من تكلم فيه من رواته، وليس ذلك بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق، وأعله أيضا بأنه مخالف للأحاديث الصحيحة الثابتة في باب أبي بكر وزعم أنه من وضع الرافضة قابلوا به الحديث الصحيح في باب أبي بكر. انتهى. وأخطأ في ذلك خطأ شنيعا فإنه سلك في ذلك رد الأحاديث الصحيحة بتوهمه المعارضة ، مع أن الجمع بين القصتين ممكن ، وقد أشار إلى ذلك البزار في "مسنده" فقال: ورد من روايات أهل الكوفة بأسانيد حسان في قصة علي ، وورد من روايات أهل المدينة في قصة أبي بكر ، فإن ثبتت روايات أهل الكوفة فالجمع بينهما بما دل عليه حديث أبي سعيد الخدري يعني الذي أخرجه الترمذي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : لا يحل لأحد أن يطرق هذا المسجد جنبا غيري وغيرك والمعنى أن باب علي كان إلى جهة المسجد ولم يكن لبيته باب غيره فلذلك لم يؤمر بسده ، ويؤيد ذلك ما أخرجه إسماعيل القاضي في " أحكام القرآن " من طريق المطلب بن عبد الله بن حنطب " أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يأذن لأحد أن يمر في المسجد وهو جنب إلا لعلي بن أبي طالب لأن بيته كان في المسجد "، ومحصل الجمع أن الأمر بسد الأبواب وقع مرتين ، ففي الأولى استثني علي لما ذكره ، وفي الأخرى استثني أبو بكر ، ولكن لا يتم ذلك إلا بأن يحمل ما في قصة علي على الباب الحقيقي وما في قصة أبي بكر على الباب المجازي والمراد به الخوخة كما صرح به في بعض طرقه ، وكأنهم لما أمروا بسد الأبواب سدوها وأحدثوا خوخا يستقربون الدخول إلى المسجد منها فأمروا بعد ذلك بسدها ، فهذه طريقة لا بأس بها في الجمع بين الحديثين ، وبها جمع بين الحديثين المذكورين أبو جعفر الطحاوي في "مشكل الآثار" ، وهو في أوائل الثلث الثالث منه ، وأبو بكر الكلاباذي في " معاني الأخبار " وصرح بأن بيت أبي بكر كان له باب من خارج المسجد وخوخة إلى داخل المسجد ، وبيت علي لم يكن له باب إلا من داخل المسجد ، والله أعلم .

[3] أخرجه الترمذي (٣١٢١) وفي العلل الكبير (ص /٣٧٤) (ح /٦٩٨) والنسائي في الكبرى (ح /٨٣٤١) وفي خصائص علي (ح /١٠) من طريق السدي عن أنس بن مالك قال: كان عند النبي - صلى الله عليه وسلم - طير فقال: «اللَّهُمَّ ائْتِنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ يَأْكُلُ مَعِي هٰذا الطَّيْرَ» فجاء علي فأكل معه. قال الترمذي: حدثنا سفيان بن وكيع، ثنا عبيد الله بن موسى، عن عيسى بن عمر، عن السدي، عن أنس قال: كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال: " اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير ". فجاء علي فأكل معه. ثم قال الترمذي: غريب، لا نعرفه من حديث السدي إلا من هذا الوجه. قال: وقد روي من غير وجه عن أنس. وقد رواه أبو يعلى عن الحسن بن حماد، عن مسهر بن عبد الملك عن عيسى بن عمر به. قال الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية": وقد جمع الناس في

علياً وأكرمه بتلك الدعوة، فأكل معه من ذلك الطير، فاستوجب بذلك أن يكون أحب خلق الله إلى الله وإلى رسوله، وأحب خلق الله إلى الله أرفعهم منزلة عند الله، وأوجبهم على المسلمين حقاً، وأولى أن يكونوا أشد له حباً من جميع الخلق، إذا كان كذلك عند الله عز وجل.

وقد أقام في المدينة يعقد الألوية عشر سنين، ويؤمر الأمراء ويوجه السرايا، فلم يزل رسول الله يوليه لا يولي عليه، ولم تجر سنة رسول الله –صلى الله عليهما– في علي أنه جعله تبعاً لأحد من الناس، ثم وجهه إلى اليمن وخالد بن الوليد على جيشين فقال: "إن اجتمع الجيشان فعلي أمير الجيشين"[١].

ولما بعث رسول الله علياً –صلى الله عليهما– إلى اليمن فقال: يا رسول الله إني حدث السن ولا أعلم[٢] بالقضاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله هادٍ قلبك ومثبت لسانك، ثم مسح بيده على صدره ثم قال: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه"، فقال علي –عليه السلام–: "فوالله ما شككت في قضاء بين اثنين بعد دعوة رسول الله"[٣].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "يا علي إني قد دعوت الله أن يجعل أذنك الأذن الواعية". وقال الله عز وجل: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٢][٤].

هذا الحديث مصنفات مفردة، منهم ؛ أبو بكر بن مردويه، والحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان، فيما رواه شيخنا أبو عبد الله الذهبي، ورأيت فيه مجلدا في جمع طرقه وألفاظه لأبي جعفر بن جرير الطبري المفسر صاحب " التاريخ "، ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه سندا ومتنا للقاضي أبي بكر الباقلاني المتكلم. وبالجملة ففي القلب من صحة هذا الحديث نظر، وإن كثرت طرقه، والله أعلم.

[١] لم أجده بهذا اللفظ ولكن القصة أخرجها البخاري (4092) عن البراء رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن، قال: ثم بعث عليا بعد ذلك مكانه، فقال: "مر أصحاب خالد، من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل". فكنت فيمن عقب معه، قال: فغنمت أواقي ذوات عدد".

[٢] في (ج): ولا علم لي.

[٣] أخرجه أبو داود (٣٥٨٢)، وابن ماجه (٢٣١٠) واللفظ له، والنسائي في ((السنن الكبري)) (٨٤٢١)، وأحمد (١٢٨٠). وهو حديث حسن.

[٤] سنده ضعيف؛ لإرساله . وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" (١٤/ ٦٦٧) لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. وعزاه في "الكنز" (٣٦٥٢٦) لسعيد بن منصور وابن مردويه وأبي نعيم في "معرفة الصحابة ."
وعزاه الحافظ في "فتح الباري" (١٣/ ٥٢٦) لسعيد وابن جرير.
وقد أخرجه سعيد في "سننه" (٢٢٨٣) وأخرجه أبو نعيم في "معرفة الصحابة (345) "من طريق إسحاق بن إبراهيم الغزي القاضي، عن أبي عمير عيسى بن محمد الرملي، عن الوليد بن مسلم، عن علي بن حوشب، عن مكحول، عن علي بن أبي طالب، قال: قال

وعلمه ألف باب كل باب منها يفتح ألف باب.

وقال -عليه السلام- لفاطمة حين قالت له: "زوجتني علياً عديم قريش"، فقال: "ما أنا زوجتك ولكن الله زوجك، أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً"[1].

فالحمد لله الذي خصه بفواضل الكرامة، وقربه بالسبق إلى الإيمان، ورفع درجته على درجة المهاجرين والأنصار في سبيل الله، وجعله أعلم العلماء وأخشاهم لله)) لأن الله يقول: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر:٢٨] وجعله أفقه أصحاب رسول الله في دين الله، وأقضاهم بمحكم كتاب الله وسنة نبيه، عليه السلام، ثم قال لأصحابه: "إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله"[2]، فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله؟ فقال: "لا"، فقال له عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: "لا، ولكنه خاصف النعل"، فأخبر علي بذلك فكأنه شيء قد

النبي -*صلى الله عليه وسلم* "دعوتُ الله أن يجعلها أذنك يا علي . "، وأخرجه الثعلبي في "تفسيره" (١٠/ ٢٨) من طريق أبي حمزة الثُّمالي ثابت بن أبي صفية، عن عبد الله بن الحسن؛ قال: حين نزلت هذه الآية: {وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ} ؛ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم "سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي" ، قال علي: فما نسيت شيئًا بعد، وما كان لي أن أنساه. قال الحافظ في "فتح الباري" (١٣/ ٥٢٦) : "أخرجه الثعلبي من مرسل عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي، وفي سنده أبو حمزة الثمالي"، وهو ضعيف.
وأخرجه ابن جرير في "تفسيره" (٢٣/ ٢٢٣) ، وابن أبي حاتم في "تفسيره" - كما في "تفسير ابن كثير" (١٤/ ١١٤) - والثعلبي في "تفسيره" (١٠/ ٢٨) ، وابن المغازلي في "المناقب" (٣٦٤) ، والواحدي في "أسباب النزول" (٤٣٤) ، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٤٢/ ٣٦١) و (٤٨/ ٢١٧) ؛ جميعهم من طريق بشر بن آدم، عن عبد الله بن الزبير، عن راو اختلف في ضبط اسمه بينهم - والأقرب أنه صالح بن ميثم - عن بريدة بن الحصيب الأسلمي؛ قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لعليّ: "يا عَليُّ؛ إنَّ اللهَ أمَرَنِي أنْ أُدْنِيَكَ وَلا أُقْصِيَكَ، وأنْ أُعَلِّمَكَ، وأنْ تَعِيَ، وحَقٌّ على اللهِ أن تَعِيَ" . قال: فنزلت: {وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ} .
قال ابن عساكر: "هذا إسناد لا يعرف، والحديث شاذ".

[1] روى الإمام أحمد في "مسنده" (٢٠٣٠) عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: وَضَّأْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: " هَلْ لَكَ فِي فَاطِمَةَ تَعُودُهَا؟ " فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَيَّ، فَقَالَ: " أَمَا إِنَّهُ سَيَحْمِلُ ثِقَلَهَا غَيْرُكَ، وَيَكُونُ أَجْرُهَا لَكَ " قَالَ: فَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيَّ شَيْءٌ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى فَاطِمَةَ، فَقَالَ لَهَا: " كَيْفَ تَجِدِينَكِ؟ " قَالَتْ: وَاللهِ لَقَدْ اشْتَدَّ حُزْنِي، وَاشْتَدَّتْ فَاقَتِي، وَطَالَ سَقَمِي " قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: وَجَدْتُ فِي كِتَابِ أَبِي بِخَطِّ يَدِهِ، فِي هَذَا الْحَدِيثِ، قَالَ: " أَوَمَا تَرْضَيْنَ أَنِّي زَوَّجْتُكِ أَقْدَمَ أُمَّتِي سِلْمًا، وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمًا، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا ".
إسناده ضعيف، خالد بن طَهْمان ضعَّفه ابن معين وقال: خلط قبل موته بعشر سنين، وكان قبل ذلك ثقة، وكان في تخليطه كل ما جاؤوا به يقرؤه، وحسن الرأي فيه أبو داود وأبو حاتم، وأما نافع بن أبي نافع الراوي عن معقل، فإن كان هو نفيع بن الحارث أبا دواد الأعمى فيما قاله أبو داود،
فهو متروك الحديث وإن كان غيره فهو لا يعرف كما قاله الذهبي في "الميزان" ٢٤٢/٤، وانظر ترجمة نافع هذا في "تهذيب التهذيب" لابن حجر. كذا في تخريج "المسند" بإشراف شيخنا الأرناؤوط رحمه الله.
وفي "مصنف ابن أبي شيبة" (٣٢١٣١): حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ عَنْ شَرِيكٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: قَالَتْ فَاطِمَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَوَّجْتَنِي حَمْشَ السَّاقَيْنِ عَظِيمَ الْبَطْنِ أَعْمَشَ الْعَيْنِ، قَالَ: «زَوَّجْتُكَ أَقْدَمَ أُمَّتِي سِلْمًا، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا، وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمًا.«
وفي " الآحاد والمثاني" لابن أبي عاصم (١٦٩): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، نا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، نا شَرِيكٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَوَّجْتَنِي حَمْشَ السَّاقَيْنِ، عَظِيمَ الْبَطْنِ، أَعْمَشَ الْعَيْنَيْنِ، فَقَالَ: «زَوْجَتُكَ أَقْدَمَ أُمَّتِي سُلَّمًا، وَأَعْظَمَهَا حِلْمًا، وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمًا». وأبو إسحق السبيعي لم يدرك فاطمة عليها السلام والرضوان.

[2] روى الإمام أحمد في "مسنده" (١١٢٥٨) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " فِيكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلَ عَلَى تَنْزِيلِهِ ".

سمعه من رسول الله قبل ذلك"[١]، كل ذلك يدل على أنه يستحق مقامه، وأنهما لا يستحقان مقامه، وليس لهما أن يقاتلا على تأويل القرآن.

ثم أمره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقال علي: "أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين"[٢].

وروي عن ابن مسعود قال: "أمر علي بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين"[٣].

وعن أبي أيوب قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "تقاتلون الناكثين والقاسطين والمارقين"، قلنا: مع من يا رسول الله؟ قال: "مع علي"[٤].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخبر المشهور أنه قال: "يأتي قوم من بعدي يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية"[٥]، فإنما مرقوا على علي –صلى الله عليه– فالإسلام علي، ومن كان مع علي، ثم نهض المشركون

---

[١] رواه أحمد في "مسنده" (١١٧٧٣) عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: كُنَّا جُلُوسًا نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا مِنْ بَعْضِ بُيُوتِ نِسَائِهِ، قَالَ: فَقُمْنَا مَعَهُ، فَانْقَطَعَتْ نَعْلُهُ، فَتَخَلَّفَ عَلَيْهَا عَلِيٌّ يَخْصِفُهَا، فَمَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَضَيْنَا مَعَهُ، ثُمَّ قَامَ يَنْتَظِرُهُ وَقُمْنَا مَعَهُ، فَقَالَ: " إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ هَذَا الْقُرْآنِ، كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ "، فَاسْتَشْرَفْنَا وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَالَ: " لَا، وَلَكِنَّهُ خَاصِفُ النَّعْلِ ". قَالَ: فَجِئْنَا نُبَشِّرُهُ، قَالَ: وَكَأَنَّهُ قَدْ سَمِعَهُ.
وأخرجه القطيعي في زوائده على "الفضائل" لأحمد (١٠٨٣)، والنسائي في "الكبرى" (٨٥٤١)، وأبو يعلى (١٠٨١)، وابن حبان (٦٩٣٧)، والحاكم ٣/١٢٢-١٢٣، والبيهقي في "الدلائل" ٦/٤٣٦، والبغوي في "شرح السنة" (٢٥٥٧)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

[٢] رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٦٨/٤٢) من طريق أبي الجارود عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده.
وأبو الجارود هو زياد بن المنذر الهمداني الكوفي الأعمى الرافضي وإليه ينسب الجارودية ضعفه أبو حاتم جدًا، وقال: متروك الحديث. وقال ابن حبان: كان رافضياً يضع الحديث في الفضائل والمثالب. وله طرق عديدة عن علي، رضي الله عنه، لا تخلو من ضعيف أو كذاب أو متروك.

[٣] رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٣٢٧) من طريق مسلم بن كيسان الملائي عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود.
وهو حديث معلول في سنده مسلم بن كيسان الملائي ضعيف الحديث. وخالفه أيضاً الحسن بن عمرو الفقيمي فرواه عن إبراهيم عن علقمة عن علي. قال الدارقطني في «العلل» (١٤٩/١): ومنهم من أرسله عنه وهو الصحيح عن إبراهيم عن علي مرسلا.
قال الهيثمي في «المجمع» (٢٣٥/٦): رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه. ومسلم بن كيسان الملائي تابعه منصور بن المعتمر كما عند ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧٠/٤٢) إلا أنها متابعة ساقطة في سندها إسماعيل بن عباد المقريء، قال الدارقطني: متروك.
وقال العقيلي: حديثه ليس بمحفوظ، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به بحال.

[٤] روى الحاكم في «المستدرك» (٤٦٧٤) من طريق محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل حدثني أبو زيد الأحول عن عقاب بن ثعلبة حدثني أبو أيوب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: «أمر رسول الله علي بن أبي طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.«
ورواه أيضا الحاكم في «مستدركه» (٤٦٧٥) من طريق محمد بن يونس القرشي عن عبد العزيز بن الخطاب حدثنا علي بن غراب عن ابن أبي فاطمة عن الأصبغ بن نباتة عن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - بمعناه. وكلاهما لا يصح. قال الذهبي: لم يصح وساقه الحاكم بسندين مختلفين إلى أبي أيوب ضعفين.
قال العقيلي في «الضعفاء» (٥١/٢): «الأسانيد في هذا الحديث عن علي لينة الطرق والرواية عنه في الحرورية صحيحة».

[٥] عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن بعدى من أمتى (أو سيكون بعدى من أمتى) قوم يقرأون القرآن. لا يجاوز حلاقيمهم. يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرّميّة. ثم لا يعودون فيه. هم شر الخلق والخليقة".
أخرجه مسلم في "صحيحه" (١٠٦٧).

لمحاربة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فخص الله علياً -صلى الله عليه- بفضل الجهاد والاحتواء على درجته التي هي أرفع الدرجات عند الله، فكان له يوم بدر الذي خصه الله به من قتل المشركين والنكاية فيهم ما لم يكن لأحدٍ مثله، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره يوم بدر بالمبارزة للوليد وشيبة وعتبة، فأيده الله بالنصر ونزل القرآن بفضله، والشهادة له بالجنة بما من الله عليه من حسن الفعال في طاعة ربه[١٧٥] {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} [الحج:١٩] [1].

ثم لم يسو بينه وبين غيره فقال: {لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ} [النساء: ٩٥] الآية[2].

ثم خصه الله عز وجل يوم أحدٍ فبذل نفسه ووقى رسول الله ظبا السيوف، وأطراف الرماح بنحره، أمره رسول الله بالمبارزة لبني عبد الدار، وهم أصحاب الرايات، فتولى قتلهم كلما قصد منهم قاصد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رمى عليه بنفسه، فأيده الله بنصره، حتى قتل كل من أراد رسول الله بمكروه[3]، حتى قال جبريل -عليه السلام-: "إن هذه لهي المواساة"[4]. ثم نادى: "لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي"، فقال النبي -عليه السلام- لجبريل: "إنه مني وأنا منه"، فقال جبريل: "وأنا منكما"[5].

---

[1] روى البخاري في "صحيحه" (٣٩٥٦) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة». وقال قيس بن عباد: وفيهم أنزلت: {هذان خصمان اختصموا في ربهم} قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة، أو أبو عبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة وعتبة والوليد بن عتبة.

[2] لا علاقة لعلي، رضي الله عنه، بهذه الآية، فقد روى البخاري في "صحيحه" (٤٥٩٢) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنَّ رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أمْلَى عليه: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} {وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [النساء: ٩٥]، فَجَاءَهُ ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وهْوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ، قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، واللَّهِ لو أسْتَطِيعُ الجِهَادَ لَجَاهَدْتُ. وكانَ أعْمَى، فأنْزَلَ اللَّهُ علَى رَسولِهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وفَخِذُهُ علَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حتَّى خِفْتُ أنْ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عنْه، فأنْزَلَ اللَّهُ: (غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ).

[3] راجع "المغازي" (٢٢٥/١) للواقدي و"السيرة" (٩٣/٢) لابن هشام و"التاريخ" (٥٠٩/٢) لابن جرير الطبري.

[4] رواه ابن جرير الطبري في "تاريخ الأمم والملوك" (٥١٤/٢) وفي سنده ابن حميد وهو ضعيف وعنعنة ابن إسحق، وهو مدلس.

[5] قال ابن الجوزي في "الموضوعات" (١/ ٣٨٢):"الحديث الثاني والثلاثون في ذكر الهاتف، لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على: أنبأنا أبو منصور بن خيرون أنبأنا إسماعيل بن مسعدة أنبأنا حمزة بن يوسف أنبأنا أبو أحمد بن عدى حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس حدثنا عيسى بن مهران حدثنا محول حدثنا عبد الرحمن بن الاسود عن محمد بن عبيد الله ابن أبى رافع عن أبيه عن جده أبى رافع قال: " كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد مع على بن أبى طالب، وكانت راية المشركين مع طلحة بن أبى طلحة فذكر الحديث. وذكر فيه أن كل من كان يحمل راية المشركين يقتله على رضى الله عنه حتى عد تسعة أنفس حملوها وقتلهم على وقتل جماعة من رؤسائهم يحمل عليهم، فقال جبريل: يا محمد هذه المواساة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أنا منه وهو منى. ثم سمعنا صائحا يصيح في السماء وهو يقول: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على بن أبى طالب ". هذا حديث لا يصح، والمتهم به عيسى بن مهران. قال ابن عدى: حدث بأحاديث موضوعة وهو محترق في الرفض. وقد روى أبو بكر بن مردويه من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال: صاح صائح يوم أحد من السماء: " لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على بن أبى طالب " قال ابن بجير [حبان]: يحيى بن سلمة ليس ممن يكتب حديثه. وقال يحيى بن معين: ليس بشئ. وقال النسائي: متروك الحديث.

ثم حشد الأحزاب لرسول الله فخصه الله بالكرامة والرفعة في الجهاد، فقتل عمرو بن عبد ود يوم الخندق وهزم الله المشركين[1]، وأعز بقتله الإسلام إلى أن تقوم الساعة، وأذل الله الشرك إلى أن تقوم الساعة.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برايته مع رجلين من المهاجرين فرجعا منهزمين يجبنهما أصحابهما، ويجبنان أصحابهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار ليس بفرار"، فدعا علياً –عليه السلام– وكان رمد العين فتفل في عينه، ودعا الله أن يذهب عنه الحر والبرد، وأعطاه الراية ففتح الله على يديه[2].

ثم ثبت معه يوم حنين في جماعة من أهل بيته حين فر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جماعة الناس، فقال الله عز وجل: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ، ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة:٢٦،٢٥] فخصه الله ومن كان معه بالسكينة[3].

وروى ابن مردويه من حديث عمار ابن أخت سفيان عن طريق الحنظلي عن أبى جعفر محمد بن على قال: " نادى مناد من السماء يوم بدر يقال له رضوان: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا على بن أبى طالب ". قال الدارقطني: عمار متروك.
وجاء في (لسان الميزان لابن حجر:٢/ ٢٧٩) عيسى بن مهران المستعطف أبو موسى: كان ببغداد رافضي كذاب جبل، قال ابن عدي: حدث بأحاديث موضوعة محترق في الرفض.

[1] وقصة مبارزة علي رضي الله عنه لعمرو بن عبد ود وقتله إياه مشهورة في كتب السيرة وليس لها طريق مسندة صحيحة، وإنما هي من المراسيل و المعاضيل، فانظر إن شئت " سيرة ابن هشام " (٣/٢٤٠ - ٢٣٤) و" دلائل النبوة " للبيهقي (٣/ ٤٣٥ - ٤٣٩) و" سيرة ابن كثير " (٣ / ٢٠٣ - ٢٠٥).

[2] رواها ابن هشام في "السيرة" (١٥٦٠) ومن طريقه الطبراني في "الكبير" (٦٣٠٣) والبيهقي في "دلائل النبوة" (٤/٢٠٩) عن ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي بُرَيْدَةُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ فَرْوَةَ الْأَسْلَمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ سُفْيَانَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَكْوَعِ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِرَايَتِهِ، وَكَانَتْ بَيْضَاءَ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ، إلَى بَعْضِ حُصُونِ خَيْبَرَ، فَقَاتَلَ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَكُ فَتْحٌ، وَقَدْ جَهَدَ، ثُمَّ بَعَثَ الْغَدَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَقَاتَلَ، ثُمَّ رَجَعَ وَلَمْ يَكُ فَتَحَ، وَقَدْ جَهَدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسَ بِفَرَّارٍ. قَالَ: يَقُولُ سَلَمَةُ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَرْمَدُ، فَتَفَلَ فِي عَيْنِهِ، ثُمَّ قَالَ: خُذْ هَذِهِ الرَّايَةَ، فَامْضِ بِهَا حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ.
وهذا سند ضعيف فبريدة بن سفيان الأسلمي المديني سُئِلَ أَحْمد عَن حَدِيثه؟ فَقَالَ: بلية! قَالَ أَبُو حَاتِم الرَّازِيّ: ضَعِيف الحَدِيث، وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيّ: مَتْرُوك. وأبوه متكلم فيه.
والحديث ثابت دون حكاية انهزام الشيخين، رضي الله عنهما، في كثير من دواوين السنة وهو في "الصحيحين" أخرجه البخاري (٤٢١٠) في المغازي، ومسلم (٢٤٠٦) في فضائل الصحابة. عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: ((لأُعطينَّ هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يُحِبُّ اللهَ ورسولَه، ويُحبُّه اللهُ ورسولُه))؛ قال :فباتَ الناس يَدُوكُون ليلتهم: أيُّهم يُعطاها، فلمَّا أصبح الناس غَدَوْا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلُّهم يرجو أن يُعطاها: فقال: ((أين عليُّ بن أبي طالب؟))، فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه! قال: ((فأرسلوا إليه))، فأُتي به، فَبَصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه، ودعا له، فَبَرَأ حتَّى كأنْ لم يكن به وَجَعٌ، فأعطاه الراية، فقال عليٌّ: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: ((انفُذ على رَسْلِكَ حتى تنزلَ بساحتهم، ثمَّ ادْعُهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجبُ عليهم من حقِّ الله فيه، فَوَاللهِ لأَنْ يهديَ الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من أن يَكونَ لك حُمْرُ النَّعَم))؛ واللفظ للبخاري.

[3] روى الترمذي في جامعه وقال: حديث حسن صحيح برقم (١٦٨٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقد رأيتنا يوم حنين، وإن الفئتين لموليتان، وما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة رجل، قال الحافظ في الفتح (٨/ ٢٩-٣٠): هذا أكثر ما وقفت عليه من عدد من ثبت يوم حنين، وروى أحمد في مسنده بسند ضعيف برقم (٤٣٣٦)، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين فولى الناس، وثبت معه ثمانون رجلًا من المهاجرين والأنصار، وهذا لا يخالف حديث ابن عمر، فإنه

ثم خرج رسول الله إلى تبوك واستخلفه على المدينة وقال: "لا يصلح لخلافتي إلا أنت"[١]، وفي حديث آخر: "لا يصلح المدينة إلا أنا أو أنت"، فتكلم أناس في ذلك وقالوا: خلفه لخساسة منزلته فلحقه بعد أن سار فشكى إليه ما تكلم به الناس في تخليفه فقال: "يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي؟"" فقال: بلى، رضيت يا رسول الله[٢]. فقد بين الله سبحانه منزلة هارون من موسى فقال: {هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي} [طه:٣٠-٣٢] الآية، وقال موسى لهارون: {اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي} [الأعراف:١٤٢] فلعلي الأخوة والوزارة، والشركة في الأمر والخلافة في قومه، فلم يستثن صلى الله عليه وآله وسلم غير النبوة، ولو كان مع النبوة غيرها مما لا يحل له لاستثناه كما استثنى النبوة، فقد بين الله تعالى لنا في كتابه.

وبين لنا رسول الله في سنته أن علي بن أبي طالب خليفة من بعده، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر بعشر آيات من أول [سورة][٣] براءة إلى أهل مكة، فنزل عليه جبريل -عليه السلام- فقال: إنه لا يصلح أن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً فرد أبا بكر ومضى علي -صلى الله عليه- ببراءة عن أمر الله، فكان المؤذن بها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٤]، وجعله الله الأذان من الله ورسوله كل ذلك يبين منزلته واستحقاقه لمقامه.

نفى أن يكونوا مائة، وابن مسعود أثبت أنهم كانوا ثمانين، وأما ما ذكره النووي في شرح مسلم أنه ثبت معه اثنا عشر رجلًا فكأنه أخذه مما ذكر ابن إسحاق في السيرة (١٧٤٥): أنهم كانوا عشرة، ووقع في شعر العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه أن الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط، ولعل هذا هو الثبت، ومن زاد على ذلك يكون عجل في الرجوع فعُد فيمن لم ينهزم. اهـ ورواية ابن إسحق عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما إسنادها حسن، رجالها ثقات رجال الشيخين غير ابن إسحاق، فهو صدوق حسن الحديث، وقد صرح بالتحديث في "سيرة ابن هشام"، و"مسند أبي يعلى" فانتفت شبهة تدليسه.

وأخرجها الإمام أحمد في "المسند" (١٥٠٢٧) والبزار (١٨٣٤) من طريق يحيى بن سعيد، وأبو يعلى(1862) و(١٨٦٣)، وابن حبان (٤٧٧٤) من طريق عبد الأعلى، والبيهقي في "الدلائل" 5/126-128 =و١٢٩ من طريق يونس بن بكير، ثلاثتهم عن ابن إسحاق، بهذا الإسناد. ولم يذكره أحد منهم بتمامه غير البيهقي. وقد جاء تسمية من ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثَبَتَ مَعَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَابْنُهُ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ، وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأَيْمَنُ بْنُ عُبَيْدٍ وَهُوَ ابْنُ أُمِّ أَيْمَنَ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ. رضي الله عنهم جميعا.

[١] هذا المعنى وجدته في حديث رواه رواه الإمام أحمد في " المسند " (٣٠٦١) ، والحاكم في " المستدرك " (١٣٢/٣) ، وابن أبي عاصم في " السنة (1351)، والشاهد منه هو ما جاء عند أحمد في "المسند": " أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انك ليس نبي انه **لا ينبغي أن اذهب الا وأنت خليفتي**"، وعند ابن أبي عاصم: " أَفَلا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ **وَأَنْتَ خَلِيفَتِي فِي كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ بَعْدِي**"، وفي "السنن الكبرى" (٨٣٤٣) للنسائي: " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي، ثم قال: **أنت خليفتي**، يعني في كل مؤمن من بعدي"، والحديث صححه بعض أهل العلم، وضعفه آخرون. وممن صححه الحاكم ووافقه الذهبي وشاكر والألباني.

[٢] هذا حديث متواتر رواه البخاري (٣٧٠٦) ومسلم (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، وله طرق وروايات عن جمع من الصحابة.

[٣] موجود في (ج).

[٤] ليس في الحديث رد لأبي بكر، رضي الله عنه، بل فيه أنه كان أمير الحج، ولكن جرت عادة العرب ألا يحل العقود إلا كبير القوم أو رجل من أهل بيته. وقد روى الحديث الترمذي في "جامعه" (٣٠٩١) عن ابن عباس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر

وقال الحسن في "كتاب التوحيد": إن الله سبحانه أنزل على نبيه الكتاب وعلمه التنزيل، وأخبره بالتأويل وأنزل عليه الفرائض، وشرحها بالسنن، وعمل بها بين أظهرهم حتى عرفوها، وقامت عليهم الحجة، وعلمه الحلال والحرام حتى أكمل له الدين، فقال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً}[المائدة:٣] ثم فرض على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إبلاغ الدين الذي أكمله له فقال: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}[المائدة:٦٧] فبلغ صلى الله عليه وآله وسلم ما أمر بتبليغه، وبينه حتى لم يبق لأحدٍ عليه حجة في التأدية عن الله حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم: "ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة، ويباعدكم من النار، إلا وقد أخبرتكم به"[1].

واحتج الله علينا بذلك، فقال سبحانه: {رُسُلاً مُبَشِّرِينَ[١٧٦] وَمُنذِرِينَ لئلاَ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}[النساء:١٦٥]فكان أول دعوته أن دعا إلى الشهادتين فكان ذلك أول الفرائض، ثم دعاهم إلى الصلاة وحد لهم ما يجب عليهم فيها، وعمل بذلك بينهم حتى فهموه، ثم دعاهم إلى الصيام وصام معهم شهر رمضان، وعلمهم حدود ما يجب عليهم فيه، ثم دعاهم إلى الحج فحج بهم معلماً لهم ما يجب عليهم فيه، فطاف بهم حول البيت، وسعى بين الصفا والمروة، ثم وقف بهم المواقف كلها، ونسك بهم المناسك، وذبح الذبائح حتى علمهم حدود الحج وفهموه، ولم يبق لهم عليه حجة في البيان، ثم أخبره أنه ميت فقال تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ}[الزمر:٣٠] فكان مما افترض الله عليه إبلاغه لإكمال دينه وإتمام أمره، من يقوم مقامه بعده إذاً أعلمه أن الدين لا يتم إلا لمن يقوم مقامه إذ كان في صفة الحكيم، وإحكام صنعته أن الخلق لا يصلح إلا بمقوم يقوم اعوجاجهم ويسوي صعرهم، إذ كان الاعوجاج من صفتهم، وقد ندبهم إلى أمر واحد لا اختلاف فيه

وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات ثم أتبعه عليا فبينا أبو بكر في بعض الطريق إذ سمع رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء فخرج أبو بكر فزعا فظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو علي فدفع إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر عليا أن ينادي بهؤلاء الكلمات فانطلقا فحجا فقام علي أيام التشريق فنادى ذمة الله ورسوله بريئة من كل مشرك فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ولا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا مؤمن وكان علي ينادي فإذا عيي قام أبو بكر فنادى بها. قال أبو عيسى: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن عباس.

ومما يدل على أن أبا بكر لم يزل أميرا على الموسم في تلك السنة حديث جابر عند الطبري وإسحاق في "مسنده" والنسائي (٢٩٥٨) والدارمي وابن خزيمة وابن حبان في "صحيحيهما": أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين رجع من عمرة الجعرانة بعث أبا بكر على الحج فأقبلنا معه حتى إذا كنا بالعرج ثوب بالصبح فسمع رغوة ناقة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإذا علي عليها، فقال له: أمير أو رسول فقال: بل أرسلني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ببراءة أقرؤها على الناس الحديث.

[1] أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٤٧٣)، والحاكم (٢١٣٦)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (١٠٣٧٦) باختلاف يسير، وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة"(2866).

فقال: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}[الأنعام:١٥٣] وعلمنا أنه ليس بصفة الحكيم أن يخلق خلقاً ليس من طبعهم الاتفاق في الرأي والهوى، ثم يندبهم إلى خلاف صفتهم بلا مقوم يقيمهم على ما أمر به من الاتفاق، ويذودهم عن معصيته، ويدعوهم إلى طاعته، فعلمنا أن الأمر ليس بمفوض إلى رأيهم إذ كان ليس في صفتهم ما أمرهم به، ولا يصلون إليه إلا بمؤدب يكرههم عليه.

وقد أدى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقام لهم من يقوم مقامه، ويحكم فيهم بأحكامه، ويمضي فيهم أمره وينهاهم عن نهيه، أذناً واعية، وقلباً هادياً، ولساناً ناطقاً بالحق يحفظ ما نسوا، ويعلمهم ما جهلوا وهو علي بن أبي طالب –صلى الله عليه–، وقد ندبهم الله إلى ذلك فقال سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ}[النساء:٥٩] ثم أكد في ذلك الحجة عليهم، فأعلمهم أن ولي الأمر من يعلم ما يجهلون، ويحفظ ما ينسون، واستحال أن يكون الجاهل إماماً للعالم إذاً[1] كان الجاهل مندوباً إلى العالم، فاستحال أن يندب المتبوع إلى التابع، وقد أمر المتبوع بتعليم التابع، والله سبحانه يقول: {أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}[يونس:٣٥] فعاب ذلك من حكمهم، وقال تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ}[النحل:٤٣].

ثم دل عليه فقال: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}[آل عمران:٦٨] فأخبر أن للمؤمنين ولياً هو أولى من اتبعه به، فقال: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}[المائدة:٥٥] فدل عليه بصفة، وقد أجمع نقلة العلم بالخبر المشهور عن غير تواطؤ أن علي بن أبي طالب هو الذي آتى الزكاة وهو راكع[2]، ثم بين أنه هو لئلا يدعي مكانه أحد، ولا يرتاب مسلم في

---

[1] في (ج): إذ.

[2] يشير إلى سبب نزول هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥]، ففي تفسيري ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم الرازي روايات كثيرة أنها نزلت في علي، رضي الله عنه، لكن قال ابن كثير: "رواه ابن مردويه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعمار بن ياسر وليس يصح منها شيء بالكلية، لضعف أسانيدها وجهالة رجالها" [تفسير ابن كثير ١٣٠/٣]. وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: "رواه الطبراني في الأوسط في ترجمة محمد بن علي الصائغ، وعند ابن مردويه من حديث عمار بن ياسر قال: وقف بعلي سائل وهو واقف في صلاته... الحديث. وفي إسناده خالد بن يزيد العمر وهو متروك، ورواه الثعلبي من حديث أبي ذر مطولا وإسناده ساقط" [الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني، هامش الكشاف ٦٤٩/١]. وفي بعضها أنها نزلت في عبادة بن الصامت، رضي الله عنه، في تبرُّئه من ولاية يهود بني قينقاع وحِلفهم، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. وفي ذلك آثار أوردها ابن جرير في تفسيره. وقال بعضهم: عني به جميع المؤمنين. وروى في ذلك (١٢٢١١) قال: حدثنا هناد بن السري قال، حدثنا عبدة، عن عبد الملك، عن أبي جعفر (محمد

معرفته، فقال تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفاً}[الأحزاب:٦] فليس أحد ممن أومأ الناس إليه أولى برسول الله بالإيمان والهجرة والرحم من علي بن أبي طالب.

ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، ألا وهما الخليفتان من بعدي فالهدى فيهما"[1]، والكتاب يدل على العترة [١٧٧] والعترة تدل على الكتاب فأكثرها به تمسكاً دلالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الهدى، وقالت طائفة من الناس من غير حجة ولا أمرٍ من الله ولا من رسوله، إن أبا بكر أولى الناس بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقالت طائفة أخرى: إن العباس بن عبد المطلب أولى بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولأبي بكر إيمان وهجرة، وليس له برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحم قريبة به يستحق بها المقام، وللعباس إيمان ورحم قريبة، وليست له هجرة يستحق بها أن يكون أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولن تجتمع هذه الثلاث الخصال التي فيها بيان الفضل إلا في علي بن أبي طالب –عليه السلام– فهو أولى الناس برسول الله في الإيمان والهجرة، والرحم، وأولى الناس بمقامه، وأفضل الناس فضلاً، وأعلمهم علماً، وأقدمهم سلماً، قال الله تبارك وتعالى: {السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}[الواقعة:١٠-١٢] ثم شرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الفريضة التي افترضها الله فيمن يستحق مقامه بالسنة في ولي الأمر، فأخذ رسول الله بيده يوم غدير خم فقال: "يأيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم –يقول ذلك ثلاثاً–"، ليفهمه من عمي عن فهمه ويبلغ الشاهد الغائب، قالوا: بلى، قال: "فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله"[2]. فعلم الناس أن رسول الله صلى

بن علي بن الحسين الباقر) قال: سألته عن هذه الآية: "إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون"، قلت: من الذين آمنوا؟ قال: الذين آمنوا! قلنا: بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب! قال: عليٌّ من الذين آمنوا.

[1] تقدم تخريجه.

[2] تقدم الحديث.

الله عليه وآله وسلم لن يقول مولى عبودية، وإنما عنى مولاكم في دينكم، وقد عرفوا أنه ابن عمه، فما أسوأ حال من تقدم أمام مولاه في دينه، ثم لم يزل رسول الله يدل على علي منذ بعثه الله تعالى إلى أن قبضه الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويستخلفه ولا يستخلف عليه، ويوليه ولا يولي عليه، فكان من أولى الدلالات عليه أن الله سبحانه لما أمر نبيه أن ينذر عشيرته جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً، ثم ساق الحسن بن يحيى –عليه السلام– ذكر الوصية والأخوة، وآية التطهير والمباهلة، وقد تقدم ذكر ذلك ما يستغنى عن إعادته هنا.

القول في إمامة الحسن والحسين وأولادهما -عليهم السلام-

قال الحسن: أجمع علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن علي بن أبي طالب كان أفضل الناس بعد رسول الله، وأعلمهم وأولاهم بمقامه[1]، ثم من بعد أمير المؤمنين الحسن والحسين أولى الناس بمقام أمير المؤمنين، ثم من بعد ذلك علماء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأتقياهم، وأبرارهم أئمة المسلمين في حلالهم وحرامهم وسنن نبيهم، فمن أمر منهم بالمعروف ونهى عن المنكر، وجبت على المسلمين معاونته ونصرته، وأن القائم منهم بالمعروف والجهاد أفضل عندهم من القاعد.

وكل مصيب قدوة له صلى الله عليه وآله وسلم على إمامة علي والحسن والحسين بأعيانهم وأسمائهم، فقال في علي –صلى الله عليه– ما تقدم ذكره في باب إمامته، وقال في الحسن والحسين –صلى الله عليهما–: "هما سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما"[2]، فجعلهما سيدين، وبين فضلهما، ودل على إمامتهما، ودل أنه لا يحل لأحد أن يتقدم من جعله رسول الله سيداً، وشهد له بالجنة، وقال: "اللهم أحب من أحبهما وابعض من أبغضهما"[3].

---

[1] الإجماع على أن النبي صلى الله عليه وآله أولى بمقامه.

[2] أخرجه الحاكم (٤٧٧٩) واللفظ له، وأبو نعيم في "الحلية " (٥/ ٥٨) مختصرا من حديث عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، بسند حسن كما قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٤٢٨/٢).

[3] أخرجه النسائي في "السنن الكبرى" (٨١٦٨)، وابن ماجه (١٤٣)، وأحمد (٧٨٧٦) باختلاف يسير، عن أبي هريرة، رضي الله عنها. وصححه الألباني في "الصحيحة" (٢٨٩٥).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "تعلموا منهما ولا تعلموهما، فهما أعلم منكم"[1]. وقال لأبيهما ولهما: "أنا سلم لمن سالمتم حرب لمن حاربتم"[2]، فأثبت أن حربهم حربه، وسلمهم سلمه، وهذه قضية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم وفيمن تمسك بالكتاب من الذرية.

وقال: "إن استنصروكم فانصروهم، وإن لبدوا فالبدوا"[3]، وأوجب على الأمة نصرتهم إذا استنصروهم، ولم يأمرهما بنصر أحد ولا اتباعه، وفي ذلك دليل على أنهما المتبوعان، وليسا بتابعين [١٧٨] وفي إبانة فضلهما في علمهما وأنفسهما على جميع الأمة دليل على أنه لا يجوز أن يكون الفاضل العالم تبعاً للجاهل المفضول، فكيف وقد أمر الله بنصرتهما وقال: "النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي"[4].

---

[1] هذا الحديث أحد روايات الطبراني لحديث زيد بن أرقم لخطبة غدير خم، برقم (٢٦٨١، ٤٩٧١) بإسناد لا يحتج بمثله أهل العلم، ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٥/ ١٩٥ و٩/ ١٦٤) وقال فيه حكيم بن جبير وهو ضعيف. فيه حكيم بن جبير الأسدي الكوفي: قال البخاري "كان شعبة يتكلم فيه" (التاريخ الكبير٣/ ٦٥ والصغير٢/ ١٩) وقال يعقوب بن سفيان "كان مغال في التشيع...وقال: قيل عنه هو مذموم ورافضي من الغالية في الرفض" (المعرفة٣/ ٩٩). راجع: "تهذيب التهذيب" (٢/ ٤٤٥)، "ميزان الاعتدال" (١/ ٥٨٣).

[2] رواه الإمام أحمد (٩٦٩٨) حَدَّثَنَا تَلِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْجحافِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: نَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَلِيٍّ وَالْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ، وَفَاطِمَةَ، فَقَالَ: (أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ) قال ابن الجوزي: وهذا لا يصح، تليد بن سليمان كان رافضياً يشتم عثمان، قال أحمد ويحيى: كان كذاباً.
ومن طريق الإمام أحمد رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (٢٦٢١)، والحاكم في "المستدرك" (٤٧١٣)، والآجري في "الشريعة" (١٥٢٩). وله متابعة فقد رواه الترمذي (٣٨٧٠)، وابن ماجه (١٤٥)، وابن حبان (٦٩٧٧) من طريق أَسْبَاط بْن نَصْرٍ الهَمْدَانِيّ، عَنْ السُّدِّيّ، عَنْ صُبَيْحٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ به مرفوعا. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَصُبَيْحٌ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ.
وله شاهد رواه الطبراني في "المعجم الأوسط" (٢٨٥٤) من طريق حُسَيْن بْنُ الْحَسَنِ الْأَشْقَرُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى ، عَنْ أَبِي مَضَاءٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صُبَيْحٍ ، مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ جَدِّهِ صُبَيْحٍ قَالَ : " كُنْتُ بِبَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ، فَجَلَسُوا نَاحِيَةً ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا، فَقَالَ : (إِنَّكُمْ عَلَى خَيْرٍ) وَعَلَيْهِ كِسَاءٌ خَيْبَرِيٌّ، فَجَلَّلَهُمْ بِهِ ، وَقَالَ: (أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ، سَلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ) . وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩/ ١٦٩) "رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ مَنْ لَمْ أَعْرِفْهُمْ". وقد تقدم الحديث.

[3] هذا الأثر موقوف على علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، كما في كتاب سليم بن قيس الكوفي (ص ٢٥٧) و"الغارات" للثقفي (١/١) وهو من خطب "نهج البلاغة"، وقد تقدم بعض الأثر وتخريجه من كتب أخرى وهو طويل يبدأ بقوله: " أيها الناس أما بعد أنا فقأت عين الفتنة ولم يكن ليفقأها أحد غيري". وهذه المصادر كلها غير موثوقة ولا معتمدة.

[4] ورد هذا الحديث من رواية جماعة من الصحابة، هم: سلمة بن الأكوع، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو موسى الأشعري، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم أجمعين. والأسانيد إليهم تدور بين كذاب وضعيف! وأمثل طرقه ما رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥/٧/رقم ٦٢٦٠) عن موسى بن عبيدة الربذي، عن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه مرفوعاً به. والحديث عزاه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٢٣٤/١٠) لابن السماك في «جزء من حديثه.(67/2) « قال الحافظ ابن حجر في «المطالب» :«هذا إسناد ضعيف.« وفيه موسى بن عبيدة الربذي أحد الضعفاء، شغلته العبادة عن ضبط الحديث، فأدركته غفلة الصالحين! وفي حديثه نكرة وخطأ. وراجع: "المستدرك" (٧٠٥٨) والقطيعي في «زوائده على فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل» (٦٧١/٢/ رقم ١١٤٥).
والثابت الصحيح هو ما رواه مسلم في "صحيحه" (٢٥٣١) عن ابي بردة، عن ابيه أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، قال: " صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا فخرج علينا، فقال: ما زلتم هاهنا؟ قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: احسنتم او اصبتم، قال: فرفع راسه إلى السماء وكان كثيرا مما يرفع راسه إلى السماء، فقال: النجوم امنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم اتى السماء ما توعد، وانا امنة لاصحابي، فإذا ذهبت اتى اصحابي ما يوعدون، واصحابي امنة لأمتي، فإذا ذهب اصحابي اتى امتي ما يوعدون ".

وخصهما الله بأبوة رسول الله وسماهما ابنيه في كتابه فقال: {فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ} [آل عمران:٦١] الآية، وخصهما بآية التطهير {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} [الأحزاب: ٣٣] فلما نزلت هذه الآية جعل رسول الله الكساء عليه وعلى علي وفاطمة والحسن والحسين ثم قال: "هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"[١].

وفرض مودتهما على كل مسلم، ومودة علي وذريتهما، وجعل لهما الخمس فريضة في كتاب الله فلهما آية الصفوة، قوله: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}[فاطر:٣٢] وآية التطهير، وآية المباهلة، وآية الخمس، وآية الفيء، وآية المودة، فدل عليهما بالدلالة التي أبان فضلهما وعظم منزلتهما، وقال الله سبحانه: {فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ}[الروم:٣٨] فدل عليهما بأعيانهما وأسمائهما، وأنسابهما وأفعالهما، فإمامتهما واحدة، وحقهما واجب، وهما إمامان في وقت واحد، إن قاما فلهما وإن قعدا فلهما، درجتهما في الجنة واحدة، ومنزلتهما في الجنة واحدة، إلا أن الحسن يتقدم الحسين بالسن لقول النبي -عليه السلام-: "يؤمكم أقرؤكم لكتاب الله وأقدمكم هجرة وأعلاكم سناً"[٢].

وقال لأبيهما ولهما ولمن تمسك بالكتاب من ذريتهما: "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي"[٣]، فهما أبوا العترة وسيداها، والموضع الذي أخبر رسول الله أن في التمسك بهما الهدى فلا يحل لمسلم أن يتقدمهما، ولا يطلب الهدى في غيرهما ولا في غير أولادهما، المتمسكين بالكتاب، ودلالته على أولادهما أن

---

[١] رُوي هذا الحديث من رواية جماعة من الصحابة، منهم عائشة وأم سلمة وعمر بن أبي سلمة وواثلة بن الأسقع وعبد الله بن عباس، رضي الله عنهم، وهو المعروف بحديث الكساء. وأصح رواياته ما رواه مسلم (٢٤٢٤) عن أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها. وله طرق صحيحة وحسنة كثيرة.

[٢] روى مسلم (٢٣٧٣) عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا وفي رواية فَأَكْبَرُهُمْ سِنًّا، وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ). وهذا في إمامة الصلاة إذا تساوى الناس في الفضائل.

[٣] هذا الحديث قد رُوي عن جمع من الصحابة بألفاظ مختلفة، وهذا اللفظ أخرجه الترمذي في "سننه" (٣٧٨٦) ، والطبراني في "المعجم الأوسط" (٤٧٥٧) ، من طريق نَصْر بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ الكُوفِيُّ ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الحَسَنِ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، قَالَ: " رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّتِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ القَصْوَاءِ يَخْطُبُ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللهِ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي". وهو صحيح بمجموع طرقه كما قال عدد من العلماء. وقد قدمنا تخريجه.

يتمسك العباد بهما، وبالمتمسكين بالكتاب من ذريتهما، فمن تمسك بالكتاب وبهم لن يضل أبداً.

ثم أخبرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف الإمامة عد هؤلاء المسمين بأعيانهم- يعني بعد علي والحسن والحسين- فقال: "إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، ألا وهما الخليفتان من بعدي"[1]، فبين بهذا الكلام فضل الإمامة كيف هو في كل عصر وزمان إلى الأبد على هذه الشريطة التي شرط وهي لزوم الكتاب، فإذا كان من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل عالم بكتاب الله وسنة نبيه، عامل بذلك فهو الإمام الذي دل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل عصر وزمان، على المسلمين الأخذ عنه حلالهم وحرامهم، وسنن نبيهم، فإذا دعاهم إلى نصرة الحق وجب عليهم نصرته، ولن يخلو أهل بيت رسول الله في كل عصر وزمان أن يكون فيهم مأمون على كتاب الله وسنة نبيه، علمه من علمه وجهله من جهله، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض"[2]، فهذا إجماع من مضى من آل رسول الله الأتقياء الأبرار الذين بهم يقتدى، فقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمامة، ولم يدع لأحد فيها اختياراً.

وبينها الله في كتابه فقال: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ}[آل عمران:١١٠] وقال: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[آل عمران:١٠٤] وقال: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ}[البينة:٧] وقال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}[الصف:١٠] إلى آخر الآيتين، وقال: {لاَ يَسْتَوِي

---

[1] رواه الإمام أحمد (٢١٥٧٨)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٤٩٢١) من طريق شَرِيك، عَنِ الرُّكَيْنِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ: كِتَابَ اللهِ، حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَوْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ). وهو صحيح بشواهده.
ومنها ما رواه الطبراني في "الكبير" (٢٦٨١) و (٤٩٧١) -من طريق عبد الله بن بكير الغنوي، عن حكيم بن جبير، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم مطولاً، وفيه: "فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين" فقال رجل: وما الثقلان؟ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كتاب الله طرفٌ بيد الله، وطرفٌ بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا، والآخر عترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم"، وإسناده ضعيف، عبد الله بن بكير الغنوي ضعيف منكر الحديث.
وله شاهد من حديث زَيد بن أرقمَ رضي الله عنه: "إنِّي تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تضلُّوا بعدي - أحدُهما أعظمُ من الآخَر -: كتاب الله، حبْلٌ ممدودٌ من السَّماء إلى الأرض، وعِترتي أهل بيتي، ولن يتفرَّقَا حتى يرِدَا عليَّ الحوضَ، فانظروا كيف تَخلُفوني فيهما"، أخرجه الترمذي (٣٧٨٨). قال الترمذيُّ: (حسن غريب).
[2] هذه الزيادة صححها جمع من العلماء بشواهدها.

مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ}[الحديد:١٠] الآية، وقال: {فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى}[النساء:٩٥] الآيتين، فقد بين الله لذوي العقول والأديان، ودلهم على أن أفضل آل رسول الله أتقاهم لله، وأعلمهم[١٧٩] بكتاب الله، وأكثرهم جهاداً في سبيل الله، فأشد أهل بيت النبي تمسكاً وأكثرهم به علماً وعملاً، أوجبهم على المسلمين حقاً.

ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المهدي وسماه باسمه واسم أبيه، فقال: "اسمه كاسمي واسم أبيه كاسم أبي، سخي بالمال، شديد على العمال، رحيم بالمساكين"[١]، الشريطة فيمن لم يسمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غير وقت دولتهم من كان من العترة فيه العلم والجهاد، والعدل، وأداء الأمانات إلى أهلها.

وقال محمد بن علي وزيد بن علي وكانا إمامين من أئمة الهدى: "نحن ولد فاطمة أئمتكم في حلالكم وحرامكم، الإمام منا المفترض الطاعة، الشاهر سيفه، الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وليس الإمام المفترض الطاعة الجالس في بيته، المرخي عليه ستره، تجري عليه أحكام الظلمة ولا تجري حكومته على ما وارى بابه"[٢]، وذلك أنهم لا

---

[١] أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٣٧٦٥٢) عن إبراهيم بن ميسرة قال: قلت لطاوس: عمر بن عبد العزيز المهدي؟ قال: قد كان مهديا، وليس به، إن المهدي إذا كان زيد المحسن في إحسانه، ويكتب على المسيء من إساءته، وهو يبدل المال، ويشتد على العمال، ويرحم المساكين.
ويشهد له عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود، رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ - قَالَ زَائِدَةُ فِي حَدِيثِهِ: لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ - ثُمَّ اتَّفَقُوا: حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي، أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي - زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ: يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا - وَقَالَ: فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ: لَا تَذْهَبُ، أَوْ لَا تَنْقَضِي، الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي". أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣٠)، وقال الترمذي: حسن صحيح.
[٢] ليس لهذا الأثر سند يمكننا النظر فيه لكن قال الحاكم الحسكاني في "شواهد التنزيل" (٧٨٢) حدثونا عن أبي بكر محمد بن الحسين بن صالح السبيعي قال: حدثني الحسين بن إبراهيم بن الحسن الجصاص (قال:) أخبرنا الحسين بن الحكم حدثنا عمرو بن خالد أبو حفص الأعشى: عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين، قال: إني لجالس عنده إذ جاءه رجلان من أهل العراق فقالا: يا ابن رسول الله جئناك (كي) تخبرنا عن آيات من القرآن. فقال: وما هي؟ قالا: قول الله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا) فقال: يا أهل العراق وأيش يقولون؟ قالا: يقولون: إنها نزلت في أمة محمد صلى الله عليه وسلم. فقال لهم علي بن الحسين: أمة محمد كلهم إذا في الجنة!! قال: فقلت من بين القوم: يا ابن رسول الله فيمن نزلت؟ فقال: نزلت والله فينا أهل البيت - ثلاث مرات - قلت: أخبرنا من فيكم الظالم لنفسه؟ قال: الذي استوت حسناته وسيئاته - وهو في الجنة - فقلت: والمقتصد؟ قال: العابد لله في بيته حتى يأتيه اليقين. فقلت: السابق بالخيرات؟ قال: **من شهر سيفه ودعا إلى سبيل ربه**. وهذا الأثر ضعيف، لجهالة أبي بكر السبيعي وضعف أبي حمزة الثمالي. ومع ذلك ليس فيه تخصيص الإمامة بآل البيت.
وقال الحاكم أيضا في "شواهد التنزيل" (٧٨٣) وبه حدثنا الحسين بن الحكم حدثنا الحسن بن الحسين (العرني) عن يحيى بن مساور، عن أبي خالد، عن زيد بن علي في قوله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب) (وساق الآية إلى آخرها و) قال: (الظالم لنفسه) المختلط منا بالناس (والمقتصد) العابد (والسابق) الشاهر سيفه يدعو إلى سبيل ربه. والحسن بن الحسين العرني ضعيف منكر الحديث، كما يعلم من ترجمته، وأبو خالد الواسطي متهم بالكذب. ومع هذا فليس فيه تخصيص الإمامة بآل البيت، عليهم السلام.
ورواه أيضا محمد بن سليمان الكوفي (توفى بعد سنة ٣٠٠) - في أواخر الجزء الخامس في الحديث: (٦٤٣) من "مناقب علي عليه السلام" (١ / ١٤٦) قال: (حدثنا) عثمان بن محمد (الألثغ) قال: حدثنا جعفر قال: حدثنا يحيى بن الحسن قال: حدثنا يحيى بن مساور عن أبي خالد الواسطي: عن زيد بن علي بن الحسين قال في قول الله: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) قال: الظالم لنفسه (منا) المختلط بالناس قال: والمقتصد؟ قال: العابد. قال: (فالسابق بالخيرات؟) قال: الشاهر سيفه يدعو إلى سبيل ربه. ومحمد بن سليمان مجهول.

يحتاجون إلى الطاعة إلا مع الأمر والنهي، وإقامة الحدود، وأخذ الأفياء والأخماس من مواضعها، ووضعها في أهلها، والأخذ للمظلوم من الظالم.

قال محمد في كتاب "المسائل": وليس بين ولد الحسن والحسين عندنا فرق في الإمامة، فمن قام فهو يستحق مقامه بالعلم والورع، والعقل وهو عندنا موضع لما قام به، وعلى ذلك رأينا آل رسول الله –عليه وعليهم السلام– من مضى منهم وممن أدركنا منهم أحمد بن عيسى، وعبد الله بن موسى، وقاسم بن إبراهيم، وغيرهم ممن أدركنا من علمائهم، وقد ثبت لنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي".

القول في الرافضة

قال محمد في "كتاب أحمد بن عيسى –عليه السلام–"[1]: حدثنا قاسم بن إبراهيم، قال حدثني أبي، عن أبيه، عن آبائه، عن علي –عليهم السلام– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يكون قوم يهلكون بادعاء حبك لهم نبز يعرفون به يقال لهم الرافضة، إن أدركتهم فاقتلهم فإنهم مشركون".

[1] رواه محمد بن منصور في "الأمالي" (٣٠٥/٤) وورد في كتاب "الأحكام في الحلال والحرام" للإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم رحمه الله (٤٤٥/١) حدثني أبي وعماي محمد والحسن عن أبيهم القاسم بن إبراهيم عن أبيه عن جده عن إبراهيم بن الحسن عن أبيه عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب عن أبيهم علي بن أبي طالب عليهم وعليه السلام عن النبي صلى الله عليه واله وسلم أنه قال: " يا علي يكون في آخر الزمان قوم لهم نبز يعرفون به يقال لهم –الرافضة- فان أدركتهم فاقتلهم قاتلهم الله فإنهم مشركون قلت يا نبي الله ما العلامة فيهم ؟ قال: يقرضونك بما ليس فيك ويطعنون على اصحابي ويشتمونهم".
وتابعه كثير النواء عن إبراهيم بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي به.
أخرجه أحمد في "المسند" (١٠٣/١) والبخاري في "التاريخ الكبير" (٢٧٩/١) ، والبزار (١٣٨/٢) وقال : لا نعلم له إسنادا عن الحسن إلا هذا الإسناد. وابن عدي في "الكامل" (٦٦/٦)، وأخرجه ابن الجوزي في "العلل المتناهية" (١٦٣/١) وقال:
"هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحيى بن المتوكل قال فيه أحمد بن حنبل: هو واهي الحديث. وقال ابن معين: ليس بشيء. وكثير النواء: ضعفه النسائي.
وله طرق أخرى عن علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، من طرق ضعيفة.
كما أن للحديث روايات عن عدد من الصحابة، رضي الله عنهم، لكن قال الإمام البيهقي في "دلائل النبوة" (٢٤/٨):
"روي في معناه من أوجه أخر، كلها ضعيفة ". وضعفها الألباني أيضا في "ظلال الجنة.(2/191-194) ". ومنهم من احتج به فقد قال عنه الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢٥/١٠): إسناده حسن، كذا حكم عليه الشوكاني في "در السحابة" (٣٧) بالحسن.
لكن بتتبع طرق الحديث نجد أنه لا يصح طريق واحد منها، وهي تتراوح بين ضعيفة، وشديدة الضعف، وموضوعة.
ولذا فلا وجه لمن حسنه بمجموع طرقه، فهو وإن كان له طرق كثيرة لكنها لا يفرح بها حقيقة، فهي مترددة بين كذابين، وضعفاء، وفساق. وعليه فقول من قال إنه لا يصح في لفظ (الرافضة) حديث؛ هو قول صحيح. والله تعالى أعلى وأعلم.
ويبقى طريق الإمام الهادي غريبا جدا، فهو مسلسل بأئمة آل البيت، ولكن لفظه عجيب.

قال قاسم بن إبراهيم: فكنت أهاب هذا الحديث، ثم نظرت فإذا هم مشركون من وجوه.

قال الحسني: قرأت في كتاب أحمد بن بشار الثوري بخطه، وكان ثقة فاضلاً، قال أبو جعفر محمد بن منصور: قرأت على قاسم بن إبراهيم هذا الكلام: سألت يوماً أبي – رحمة الله عليه: لِمَ سُميت الرافضة بالرفض، ولِمَ نسبت إلى ما نُسبت إليه من الشنآن لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والبغض؟ فقال: سُميت الرافضة لرفضها آل رسول الله كلهم، ولاختيارها برأيها وأهوائها إماماً منهم، وليس بأعلمهم ولا أفضلهم، فهي يا بني كما سميت الرافضة من حق الله في الإمامة لما رفضت، والمبغضة من أولياء الله القائمين بالقسط لمن أبغضت، التي لم تأل أبرار آل نبيها صلى الله عليه وآله وسلم تجهيلاً وتضليلاً، وتعويقاً للناس عنهم وتخذيلاً، صداً منهم عن سبيل الله، وتفريقاً عن جهاد أعداء الله، وانتضاحاً في ذلك لضدهم، وفرحاً في ذلك بمقعدهم عما قام به رسول رب العالمين، من جهاد الكفرة المضلين، وفي المتخلفين والمعوقين عن ذلك، والصادين بقول الله سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ} إلى قوله: {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[التوبة:٣٨،٣٩] وقال: {الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ}[إبراهيم:٣] وقال سبحانه فيمن فرح بمقعده عن الجهاد مع تعطيله: {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لاَ تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا} إلى قوله: {يَكْسِبُونَ}[التوبة:٨١،٨٢] فلعمري لذنبهم في تخلفهم وإن كان موبقاً، وقعودهم وإن كان عند الله فسقاً، أيسر في الهلكة حظاً وأصغر مرتكباً من ذنب من واجه حكم الله في الجهاد برده مع تعطيله، وقال بالتضليل والتجهيل لمن قام بفريضة الله من الجهاد.

وزعمت الرافضة أنه [١٨٠] لم يكن قرن من القرون إلا وفيهم وصي نبي، أو وصي من وصي، أو حجة من الله عليهم مفروضة عليهم طاعته ومعرفته، فيسألون عن فترات الرسل هل خلت فترة من أن يكون فيها إمام هادٍ وحجة الله على العباد؟ فإن قالوا: لا تخلو فترة

من أن يكون فيها إمام هادٍ ليس بأحد معه إلى غيره حاجة[1]، قيل له: فلا حاجة إذاً بعد آدم بأمة خلت إلى أن يبعث فيهم نبي، [ولا فاقة إليه لأن وصيها كافٍ في الحجة عليها، مستغنٍ به عن التعريف والتكليف، وفي هذا القول غنى عن كل نبي][2] أو رسول، وفي هذا من إكذاب كتاب الله ما لا خفى به، قال الله سبحانه: {رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}[النساء:١٦٥] مع ما ذكر سبحانه مما يكثر عن الإحصاء، وقال: {مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ}[غافر:٧٨] فلم يذكر الله تعالى سبحانه في ذلك وصياً ولا شيئاً مما قالت الروافض.

هذا إلى ما قرنوا به من الضلال بقولهم في الوصية، وما عظموا به على الله ورسوله من الفرية التي ليس لهم بها في العقول حجة ولا برهان، ولم يُنزل بها من الله وحيٌ ولا فرقان، وما قالت به الرافضة من الأوصياء فهو قول فرقة كافرة ضالة من أهل الهند يقال لها البرهمية، تزعم أنها مكتفية بإمامة آدم عن كل رسول، وأن كل من ادعى بعده نبوة فقد ادعى دعوة كاذبة، وأنه أوصى إلى وصي من ولده، ثم يقودون وصيته بالأوصياء إليهم.

وقال الحسن بن يحيى: وسألتَ عن قول من يقول بالإمامة وذكرت أنهم يقولون لأنكم اجتمعتم معنا على أن الإمامة تصلح في ولد الحسين، ولم نجتمع معكم على أنها تصلح في ولد الحسن، فنحن على الإجماع في قولنا؟

فالجواب في ذلك: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دل على علي والحسن والحسين بأعيانهم وأسمائهم بإجماعنا، ثم أخبرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف الإمامة بعد هؤلاء المسمين بأعيانهم فقال: "إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، وهما الخليفتان [من][3] بعدي"، فبين بهذا الكلام الإمامة إلى الأبد.

---

[1] في (ج): خاصة.
[2] غير موجود في (ج).
[3] زيادة في (ج).

على هذه الشريطة التي شرط وهي لزوم الكتاب، واجتمعنا نحن وأنتم على هذا الحديث، وروته الأمة من غير تواطؤ، فلم يسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلانا بعد فلان، ولا رجلا بعد رجل، وإنما جعل -عليه السلام- الخليفة من بعده من أهل بيته من عمل بالكتاب، وذلك قوله: "وهما الخيلفتان من بعدي"، فتركتم أنتم ما اجتمعت الأمة على روايته، وأجمعت الشيعة على استعماله، وقلتم بالرأي في دين الله فقلتم: الإمامة وصية أوصى بها فلان إلى فلان بالإمامة، وهو حجة الله على خلقه من تقدمه من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطأتموه وكذبتموه وضللتموه، فلا يكون القول منكم بالرأي ناقضاً لإجماعنا وإجماعكم، فنحن على الأصل الذي أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا نحدث في دين الله رأياً ولا اختياراً، إلا ما شرط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العمل بالكتاب، فإن كان من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عالم بكتاب الله وسنة نبيه، عامل[1] بذلك، فهو الإمام الذي دل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل وقت وزمان، على المسلمين الأخذ عنه حلالهم وحرامهم وسنة نبيهم، فإذا دعاهم إلى نصرة الحق وجب عليهم نصرته، ولسنا نقول إن هذا خاص في بطن دون بطن، وليس لنا ولا لكم أن نحدث في دين الله بالرأي؛ لأن الدين قد أكمل وقد بلغه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يقصر في إبلاغه، فقد بين فرض الإمامة كيف هو في كل عصر وزمانٍ، ولن يخلو أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله[١٨١] في كل عصر وزمان أن يكون فيهم المأمون على كتاب الله وسنة نبيه، علمه من علمه وجهله من جهله؛ لأن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يسقط لقوله: "لن يتفرقا[2] حتى يردا عليَّ الحوض"، فهذا الإجماع من قول من مضى من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأتقياء الأبرار، الذين بهم يقتدى.

ويقال لهم أيضاً: أنتم أصل مقالتكم طرح الرأي في دين الله والقياس، إذ زعمتم أن من تقدم أمير المؤمنين -صلى الله عليه- إنما كان ذلك بالرأي، ولم تجيزوا ذلك، وزعمتم أن الذين اختاروا غيره أن ذلك رأي منهم، وأن الرأي لا يجوز عندكم، فيلزمكم أيضاً طرح الرأي في الإمامة، وفي غيرها بعد الحسن والحسين، واختياركم الإمام بالرأي، وإلا تركتم أصل ما ذهبتم إليه أولاً، إلا أن تزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إني تارك

[1] في (ب): عالم.
[2] في (ج): لن يفترقا.

فيكم فلاناً بعد فلان إلى يوم القيامة"، فهذا لا تأتون به أبداً، وقد حرم الله القول عليه بغير علم، فقال سبحانه: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [الأعراف:٣٣] فقد حرم الله القول عليه بغير علم، ومن ذلك قولكم إن الله فرض طاعة فلان بعد فلان باسمه ونسبه فأوجبتم على الخلق فرضاً لم يأمر الله به، ولم يسنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد لقيني رجل من متكلمي أصحاب الإمامة يناظرني في مقالته، فقلت له: أخبرني بما ثبتت الإمامة لعلي -صلى الله عليه-؟ فقال: بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من كنت مولاه فعلي مولاه" و"أنت مني بمنزلة هارون من موسى"، وأشباه ذلك، فقلت له: فهل تثبت للحسن بن علي -صلى الله عليهما- في أمر الإمامة ما تثبت لعلي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تدل عليه كما دل رسول الله على علي -صلى الله عليه-؟ فسكت، فما أجاب وانقطع.

وبيان ما يلزم القوم من ذلك أنهم زعموا أن الإمامة ثبتت بالوصية، أيكون أمرها واحداً في أولها وآخرها، فإذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في علي ودل عليه، فكذلك يلزم في قولهم أن يكون علي قال في الحسن ودل عليه، وكذلك يقول الحسن في الحسين -عليهما السلام- حتى يسوق ذلك خبراً مشهوراً متسقاً به النقل من غير تواطؤ من الأمة، كما نقلت الأمة أخبار علي بن أبي طالب -صلى الله عليه - مشهورة عن غير تواطؤ؛ لأن [الإمامة][1] أكبر الفرائض وأعظمها قدراً فلم يكن علي والحسن والحسين-صلى الله عليهم- ومن بعدهم من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليتركوا أن يبينوا عن فرض الإمامة، إذ كانت من أعظم الفرائض خطراً، وبها تقوم الفرائض حتى يأتي ذلك عنهم مشهوراً معلوماً، ينقله الشيعة بإجماع من غير تواطؤ.

والوجه في ذلك عندنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أوجب الإمامة على أمته بما دلهم عليه من التمسك بعترته على ما شرط من لزوم الكتاب والعمل به لم يحتج

---

[1] غير موجود في (ج).

أمير المؤمنين ولا الحسن ولا الحسين -صلى الله عليهم- ولا من بعدهم من أبرار آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يحددوا أشياءً غير ما دل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمر به، فهذا أصل القول في الإمامة، وما لا يختلف فيه أحد من أهل النقل، ولا يختلف فيه أحد من أصناف الشيعة في الاستعمال إذا أنصفوا.

وقال الحسن في وقت آخر: وسئل عن قولهم بإمامة رجل وسموه باسمه فقال: الحجة من الله على العباد آية محكمة منزلة بينة، أو بسنة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مشهورة متسق بها الخبر، عن غير تواطؤ، فما بينتهم وما حجتهم على ما ادعوا؟ وكل مدعٍ فعليه البرهان، والبينة من غير أهل الدعوى، ولا سبيل لهم على أن يأتوا على ما ادعوا ببرهان من كتاب ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [١٨٢].

القول في الرجعة

قال محمد في "كتاب أحمد"[1]: سألت أحمد بن عيسى عن الرجعة فقال: باطل، قد ذكرت لأبي جعفر -عليه السلام- فقال: "قد تزوج الحسين -عليه السلام- بعض نساء الحسن -صلى الله عليهما- فإذا رجعوا لمن تكون منهما للأول أم للآخر؟!"[2]

قال محمد: فقلت له تصلي خلف من يقول بهذا؟ فقال: لا.

قال محمد: وسألت القاسم بن إبراهيم عن الرجعة فلم يثبتها، ولم يذكر أنه أدرك أحداً من أهل بيته يثبتها.

وقال الحسن بن يحيى: أجمع آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن قول من قال بالرجعة باطل، وأنه يتقول ذلك على من مضى من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو كانت كذلك ما اقتسمت المواريث، ولا نكح النساء إذا مات عنهن أزواجهن.

---

[1] "أمالي أحمد بن عيسى" (٣٠٨/٤).

[2] في "مسند الإمام أحمد" (١٢٦٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ، حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِلحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: إِنَّ الشِّيعَةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا يَرْجِعُ. قَالَ: " كَذَبَ أُولَئِكَ الْكَذَّابُونَ، لَوْ عَلِمْنَا ذَاكَ مَا تَزَوَّجَ نِسَاؤُهُ، وَلا قَسَمْنَا مِيرَاثَهُ ". وهو حديث حسن لغيره، وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٢٢/١٠ وقال: رواه عبد الله وإسناده جيد. فهو من زوائد عبد الله على مسند والده، رحمه الله.

قال محمد في "كتاب أحمد": حدثني علي بن أحمد عن أبيه، عن حسين بن علوان، عن أبي خالد قال: كنا عند أبي جعفر –عليه السلام– فقال له سعد الأنصاري: يا ابن رسول الله إن قوماً يأتونا من قبل المشرق فيحدثونا بأحاديث، فإما قوم ضللنا وإما قوم كتمنا، والحجة على من كتمنا، فقال: كيف؟ قلت: يا سعد، فرد عليه المسألة، فقال: ما هي يا سعد؟ قال: هو أعظم من أن أواجهك به، فقال: عزمت عليك لما جئت به، فقال: يزعم قوم أنك تعرف شيعة آل محمد بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء عشائرهم، فيزعم قوم أنك تركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهباء، فتصلي بهم بالكوفة الجمعة ثم تروح إلينا بالمدينة، ويزعم قوم أنكم سترجعون أنتم وعدوكم إلى الدنيا فتقتصون منهم ما أتوه إليكم قبل الآخرة، قال: أما قولك أني أعرف شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم فليس لي باب سوى هذا الباب، وفيه يكون أهلي ووالله ما أدري من يدخل إليهم، ومن يخرج من عندهم، ولا ما يتحدثون به فكيف أعلم ما هو ناءٍ عني؟! وأما قولك إني أركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهباء فأصلي بالكوفة ثم أروح إلى المدينة، والله ما رأيت بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قط، ولا رأيت الكوفة في نوم ولا يقظة قط، وأما قولك: أنا نرجع نحن وعدونا إلى الدنيا فنقتص منهم ما أتوا إلينا قبل الآخرة فكفى بعقوبة الآخرة نكالاً، والله لو نعلم ذلك ما سكنا مساكنهم، ولا خلفنا على نسائهم، ولا اقتسمنا مواريثهم، ولا نكحنا نساءهم غرايب في غيرنا[1]، ووالله إن كانت وصية الحسن للحسين –صلى الله عليهما– أن قال له: تحتي ثلاث نسوة، فقد رضيت لك تبعلهن فاخلف عليهن، فخلف على امرأتين منهنَّ وأبت الثالثة، فقالت: علي ألا يجتمع رأسي بعد الحسن ورأس أحدٍ أبداً، ويحك يا سعد فإذا رجع الحسن والحسين– صلى الله عليهما– لأيهما يكونان إذاً؟! أرأيت أسماء بنت عميس كانت تحت جعفر، ثم خلف عليها أبو بكر بعد جعفر، ثم خلف عليها علي –صلى الله عليه– فإذا رجع القوم فلأي الثلاثة تكون إذاً؟![2]

---

[1] كذا.

[2] رواه محمد بن منصور المرادي في "أمالي أحمد بن عيسى" (٣٠٧/٤_ العلوم) وفي سنده الحسين بن علوان الكلبي الكوفي وهو كذاب، متهم بوضع الحديث!، كما في ترجمته من "لسان الميزان" (٨٩/٣) (٢٥٧٤)، وأبو خالد عمرو بن خالد الواسطي وهو مثله، كما في ترجمته من "ميزان الاعتدال" (٥٧/٣) (٦٣٥٩)، ومع هذا فمعنى الرواية صحيح، فلعلهما صدقا فيما رويا فيها.

القول في البداء

قال محمد في المسائل: وسئل عن البداء ومن يقول به؟

البداء عندنا صفة من صفات المخلوقين، والبداء أن يرى الإنسان شيئاً فيعمل به أو يحكم به ثم يبدو له إلى غيره فيدع الأول ويعمل أو يحكم بالآخر، وهذا عندنا في الإنسان لأنه لا يعلم ما يحدث قبل أن يحدث، ومن احتج في البداء بقوله عز وجل[١٨٣]: {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ}[الرعد:٣٩] فإن معناه يمحو المنسوخ ويثبت الناسخ مثل قوله تعالى: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}[الأنفال:٦٥] فجعل الواحد بعشرة ثم قال لا شريك له: {الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ}[الأنفال:٦٦] فأحب لا شريك له أن يعرفهم نعمته ورفقه بهم ليشكروه على ذلك، وقد علم سبحانه قبل أن يخلق السماوات والأرض أن ذلك كذلك يكون، ومثل قوله: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ}[البقرة:٢٤٠] ثم نسخ ذلك بقوله: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً}[البقرة:٢٣٤] وقد علم عز وجل قبل أن يخلق السماوات والأرض أن ذلك كذلك يكون، ولا يجوز لأحدٍ أن يقول بدا له من شيء إلى شيء، ومن علم أنه يعيش عشرين سنة فمحال أن يعيش أقل منها أو أكثر، ولا يكون إلا ما سبق في علمه، ولا ينتقل علمه من حال إلى حال.

وأما ما روي عن جعفر بن محمد –عليه السلام– "إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيجعلها الله ثلاثاً وثلاثين سنة، وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثين[١] سنة فيجعلها الله ثلاث سنين"[٢]، فلا يقال إن هذا من البداء، ولكن

[١] كذا في جميع النسخ. والصواب ثلاثون.

[٢] رواه أبو جعفر الطوسي في "الأمالي" (٢٧/٢) جماعة، عن أبي المفضل، عن إبراهيم بن عبد الصمد، عن أبيه عبد الصمد بن موسى، عن عمه عبد الوهاب بن محمد بن إبراهيم، عن أبيه محمد بن إبراهيم قال: بعث أبو جعفر المنصور إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام وأمر بفرش فطرحت له إلى جانبه، فأجلسه عليها، ثم قال: علي بمحمد علي بالمهدي، يقول ذلك مرارا فقيل له: الساعة الساعة يأتي يا أمير المؤمنين ما يحبسه إلا أنه يتبخر. فما لبث أن وافى وقد سبقته رائحته، فأقبل المنصور على جعفر عليه السلام فقال: يا أبا عبد الله حديث حدثته في صلة الرحم أذكره يسمعه المهدي قال: نعم حدثني أبي عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله :إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله عز وجل ثلاثين

هذا سبق في علم الله، أن الله حكم[1] لمن وصل رحمه بطول العمر لمن يشاء، وحكم لمن قطع رحمه بقصر العمر لمن يشاء، ومحال أن يكون إلا ما سبق في علم الله، وعلم الله لا ينتقل من حال إلى حال، قال الله عز وجل: {وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}[يس:١٢] وقال عز وجل: {وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ}[القمر:٥٣] وقال: {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ}[القمر:٥٢] فهذا مثبت قبل أن يفعلوه.

وقال محمد في وقت آخر من "المسائل": العمر لا يزيد ولا ينقص، ولكنه إذا وصل رحمه رزق في ثلاث سنين من العمل ما كان يعمل مثله في ثلاث وثلاثين سنة، وإذا قطع رحمه حرم من أعمال البر ما كان يعمل مثله في ثلاث وثلاثين سنة، وهذا معنى قوله: "البر زيادة في العمر"[2].

القول في الناسخ والمنسوخ

قال الحسن: أجمع آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأمة معهم على أن في القرآن ناسخاً ومنسوخاً، ومحكماً ومتشابهاً، وخاصاً وعاماً، وأجمعوا على أنه لا يسع أحداً أن يتكلم في القرآن إلا من يعلم ذلك، وأن أحداً لا يكون حجة[بالقرآن][3] بالرأي فيه والاستحسان.

سنة، ويقطعها وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيصيرها الله ثلاث سنين ثم تلا عليه السلام " يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب " الآية مرفوعا إلى النبي، صلى الله عليه وسلم.

وروي مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: "حديث: (إن المرء ليصل رحمه وما بقي من عمره إلا ثلاثة أيام، فينسئه إلى ثلاثين سنة، وإنه ليقطع الرحم وقد بقي من عمره ثلاثون سنة، فيغيره الله إلى ثلاثة أيام). ضعيف جدا.

رواه الديلمي (٢٩٦/٢/١) من طريق أبي الشيخ معلقا عن حسين بن جعفر: حدثنا عكرمة بن إبراهيم عن زائدة بن أبي الرقاد: حدثني موسى بن الصباح: عن عبد الله بن عمرو مرفوعا.

قلت: وهذا إسناد ضعيف جدا، موسى بن الصباح، لم أعرفه، ومثله عكرمة بن إبراهيم، ويحتمل أنه الأزدي، وإن يكنه فهو ضعيف.

وزائدة بن أبي الرقاد قال في " الميزان ":" ضعيف. وقال البخاري: منكر الحديث ". وتبعه العسقلاني. وحسين بن جعفر، الظاهر أنه الحسين بن علي بن جعفر الأحمر. قال أبو حاتم: " لا أعرفه ". " انتهى من "السلسلة الضعيفة" (٥ / ٣١٣). ولكن هذا المعنى ثبت عن جمع من السلف في تفسير آية: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) [الرعد: ٣٩].

[1] في (ج): أن حكم الله لمن وصل.

[2] روى الإمام أحمد في "المسند" (١٦٠٧٩) عَنْ بَعْضِ بَنِي رَافِعِ بْنِ مَكِيثٍ، عَنْ رَافِعِ بْنِ مَكِيثٍ - وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " حُسْنُ الْخُلُقِ نَمَاءٌ، وَسُوءُ الْخُلُقِ شُؤْمٌ، **وَالْبِرُّ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ**، وَالصَّدَقَةُ تَمْنَعُ مِيتَةَ السَّوْءِ ". وهو عند عبد الرزاق في "المصنف" (٢٠١١٨)، ومن طريقه أخرجه أبو داود (٥١٦٢). وأخرجه أبو داود (٥١٦٣) من طريق بقية- وهو ابن الوليد- عن عثمان بن زفر، عن محمد بن خالد بن رافع بن مكيث، عن عمه الحارث بن رافع بن مكيث، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال المنذري في "مختصر السنن" (٥٠٠٠): هذا مرسل، الحارث بن رافع تابعي، وفي إسناده بقية بن الوليد، وفيه مقال. ويشهد له ما ثبت عنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لاَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلاَّ الدُّعَاءُ، وَلاَ يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلاَّ الْبِرّ"، رواه الترمذي (٢١٣٩) وقال: حسن غريب.

[3] زيادة في (ج).

قال محمد: وسئل عمن يقول: القرآن كله ناسخ وليس فيه منسوخ فقال: القرآن عندنا ناسخ ومنسوخ، قال الله عز وجل: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}[البقرة:١٠٦] يقول لا شريك له: ننسخها فنبدل حكمها أو ننسها بتركها على حالها. وقال في المتوفى عنها زوجها: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ}[البقرة:٢٤٠] يعني فكانت المرأة إذا توفي زوجها لم تخرج من بيتها سنة ما لم تخرج، ثم نسخ الله ذلك فقال: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً}[البقرة:٢٣٤] فنسخت هذه الآية الأولى، وآية الصيام كان في بدو الإسلام من شاء صام شهر رمضان، ومن شاء أفطر وأطعم عن كل يومٍ مسكيناً، ثم نزلت عزيمة الصيام فقال عز وجل: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ [١٨٤] الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}[البقرة:١٨٥] فنسخت هذه الآية الصيام الأول مع آي كثيرة في القرآن، مثل هذا مبين منسوخ.

وسئل محمد عن قوله عز وجل: {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}[الرعد:٣٩]؟

فقال: يمحو المنسوخ ويثبت الناسخ، وعنده أم الكتاب يعني جماعة الكتاب.

القول في تغيير القرآن وزيادته ونقصانه

قال محمد في "المسائل": أخبرني قاسم بن إبراهيم قال: قرأت مصحف علي –عليه السلام– خطه بيده فهو هذا القرآن الذي في أيدي الناس ليس به زيادة حرف ولا نقصان حرف، إلا أن يكون حرفاً يُقرأ.

قال محمد: وأخبرني حمزة بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب[١] –صلى الله عليه – قال: قرأت مصحف علي خطه بيده فهو هذا القرآن الذي

[١] هو أبو يعلى حمزة بن أحمد بن عبد الله بن محمّد بن عمر بن علي ابن أبي طالب عليه السلام، النسّابة المعروف بالسماكي. وهو شريف علوي عمري، من أهل الكوفة، أمه أم ولد، كان نسابة مصنفا، وأخوه هو عبد الرحمن بن أحمد الذي ظهر باليمن سنة ٢٠٧هـ. ورد له سماع ورواية في "المعجم الأوسط " للطبراني، و"أمالي أحمد بن عيسى"، و"الجامع الكافي"، و"أمالي" أبي جعفر الطوسي، و"تهذيب الأحكام" له .
روى عن عمه عيسى بن عبد الله العمري، وإحدى عماته – أم عبد الله فيما يظهر.–
وروى عنه جعفر بن عبد الله العلوي، ومحمد بن عبد الله الحضرمي، ومحمد بن منصور بن يزيد المرادي الكوفي .
ذكره الطوسي في "الرجال" مجردا باسمه واسم أبيه فقط ضمن أصحاب موسى الكاظم .

في أيدي الناس ليس فيه زيادة ولا نقصان، وكان أوله: {اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق:١].

قال محمد في "المسائل": وليس في القرآن زيادة ولا نقصان، ولكن قد ذكر أنه كان فيه فضل تفسير، وذكر أن الأحزاب كانت تقاس بالبقرة[١]، وذلك فيما بلغنا كان تفسيراً. وتصديق ذلك أنه كان قرأ القرآن على عهد رسول الله جماعة من أصحابه، وبقوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أقرؤه جماعة من المسلمين، فلم يكن فيه زيادة على ما في أيدينا، فهذا يبطل دعوى من ادعى أنه قد كان في القرآن زيادة فذهبت، وكان علي –عليه السلام– يقرأ القرآن ويصلي به بالناس، ويقرئ أصحابه وثقاته، ولم يكن عنده زيادة ولا نقصان، وأما المعوذتان فهما عندنا من القرآن، ثبت عندنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ بهما في الفريضة[٢].

وأخطأ صاحب "الجداول الصغرى" بشأنه، فتوهم بأنه: حمزة بن أحمد بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد !!
لم أقف على تاريخ وفاته تحديدا، وقال في "الفخري": له أولاد وأعقاب أكثرهم بمصر. راجع: "عمدة الطالب" (ص ٣٥٦) و"المجدي في أنساب الطالبيين" (١٨٧/١) و"أعيان الشيعة" (٢٣٧/٦). وقد أفادني بهذه الترجمة الأخ الفاضل الشيخ محمد القيسي القحطاني حفظه الله.

[١] روى عبد الله بن الإمام أحمد في " زوائد المسند " (٢١٢٠٧)، وعبد الرزاق في " المصنف " (٥٩٩٠)، وابن حبان في "صحيحه" (٤٤٢٨)، والحاكم في "المستدرك" (٨٠٦٨)، والبيهقي في "السنن" (١٦٩١١)، وابن حزم في "المحلى" (١٧٥/١٢) من طريق عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ، عَنْ زِرٍّ، قَالَ: قَالَ لِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: " كَأَيِّنْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْأَحْزَابِ؟ أَوْ كَأَيِّنْ تَعُدُّهَا؟ " قَالَ: قُلْتُ لَهُ: ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ آيَةً ، فَقَالَ: قَطُّ ، لَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَتُعَادِلُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، وَلَقَدْ قَرَأْنَا فِيهَا : (الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). قال ابن حزم رحمه الله ": هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ كَالشَّمْسِ ، لَا مَغْمَزَ فِيهِ "، وقال ابن كثير رحمه الله ": وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ ، وَهُوَ يَقْتَضِي أنه قد كَانَ فِيهَا قُرْآنٌ ثُمَّ نُسِخَ لَفْظُهُ وَحُكْمُهُ أَيْضًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " انتهى من "تفسير ابن كثير. (6/335) ".
وله شاهد يرويه عبد الله بن أحمد في " زوائد المسند" (٢١٢٠٦) : حَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ ، أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الطَّحَّانُ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: " كَمْ تَقْرَؤونَ سُورَةَ الْأَحْزَابِ؟ ، قَالَ : بِضْعًا وَسَبْعِينَ آيَةً ، قَالَ: لَقَدْ قَرَأْتُهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ الْبَقَرَةِ ، أَوْ أَكْثَرَ مِنْهَا، وَإِنَّ فِيهَا آيَةَ الرَّجْمِ. "
ويزيد بن أبي زياد ضعيف ، لكن لا بأس به في الشواهد.

[٢] في صحيح البخاري برقم (٤٩٧٧): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ أَبِي لُبَابَةَ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ ح وَحَدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنْ زِرٍّ قَالَ: سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ قُلْتُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ! إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ أُبَيٌّ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ لِي: ((قِيلَ لِي فَقُلْتُ))، قَالَ: فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم.
قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٧٤٢): "هَكَذَا وَقَعَ هَذَا اللَّفْظ مُبْهَمًا، وَكَأَنَّ بَعْض الرُّوَاة أَبْهَمَهُ اِسْتِعْظَامًا لَهُ.. إلى أن قال: وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَحْمَد أَيْضاً وَابْن حِبَّان مِنْ رِوَايَة حَمَّاد بْن سَلَمَة عَنْ عَاصِم بِلَفْظِ: إِنَّ عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود كَانَ لَا يَكْتُب الْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفه، وَأَخْرَجَ أَحْمَد عَنْ أَبِي بَكْر بْنِ عَيَّاش عَنْ عَاصِم بِلَفْظِ: إِنَّ عَبْد اللَّه يَقُول فِي الْمُعَوِّذَتَيْنِ، وَهَذَا أَيْضاً فِيهِ إِبْهَام، وَقَدْ أَخْرَجَهُ عَبْد اللَّه بْن أَحْمَد فِي زِيَادَات الْمُسْنَد وَالطَّبَرَانِيُّ وَابْن مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيق الْأَعْمَش عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن يَزِيد النَّخَعِيّ قَالَ: كَانَ عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود يَحُكّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصَاحِفه، وَيَقُول: إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَاب اللَّه، قَالَ الْأَعْمَش: وَقَدْ حَدَّثَنَا عَاصِم عَنْ زِرّ عَنْ أُبَيّ بْن كَعْب فَذَكَرَ نَحْو حَدِيث قُتَيْبَة الَّذِي فِي الْبَاب الْمَاضِي، وَقَدْ أَخْرَجَهُ الْبَزَّار، وَفِي آخِره يَقُول: إِنَّمَا أُمِرَ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَتَعَوَّذ بِهِمَا."
وقال الحافظ ابن حجر: "قَالَ الْبَزَّار: وَلَمْ يُتَابِع اِبْن مَسْعُود عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَة. وَقَدْ صَحَّ عَنْ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَرَأَهُمَا فِي الصَّلَاة.. وَقَدْ تَأَوَّلَ الْقَاضِي أَبُو بَكْر الْبَاقِلَّانِيّ فِي كِتَاب "الِانْتِصَار" وَتَبِعَهُ عِيَاض وَغَيْره مَا حُكِيَ عَنْ اِبْن مَسْعُود فَقَالَ: لَمْ يُنْكِر اِبْن مَسْعُود كَوْنهمَا مِنْ الْقُرْآن، وَإِنَّمَا أَنْكَرَ إِثْبَاتهمَا فِي الْمُصْحَف، فَإِنَّهُ كَانَ يَرَى أَنْ لَا يَكْتُب فِي الْمُصْحَف شَيْئًا إِلَّا إِنْ كَانَ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أَذِنَ فِي كِتَابَته فِيهِ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَبْلُغهُ الْإِذْن فِي ذَلِكَ، قَالَ: فَهَذَا تَأْوِيل مِنْهُ وَلَيْسَ جَحْدًا لِكَوْنِهِمَا قُرْآنًا". فتح الباري لابن حجر(8/ 743)
وفعل ابن مسعود رضي الله عنه ظن الرافضة أنه من التحريف الذي عند الرافضة، وقولهم باطل من وجوه:
-الوجه الأول:
أن ابن مسعود رضي الله عنه لم يجحد أن تكونا مما أنزله الله، بل حسب أنهما دعاء أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

القول في المتعة

قال محمد: سألت **أحمد بن عيسى –عليه السلام–** عن المتعة فلم يرها[1].

وحدثني أحمد بن عيسى قال: حدثني حاضر بن إبراهيم عن حسين بن زيد قال: "يحل من النساء ثلاث: امرأة ترث، وامرأة لا ترث، وملك اليمين"[2]، فقلت لأحمد بن عيسى: الامرأة التي لا ترث هي اليهودية والنصرانية نكاحهما حلال ولا يرثان؟ قال: هو وجهه.

قال الحسني –رضي الله عنه–: الوجه في هذا الخبر أن التي لا ترث الزوجة الأمة؛ لأن نكاحها حلال بإجماع الأمة، وهي لا ترث.

قال محمد: وحدثني جعفر، عن القاسم بن إبراهيم: "لا يحل نكاح المتعة؛ لأن المتعة إنما كانت في سفرٍ كان فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم حرم الله عز وجل

-الوجه الثاني:
أن الصحابة رضي الله عنهم لم يقروا ابن مسعود رضي الله عنه على قوله هذا ومنهم أبي بن كعب رضي الله عنه.
عَنْ زِرٍّ قَالَ سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ قُلْتُ :يَا أَبَا الْمُنْذِرِ؛ إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ أُبَيٌّ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي: قِيلَ لِي فَقُلْتُ قَالَ: فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
رواه البخاري (٤٦٩٢)، (٤٦٩٣).
-الوجه الثالث:
أن طلبة ابن مسعود رضي الله عنه وبالأخص الأسود بن يزيد النخعي لم يوافقوا ابن مسعود على رأيه هذا.
عن إبراهيم النخعي قال :قلت للأسود: من القرآن هما؟ قال :نعم، يعني المعوذتين.
رواه ابن أبي شيبة (30197)بسند صحيح.
-الوجه الرابع:
ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهما من القرآن.
عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ :قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُنْزِلَ أَوْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ "الْمُعَوِّذَتَيْنِ."
رواه مسلم .(814)
-الوجه الخامس:
رجوع ابن مسعود رضي الله عنه إلى موافقة الجماعة في آخر الأمر، وإن كان احتفظ بالقراءة على حرفه.
عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود قال :إني قد سمعت القراءة، فوجدتهم متقاربين، فاقرأوا كما علمتم، وإياكم والاختلاف والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم :هلم، وتعال.
رواه سعيد بن منصور (34)وسنده صحيح.

[1] رواه في "أمالي أحمد بن عيسى" (١٤٤٢).

[2] ورواه محمد بن منصور في "أمالي أحمد بن عيسى" (١٤٣٣_رأب الصدع) ورواه قبله (١٤٣٢) مرفوعا إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، عن محمد بن علي بن جعفر عن حسين بن زيد أو غيره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكره. ورواه الطبراني في "المعجم الأوسط" (٨٠٩١) حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ، نا أَبُو مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ، سَمِعْتُ حُسَيْنَ بْنَ زَيْدٍ، يَقُولُ: نا ابْنُ جُرَيْجٍ بِمَكَّةَ فِي دَارِ الْعَجَلَةِ، وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَاضِرٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَحَلَّ اللَّهُ مِنَ النِّسَاءِ ثَلَاثًا: وَنِكَاحٌ بِمُوَارَثَةٍ، وَنِكَاحٌ بِغَيْرِ مُوَارَثَةٍ، وَمَلِكُ الْيَمِينِ» فَلَمْ يُنْكِرْهُ جَعْفَرٌ. ورواه الكليني في "الكافي" (٣٦٤/٥) عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن الحسين بن زيد قال: سمعت أبا عبد الله (جعفر بن محمد) يقول: يحل الفرج بثلاث: نكاح بميراث ونكاح بلا ميراث ونكاح بملك اليمين. فجعله من كلام الإمام جعفر بن محمد الصادق، رحمه الله.

ذلك على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم"[1]. وقد روي عن علي -صلى الله عليه - بما قد صح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عنها[2]. وأما من يحتج بهذه الآية ممن يستحل الفاحشة من الفرقة المارقة في قول الله سبحانه: {فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} [النساء:٢٤] والاستمتاع هو الدخول بهن على وجه النكاح الصحيح. وإيتاؤهن أجورهن هو إعطاؤهن مهورهن إلا ما وهبن طيب أنفسهن، والتراضي فهو التعاطي. ولا يجوز النكاح إلا بولي[3] وشاهدين[4]؛ لأن في ذلك ترك ما بين الله فيه، وبخروج النساء من أيدي الأولياء، وإبطال ما جعل الله للأولياء فيهن، وما حكم به الأولياء عليهن، ألا تسمع كيف يقول لا شريك له: {وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ}[النور:٣٢] وقال: {وَلاَ تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ}[البقرة:٢٢١] وقال: {فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ}[البقرة:٢٣٢] فلو كان الأمر في ذلك إليهن بطل الأمر في هذه كله من أيدي الرجال، ولخرج من أيدي الأولياء أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم[١٨٥] وحرماتهم، ولقد كان هذا ومثله في الجاهلية الجهلاء، وإنه ليستعظم وتراق فيه بين الناس كثير من الدماء، ويكون فيه فساد عظيم بين الأولياء من الرجال والنساء، فكيف في الإسلام الذي جعله الله يصلح ولا يفسد ويؤكد الحقوق بين أهلها ويشددها؟

ولقد أدركنا مشايخنا من أهل البيت وما يرى هذا منهم أحد حتى كان بأخرة إحداث سفهاء رووا الزور والكذب، وقد حدثني[5] إسماعيل بن أبي أويس، عن حسين بن عبد الله بن ضميرة، عن أبيه، عن جده، عن علي، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "لا

[1] رواه في "أمالي أحمد بن عيسى" (١٤٤٣).
[2] عن علي رضي الله عنه: " أن رسول الله صلى الله وسلم نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر." وفي رواية: " نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن لحوم الحمر الإنسية ".
رواه البخاري (٣٩٧٩) ومسلم (١٤٠٧).
[3] في (ج): إلا بمولى.
[4] قال صلى الله عليه وسلم: (لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ) رواه أبو داود (2085) والترمذي (١١٠١) وابن ماجه (١٨٨١) من حديث أبي موسى الأشعري، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.
وقوله صلى الله عليه وسلم: (لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ) رواه البيهقي من حديث عمران وعائشة، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم(7557) .
[5] الكلام إلى هنا كله للقاسم بن إبراهيم الرسي، رحمه الله، وهذا السند رواه محمد بن منصور تبعا لما سبق وهو برقم (١٤٤٤) من "أمالي أحمد بن عيسى".

نكاح إلا بولي وشاهدين"[١]. وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "نهى عن نكاح السر"[٢]، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "أشيدوا النكاح"[٣].

قال محمد: يعني أظهروه.

وقال الحسن بن يحيى: أجمع آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كراهية المتعة والنهي عنها، وقالوا: إنما كانت أطلقت في سفرٍ ثم نهى رسول الله عنها وحرمها، وقالوا: نسختها العدة والمواريث، وأجمعوا على أنه لا نكاح إلا بولي وشاهدين وصداق، بلا شرط في النكاح.

---

[١] أخرجه الخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد" (3/ 369)وابن عساكر في "تاريخ دمشق (14/ 33)من طريق يحيى الهادي بن الحسين حدثني أبي الحسين عن أبيه القاسم عن أبي بكر بن أبي أويس عن حسين بن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا نكاح إلا بولي وشاهدين ."واسناده ضعيف جدا، علته الحسين بن عبد الله بن ضميرة فإنه متروك الحديث لا يساوي شيئاً .

وله متابعات: فقد أخرجه ابن عدي في الكامل (1/ 194)من طريق احمد بن عبد الله عن أبي حنيفة عن خصيف عن جابر بن عقيل عن علي بن أبي طالب مرفوعا"لا نكاح الا بولي وشاهدين فمن نكح بغير ولي وشاهدين فنكاحه باطل فنكاحه باطل والسلطان ولي من لا ولي له."

واسناده ضعيف جدا لحال أحمد بن عبد الله فانه غير معروف .وهذا مما استنكره عليه ابن عدي فإنه قال بعدما أورد له عدة أحاديث هذا منها :وهذه الأحاديث لأبي حنيفة لم يحدث بها الا أحمد بن عبد الله هذا وهي بواطيل عن أبي حنيفة ولا يعرف احمد بن عبد الله هذا الا بهذه الأحاديث."

وأخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف"(١٣٠/٤) من طريق أبي خالد الأحمر والبيهقي في "الكبرى "٧/ ١١١ و"معرفة السنن" (٢٧٠/١١) من طريق أبي خالد الأحمر وعبيد بن زياد الفراء عن حجاج، كلاهما عن حصين، عن الشعبى، عن الحارث عن على رضى الله عنه موقوفا عليه بلفظ " لا نكاح الا بولي ولا نكاح الا بشهود ."

وإسناده ضعيف؛ لأن فيه الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني الخارفي أبا زهير الكوفي .ضعفه العلماء حتى قال ابن عدي :عامة ما يرويه غير محفوظ.

وفيه أيضا حصين بن عبد الرحمن الحارثى، وهو مجهول، وأحاديثه مناكير كما قاله ابن ابي حاتم في "الجرح والتعديل" (١٩٤/٣).

قلت: الحديث ثابت بمجموع أسانيده، وقد تقدمت روايات صحيحة له.

[٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم نَهَى عَنْ نِكَاحِ السِّرِّ»، أَخْرَجَهُ الطبراني في "المعجم الأوسط"، (٦٨٧٤)، ضعفه ابن حزم في المحلى (٩/ ٤٩)، وقال الهيثمي: فيه محمد بن عبد الصمد بن أبي الجراح، ولم يتكلم فيه أحد، وبقية رجاله ثقات. [يُنظَر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٤/ ٢٨٥)]. ويؤيده ما جاء عن أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَعْلِنُوا هَذَا النِّكَاحَ، وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالدُّفُوفِ»، أَخْرَجَهُ الترمذي (١٠٨٩)، وابن ماجه (١٨٩٥)، وأحمد في "مسنده" (١٦١٣٠)، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب في هذا الباب، وعيسى بن ميمون الأنصاري يضعف في الحديث.

قال ابن الملقن في خلاصة البدر المنير ٤٤٢/٢ (٢٩١٤): إسناده ضعيف. ويقويه ما رواه عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَعْلِنُوا النِّكَاحَ "، رواه أحمد (١٦١٣٠)، وله شاهد من حديث محمد بن حاطب، عند أحمد برقم (١٥٤٥١) بإسناد حسن، ولفظه: "فصلُ ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح" فالحديث حسن لغيره.

[٣] رواه بهذا اللفظ الطبراني في "المعجم الكبير" (٦٥٢٦) عَنِ السَّائِبِ بن يَزِيدَ، قَالَ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَوَارِيَ يَتَغَنَّيْنَ، يَقُلْنَ: تُحَيُّونَا نُحَيِّيكُمْ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ دَعَاهُنَّ، فَقَالَ:" لا تَقُولُوا هَكَذَا، وَلَكِنْ قُولُوا: حَيَّانَا وَإِيَّاكُمْ"، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُرَخِّصُ لِلنَّاسِ فِي هَذَا؟ قَالَ:" نَعَمْ، إِنَّهُ نِكَاحٌ لا سِفَاحٌ، **أَشِيدُوا بِالنِّكَاحِ**". قال الهيثمي في المجمع ٢٩٠/٤: فيه يزيد بن عبد الملك النوفلي، وهو ضعيف، ووثقه ابن معين في رواية. وحسَّنه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٣٧/٤) (١٤٦٣) لشواهده.

ويشهد له ما رواه الطبراني في "الكبير" (٥٢٩) كذلك عن عبد الله بن هبار عن أبيه عن جده قال: زوج هبار ابنته فضرب في عرسها بالكير والغربال فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا؟ قالوا: زف هبار ابنته فضرب في عرسها بالكير والغربال.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشيدوا النكاح أشيدوا النكاح هذا نكاح لا سفاح" .

قال الألباني:" وهذا إسناد ضعيف مجهول، عبد الله بن هبار، وابنه يحيى لم أجد من ترجمهما ". ويغني عن هذا كله ما سبق وأحاديث وآثار كثيرة غيرها.

وروى محمد في "كتاب المتعة" بأسانيده عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي – صلى الله عليه– قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن نكاح المتعة يوم خيبر[1]. وعن الحسن وعبد الله ابني محمد بن علي، عن أبيهما، عن علي أنه قال لابن عباس وهو يفتي في المتعة: أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر[2].

وعن ابن عباس أنه رجع عن متعة النساء، وقال: "هي حرام مثل الميتة والدم، ولحم الخنزير"[3].

وعن الربيع بن سبرة الجهني، عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما قضينا عمرتنا قال: "استمتعوا من هذه النساء"، والاستمتاع يومئذٍ عندنا التزويج، قال فعرضنا ذلك على النساء فأبين إلا أن نضرب بيننا وبينهنَّ أجلاً، فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: "اجعلوا"، فخرجت أنا وابن عم لي معي برد ومعه برد أجود من بردي وأنا أشب سناً فأتينا امرأة فعرضنا ذلك عليها فأعجبها برد ابن عمي فقالت: "برد كبرد"، فتزوجتها، وكان الأجل بيني وبينها عشراً فبت عندها تلك الليلة، ثم أصبحت غادياً إلى المسجد وإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الحجر والباب قائماً يخطب، وهو يقول: "يأيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من هذه النساء، ألا وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده من ذلك شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما أتيتموهن شيئاً"[4].

---

[1] رواه في "أمالي أحمد بن عيسى" (١٤١٩) وهو في "مجموع الإمام زيد" (٤٣٢).

[2] رواه البخاري (٤٨٢٥) ومسلم (١٤٠٧). ورواها محمد بن منصور في "الأمالي" (١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤).

[3] رواه محمد بن منصور في "الأمالي" (١٤٣٥)، ولفظ الحديث: عن سعيد بن جبير قال: "قلت لابن عباس: هل تدري ما صنعت وبما أفتيت؟ سارت بفتياك الركبان، وقالت فيه الشعراء. قال: وما قالوا؟ قلت: قالوا:

قد قلت للشيخ لما طال مجلسه ... يا صاح هل لك في فتيا ابن عباس

هل لك في رخصة الأطراف آنسة ... تكون مثواك حتى مصدر الناس

فقال ابن عباس:" إنا لله وإنا إليه راجعون، لا والله ما بهذا أفتيت، ولا هذا أردت، ولا أحللت منها إلا ما أحل الله من الميتة والدم ولحم الخنزير". أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (١٠/٢٥٩)، رقم (١٠٦٢٣) والبيهقي في "السنن الكبرى" (١٤١٦٦).

[4] وأخرجه مسلم (١٤٠٦) (١٩). ورواه ابن منصور في "الأمالي" (١٤٣١).

وعن الربيع بن سبرة عن أبيه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن متعة النساء عام خيبر[١].

وعن الحسن البصري قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمتعة بعد الحديبية بعام فأمر بها ثلاثة أيام، ثم حرمها فلم تحل لأحدٍ قبل ولا بعد[٢].

وعن ابن عمر قال: نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن المتعة يوم خيبر وقال: "هي حرام، وما كنا مسافحين"[٣].

وعن كعب بن مالك قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن نكاح المتعة في غزوة خيبر[٤].

وعن زيد بن علي –عليه السلام– قال: المتعة مثل الميتة، والدم، ولحم الخنزير[٥]. وعن عبد الله بن الحسن[٦]، ومحمد بن عبد الله[٧]، وعن جعفر بن محمد –عليهم السلام– أنهم نهوا عن المتعة[٨].

وعن عمر قال: "نسخت آيةَ المتعةِ العدةُ والمواريث"، وعن ابن المسيب نحو ذلك[٩].

---

[١] أخرجه مسلم (١٤٠٦).

[٢] رواه ابن منصور في "الأمالي" (١٤٢٩)، ورواه عبد الرزاق في "مصنفه" (١٤٠٤٠) عَنْ مَعْمَرٍ، وَالْحَسَنِ، قَالَا: «مَا حَلَّتِ الْمُتْعَةُ قَطُّ إِلَّا ثَلَاثًا فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ، مَا حَلَّتْ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا».

[٣] رواه ابن منصور في "الأمالي" (١٤٢٨)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (١٤١٤٨).

[٤] رواه ابن منصور في "الأمالي" (١٤٢٧).

[٥] رواه ابن منصور في "الأمالي" (١٤٣٨).

[٦] رواه ابن منصور في "الأمالي" (١٤٣٩).

[٧] رواه ابن منصور في "الأمالي" (١٤٤١).

[٨] رواه ابن منصور في "الأمالي" (١٤٤٠) والبيهقي في "السنن الكبرى" (١٤١٨٢) عَنْ بَسَّامٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَنِ الْمُتْعَةِ، فَوَصَفْتُهَا فَقَالَ لِي: " ذَلِكَ الزِّنَا ".

[٩] لم أجده عن عمر، رضي الله عنه، ولكن وجدت فيما روى ابن أبي شيبة (٣|٥٥١): حدثنا عَبدة عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيّب أنه قال: "رحِمَ الله عمر، لولا أنه نهى عن المتعة صار الزنا جِهاراً".
وقال: حدثنا ابن إدريس عن داود (بن أبي هند، ثقة متقن) عن سعيدِ بن المُسيِّب قال: «نَسَخَت المُتعةَ آية الميراثُ» (إذ المتعة لا ميراث فيها بالإجماع). وأخرجه عبد الرزاق (١٤٠٤٥): عن الثوري عن داود، بمثله. وأخرجه النحاس في "الناسخ والمنسوخ" (١|٣٢٦). وآية الميراث هي: {وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ...} (النساء: من الآية١٢).

وعن ابن عباس وعائشة قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا نكاح إلا بولي"[١].

وعن علي[٢] وأبي جعفر[٣]، وزيد بن علي[٤] -عليهم السلام- مثل ذلك.

وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل"[٥].

---

[١] "أمالي أحمد بن عيسى" (١٤٤٦). وحديث أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها: لفظه: "أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له."
أخرجه أبو داود (٢٠٨٣) والترمذي (١١٠٢) وابن ماجه (١٨٧٩) من طريق ابن جريج عن سليمان بن موسى عن الزهري عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فذكره.
قال الترمذي: حديث عندي حسن.
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه أيضا ابن حبان (٤٠٧٤). وابن جريج فإنه وإن كان مدلسا إلا أنه صرح بالتحديث في رواية أحمد وابن الجارود والدارقطني وكذا البيهقي.
أما حديث ابن عباس، رضي الله عنهما: فأخرجه ماجه (١٨٨٠) من طريق حجاج عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا: "لا نكاح إلا بولي."
قال البوصيري في "الزوائد" (٨٢/٢): هذا إسناد ضعيف، حجاج هو ابن أرطأة مدلس، وقد رواه بالعنعنة، وأيضا لم يسمع حجاج من عكرمة. قاله الإمام أحمد. انتهى.
وللحديث طريق أخرى، فقد أخرجه الدارقطني(٣٤٨١) والبيهقي من طريق عدي بن الفضل عن عبيد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا بلفظ: "لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل، وأيما امرأة أنكحها ولي مسخوط عليه فنكاحها باطل".
قال الدارقطني:
رفعه عدي بن الفضل ولم يرفعه غيره.
وقال البيهقي:
كذا رواه عدي بن الفضل، وهو ضعيف، والصحيح موقوف.
قلت: لكن تابعه على الرفع سفيان، كذا أخرجه الطبراني في الكبير(١٢٤٨٣/٦٤/١٢) من طريق سفيان عن عبد الله بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.
وله طريق أخرى، فقد أخرجه الطبراني في "الكبير" (١١٣٤٣/١٥٥/١١) من طريق الربيع بن بدر ثنا النهاس بن قهم عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس مرفوعا بلفظ: "لا يكون نكاح إلا بولي وشاهدين ومهر ما كان قل أو كثر".
وأخرجه الطبراني في "الأوسط " (٤٥١٧/٢٦٤/٥) من طريق الربيع، لكن بلفظ: "البغايا اللاتي يزوجن أنفسهن، لا يجوز نكاح إلا بولي وشاهدين ومهر ما قل أو كثر".
قال الطبراني: "لم يرو هذا الحديث عن النهاس إلا الربيع بن بدر." والربيع بن بدر متروك كما قال الهيثمي في "المجمع" (٢٨٦/٤).
وأخرجه أيضا الطبراني في "الكبير" (١١٢٩/١٤٢/١١) من طريق معمر بن سليمان الدقي عن حجاج عن عطاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا نكاح إلا بولي والسلطان ولي من لا ولي له".

[٢] "أمالي أحمد" (١٤٤٥، ١٤٤٤)، وله روايات أخرى في الكتاب. ومن طريقه أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٧/٨) قال: حدثنا أبي أحمد الناصر وإسماعيل بن إبراهيم الفقيه قالا حدثنا يحيى الهادي بن الحسين حدثني أبي الحسن حدثني أبي الحسين عن أبيه القاسم عن أبي بكر بن أبي أويس عن حسين بن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا نكاح إلا بولي وشاهدين"، وهذا إسناد باطل، ففي سنده حسين بن عبد الله قال أبو حاتم في الجرح (٥٧/٣-٥٨ رقم٢٥٩):"متروك الحديث كذاب". وللحديث طرق أخرى عن علي، كرم الله وجهه، مرفوعة وموقوفة، منها ما أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٢٢٤/٢) عن الشعبي عن الحارث عن على قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا نكاح إلا بولي ولا نكاح إلا بشهود". والموقوف أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١١١/٧) عن الشعبي عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال: "لا نكاح إلا بولي ولا نكاح إلا بشهود". وهذا الإسناد مرفوعاً أو موقوفا ضعيف من أجل: الحارث الأعور، والحجاج بن أرطاة. ورواه رواه البيهقي في "السنن الكبرى" (١١١/٧) عن معاوية بن سويد يعني ابن مقرن عن أبيه عن علي رضي الله تعالى عنه قال: "أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل لا نكاح إلا بإذن ولي"، قال البيهقي: "هذا إسناد صحيح وقد روي عن علي رضي الله تعالى عنه بأسانيد أخر وإن كان الاعتماد على هذا دونها".

[٣] "أمالي أحمد" (١٤٤٨).

[٤] "أمالي أحمد" (١٤٦٦).

[٥] أخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (١٩٦/٦رقم١٠٤٧٣)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١٤٢/١٨رقم٢٩٩)، والبيهقي في "السنن الكبرى"(١٢٥/٧) جميعهم من طريق عبد الله بن محرر الجزري عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين قال: قال رسول

وعن أبي جعفر عن النبي صلى الله عليه وآله مثل ذلك[١].

وعن زيد بن علي، عن آبائه –عليهم السلام–، عن علي –صلى الله عليه– قال: "لا نكاح إلا بولي وشاهدين، ليس بالدرهم ولا الدرهمين، ولا اليوم ولا اليومين، شبه السفاح ولا شرط في النكاح"[٢].

وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تنكح المرأة إلا بولي أو بإذن ولي، فإن نكحت فهو باطل فإن نكحت فهو باطل فإن نكحت فهو [١٨٦] باطل"[٣].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تزوج المرأة المرأة ولا المرأة نفسها لا تفعل ذلك إلا زانية"[٤].

قال محمد: فهذه الآثار التي رويناها في كتابنا هذا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن أصحابه والعلماء من أهله والتابعين بعده، تدل على تحريم المتعة، ويوضح نسخها عند من وطن العلم، أو نصح نفسه، وهي آثار معروفة مشهورة عند أهل العلم والرواية، لآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخباره، مع ما يدل على فسادها وتبين إبطالها من كتاب الله عز وجل وأحكامه، وبالله التوفيق، قال الله عز وجل: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

الله صلى الله عليه وسلم: "لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل"، قال الهيثمي في المجمع (٢٨٧/٤): "وفيه عبد الله بن محرر وهو متروك الحديث".

[١] "أمالي أحمد بن عيسى" (١٤٦٧).

[٢] "مجموع الإمام زيد" (٤٣١) و"أمالي أحمد بن عيسى" (١٤٥٤) من طريقه.

[٣] أخرجه الترمذي (١١٠٢) واللفظ له، والنسائي في "السنن الكبرى"(5394) ، وابن ماجه (١٨٧٩)، وأحمد .(24205) حسَّنه الترمذي، وصحَّحه يحيى بن معين كما في "السنن الكبرى" للبيهقي (١٠٥/٧)، والذهبي في "تنقيح التحقيق" (١٦٨/٢)، وابن الملقن في "البدر المنير" (٥٥٣/٧)، وابن حجر في "فتح الباري" (٩٧/٩)، والألباني في "صحيح سنن ابن ماجه"(1879) ، وذكر ثبوته ابن العربي في "القبس".(2/685)

[٤] أخرجه ابن ماجه (1882) والدارقطنى (384)والبيهقي (١١٠/٧) من طريق جميل بن الحسن العتكى: حدثنا محمد بن مروان العقيلي حدثنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة به. وهو سند حسن بشواهده.

قال الإمام محمد بن جعفر الكتاني في "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" (ص١٤٧-١٤٨) :""لا نكاح إلا بولي" أورده في الأزهار من حديث أبي موسى، وابن عباس، وجابر، وأبي هريرة، وأبي أمامة، وعائشة، وعمران بن حصين سبعة أنفس، قلت : ذكره ابن حجر في "أماليه" من حديث أبي موسى ثم قال: قال الترمذي وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة وابن عباس وعمران ابن حصين، وأنس، وكذا قال الحاكم وزاد عن علي، ومعاذ، وابن مسعود، وأبي ذر، والمقداد، والمسور، وجابر، وابن عمر، وابن عمرو، وأم سلمة، وزينب بنت جحش وأطنب الحاكم في تخريجه ووقفت من المذكورين في كلامه على حديث علي وابن مسعود وجابر وابن عمر وأما بقية من ذكرهم فلم أقف عليهم إلى الآن اهـ، ملخصا في الأمالي المذكورة وفي تخريج أحاديث الرافعي له، قال الحاكم: وقد صحت الرواية فيه عن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش قال: وفي الباب عن علي وابن عباس ثم سرد تمام ثلاثين صحابيا وقد جمع طرقه الدمياطي من المتأخرين اهـ، وفي الجمع ممن خرجه سمرة بن جندب وممن صرح بأنه متواتر الشيخ عبد الرؤوف المناوي في شرح الجامع".

حَافِظُونَ، إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}[المؤمنون:٥-٧] فأحل الله سبحانه الفروج من هاتين الجهتين لا من غيرهما، وهما التزويج على شرط الله تعالى في كتابه وأوجب فيه من أحكامه، وملك اليمين، وأمر بحفظ الفروج عما سواهما، وقال لا شريك له: {فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}[المؤمنون:٧] يعني يعدون الحلال إلى الحرام.

فيقال لمن أجاز المتعة على ما ذكروا من شروطها: هل يحل فرج إلا بتزويج أو ملك يمين؟ فإن قال أحد: لا يحل فرج إلا من إحدى هاتين الجهتين التزويج وملك اليمين، قيل له: فما تقول في المتعة: أي الجهتين هي؟ فإن قال: التزويج، قيل له: فقد أوجبت لها وعليها ما حكم الله في كتابه بين الرجل وامرأته إذ يقول الله سبحانه: {وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ}[النساء:١٢] وقال: {وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ}[النساء:١٢] فيجب على من أجاب بهذا الجواب عند ابتداء مسألتنا إياه وقال في المتعة تزويج، أن يقول في رجل تزوج امرأته متعة، ثم توفي أحدهما في وقتها أن الباقي منهما وارث من صاحبه سهمه الذي فرض الله للزوج من الزوجة، وللزوجة من الزوج في كتابه إذا كانا حرين مسلمين، ليس بينهما علة مانعة لهما أو لأحدهما من أحكام [الحر][1] المسلم مع صاحبه، ويقال له أيضاً: ما تقول في رجل تزوج امرأة متعة ثم آلى منها هل يكون مولياً وهل يكون له ما فسح الله من الوقت، فإن قال نعم هو مولٍ، قيل له: فإن امرأة المولي موقوفة بين حكمين الفيء أو الطلاق، وبذلك حكم الله تبارك وتعالى إذ يقول: {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[البقرة:٢٢٦،٢٢٧] فهل تقول بذلك؟ فإن فاء إليها فهي زوجته، وإن عزم الطلاق لزم طلاقه، فإن قال: نعم بذلك أقول، فقد خرج عن المتعة وصفاتها، وصار إلى شروط النكاح وأحكامه.

[1] زيادة في (ج).

وإن قال: لا يكون مولياً، قيل له: فهل يخل من أحد معنيين لا يحل الفرج إلا منهما أو من أحدهما تزويج أو ملك يمين؟ فإن كانت زوجة فقد لزمها الإيلاء وأحكامه، يقول الله سبحانه: {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ} [البقرة:٢٢٦] وقد أوجبت أنها من نساء الحالف فإيلاؤه لازم لها واجب عليها، وإن لم تكن زوجة فينبغي ألا تحل لمتزوجها بمتعة لأنها ليست له بملك يمين، وقد أمر الله تعالى بحفظ الفروج عن غير هاتين الجهتين فقال: {الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المؤمنون:٦،٥].

ويقال له: ما تقول في رجل تزوج امرأة متعة ثم ظاهر منها هل يكون مظاهراً وهل يلزمه حكم الظهار؟ فإن قال: هو مظاهر فقد أثبت لها[١] شروط الزوجة من الميراث والطلاق والعدة وغير ذلك مما يثبت به الظهار، وإن قال: لا يلزمها ظهاره فقد نفى أن تكون [١٨٧] زوجة لقوله عز وجل: {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ} [المجادلة:٢] ويقال لهم: قال الله تبارك وتعالى: {الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المؤمنون:٦،٥] أرأيتم رجلاً تزوج امرأة متعة هل حفظ فرجه إلا على زوجة أو ملك يمين كما أمره الله عز وجل؟ أو هل تعدى ذلك إلى غيره؟ فإن قالوا: لم يعد زوجه إلى غيرها وقد حفظ فرجه كما أمره الله تعالى، قيل لهم: فقد نفيتم عنها ما تقولون به في المتعة وأحكامها من بينونتها في الوقت عند وفاء الأيام بلا طلاق، ومن أن لا ميراث لواحدٍ منهما من صاحبه عند وفاته، وأثبتم لها أحكام الزوجة من الميراث والطلاق، والظهار والإيلاء، واللعان والخلع، وغير ذلك، فإن الله يقول: {وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ} [النساء:١٢]ويقول: {وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ} [النساء:١٢] ويقول لا شريك له: {يأيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ إلى قوله: لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً} [الطلاق:١] يعني: الرجعة، وقال: {وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً

[١] في (ج): له.

لِتَعْتَدُوا}[البقرة:٢٣١] كان الرجل يطلق المرأة فإذا دخلت في الحيضة الثالثة راجعها ثم يطلقها ليحبسها عن الأزواج، والمتزوجة متعة ليست في شيء من هذه الأحكام.

وقال: {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ} الآية[المجادلة:٢] وقال: {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ إلى قوله: وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[البقرة:٢٢٦،٢٢٧] وقال: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ}[النور:٦] إلى آخر الآيات لتمام اللعان، أفرأيتم رجلاً تزوج امرأة متعة ثم قذفها في وقت قبل انقضاء شرطه هل يكون قاذفاً لزوجته فيلاعنها لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ}[النور:٦]؟ أو هل يكون قاذفاً لغير زوجه فيضرب حد القاذف؟ فإن الله يقول: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور:٤].

أرأيتم إن تزوجها متعة إلى أجل معروف فجاءت بولد قبل انقضاء الأجل فنفاه هل يلاعن؟ فإن قالوا: نعم يلاعن، فقد أثبتوا أنها زوجة وأقروا بأحكامها، وإن قالوا: لا لعان بينهما، فقد نفوا أن تكون زوجته لقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ} إلى آخر الآيات.

وقال الله سبحانه: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا} [النساء:٣٥] وذلك فيما حكم الله به بين الرجل وزوجته في الخلع، أرأيتم رجلاً تزوج امرأة متعة ثم نشزت عليه في الوقت هل توجبون بينهما ما أوجب الله من أخذ الفداء وفرقة الحكم أو الصلح على ما أمر الله به؟ فإن أوجبتم ذلك لهما فقد قضيتم لهما بأحكام الزوجة، وأبطلتم شروط المتعة.

فإن قالوا: هي زوجة على الصفة والشرط الذي شرطوا من أن لا ميراث بينهما، وأنها تبين عند انقضاء الوقت من عدد الأيام [١٨٨] بلا طلاق، قيل لهم: قد أقررتم أنها زوجة، وادعيتم لها شروطاً وأحكاماً خلاف شروط القرآن وأحكامه للزوجة، وليست لكم بذلك حجة، فشروط القرآن وأحكامه للزوجة أولى أن يدان بها، ويحكم من شروطكم وأحكامكم.

فإن قالوا: قد اجتمعنا نحن وأنتم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحل المتعة وأمر بها، ثم ادعيتم أنتم بعد ذلك أنه، صلى الله عليه وآله وسلم، حرمها فما اجتمعنا عليه من تحليلها أولى أن ندين به مما اختلفنا وتفردتم به من تحريمها، قيل لهم: إنا لا نجتمع معكم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحل المتعة من الجهة التي تدينون بها في التحليل، وذلك أنكم تزعمون أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحل المتعة في أمته إحلالاً عاماً مطلقاً، ونحن نقول: إنما أحلها صلى الله عليه وآله وسلم لنفرٍ من أصحابه أياماً معلومة، فقد اختلفنا نحن وأنتم في جهة تحليلها، ولم نجتمع منه على صفة أمرٍ واحدٍ، فإنما تجب هذه الحجة التي ذكرتم من الإجماع عليكم؛ لأنكم قد اجتمعتم معنا أن النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، أحلها لنفرٍ من أصحابه في الثلاثة الأيام التي روينا، ثم ادعيتم أنها حل إلى وقتنا هذا، فتفردتم بالزيادة بالدعوى على ما أقررتم به مما اجتمعنا نحن وأنتم عليه، فأجمعنا على أنها حل في تلك الأيام أولى أن ندين به مما اختلفنا فيه بعد ذلك.

ويقال لهم: أخبرونا عما اختلف فيه من الأحكام، هل يرد الاختلاف فيه إلا إلى جهات أصوله من تحليل أو تحريم، فإن قالوا كذلك نقول، قيل لهم: أرأيتم لو لم يأتِ خبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإحلال المتعة فتزوج رجل امرأة متعة ألم يكن نكاحه باطلاً؟ لأن الله سبحانه أمر بحفظ الفرج إلا عن زوجة أو ملك يمين، ثم قال: {فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} [المؤمنون:٧] يعني تعدوا الحلال إلى الحرام، فلما كانت المتعة في قولنا وقولكم لو لم يأتِ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حراماً، ثم اختلفنا نحن وأنتم في تحليلها لم يثبت من المتعة إلا ما اجتمعنا عليه، وعدنا إلى الأصل في حكمها.

ويقال لمن أجاز نكاح المتعة: أرأيت رجلاً تزوج امرأة متعة وتحته أربع نسوة أيحل له أن يطأها؟ فإن قال نعم، قيل له: قد أوجبت على نفسك تحريم المتعة بقولك له أن يطأها؛ لأنها إن كانت زوجة فقد حرم الله نكاحها بعد الأربع، وإن لم تكن له زوجة فقد حرم الله عليه أن ينكح غير زوجه إلا ما ملكت يمينه، وهذه ليست بملك يمين فتحل له، وقد حرم

الله تعالى عليه أن يتعدى الزوجة أو ملك اليمين إلى غيرهما فقال: {فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} [المؤمنون:٧].

ويقال له: ما تقول في رجل تزوج أخت امرأته متعة أتحل له؟ فإن قال: لا تحل له، فقد أقر بأنها زوجة وأبطل المتعة وأوجب لها أحكام الزوجة، وإن قال تحل له فقد أقر في تحليله بتحريمها؛ لأن الله تعالى لم يحل إلا زوجة أو ملك يمين، وليست بملك يمين، وقد حرم الله تزويج الأخت على أختها فكيف يجوز[١] لرجل أن يطأ امرأته وأختها تحته، أرأيت رجلاً تزوج أم امرأته متعة أو بنت امرأته وقد دخل بها، أو امرأة ابنه أو امرأة أبيه ثم يحتج عليه بما وصفنا في هذا الباب، ويقال له أيضاً بأي الجوابين أجاب من تحليلها أو تحريمها أنت في تحليلك إياها له محل له ما حرم الله عليه؛ لأن الله قد حرم هذا[١٨٩] في النكاح، فإن قال: ليس المتعة بنكاح فيجب فيها أحكامه قيل له: فقد أحللت له أيضاً بجوابك هذا ما حرم الله عليه؛ لأن الله لم يحل له إلا فرج زوجة أو ملك يمين، وقد أقررت أن المتعة ليس بنكاح فقد حرمتها في قولك، وإن أجاب بتحريمها عليه قيل له: هل حرمتها لأنها زوجة أو غير زوجة؟ فإن قال: لأنها زوجة فقد ترك قوله في المتعة ونفى ما يقولون فيها فأوجب لها أحكام النكاح وشروطه من الميراث والطلاق واللعان والظهار وغير ذلك، وإن قال حرمتها عليه لأنها ليست بزوجة، قيل له: فأنت في تحليل المتعة محل ما[٢] حرم الله؛ لأن الله لم يحل إلا الزوجة وملك يمين.

ويقال له: أرأيت رجلاً تزوج امرأة متعة أياماً معلومة بدراهم معلومة فمات الزوج في تلك الأيام قبل انقضاء الأجل ولم يدخل بها، أيكون لها المهر الذي سماه لها أو لا مهر لها عليه؟ فإن قال: لها المهر، قيل له: قد أقررت أنها زوجة بإيجابك لها المهر فلها الميراث منه وعليها العدة، وإنما مهر المرأة[٣] من زوجها أجرها منه، وهو صداقها. وإن قال: لا مهر لها عليه قيل له لِمَ؛ لأنها ليست بزوجة؟ فإن أجاب إلى ذلك فقد أقر بتحريمها؛ لأن الله تعالى لم يحل إلا زوجة أو ملك يمين.

---

[١] في (ج): يحل.
[٢] في(ج): لما.
[٣] في (ج): الزوجة.

ويقال له: لِمَ أبطلت مهرها عند إصداق هو وجب بتزويج أو أجرٍ وجب بإجارة، فإن قال: صداق وجب بتزويج فقد أقر به لها عليه، وأوجب لها جميع أحكام الزوجية من الميراث والعدة وغير ذلك، وإن قال: أجر وجب بالإجارة وليس بصداق تزويج، قيل له: فقد أوجبت على نفسك تحريم المتعة إذا أقررت أنه غير تزويج والله عز وجل لم يحل إلا زوجة أو ملك يمين، والأمة مجمعة أن الفروج لا يحل إجارتها إلا من جهة النكاح والتزويج، وكيف يحل فرج بغير نكاح ولا ملك يمين؟ أرأيت رجلاً استأجر امرأة على أن ينظر إلى فرجها من غير جماع أياماً مسماة أيحل ذلك له؟! فإن كان هذا لا يحل فهل يحل إذا شرط معه الجماع أشد من هذا وأحرم؟ أرأيت إن شرط مع النظر المباشرة هل يحل له ذلك؟ فإن كان هذا لا يحل فالجماع أشد وأحرم.

ويقال له: هل يحل لرجل أن يتمتع من أمة بغير أمر سيدها؟ فإن قال: لا يحل له فقد جعله نكاحاً وأوجب له أحكامه، وإن أحله له فكيف يحل لرجل أن يطأ جارية لا يملك رقبتها وليست له بزوجة، وفرجها له حلال؟ وإن قال: لا يحل له أن يتمتع منها إلا بإذن سيدها، أفرأيت إن أذن له السيد هل يحل لسيدها أن يجامعها، وهذا الرجل يتمتع منها؟

فإن قال: لا يحل، فقد جعله نكاحاً وأوقع عليه أحكام الزوجة من الطلاق والظهار وغيرهما، وإن قال: هي حل لسيدها وهذا يتمتع منها، فكيف يحل فرج لرجلين أحدهما يملك الرقبة والآخر ليس بزوج ولا مالك؟ ما أعظم هذا وأشده! وهل يحل للعبد أن يتمتع من مولاته أو من غيرها بغير أمرها؟ وهل يحل لرجل أن يتمتع من امرأة قد طلقها ثلاثاً؟ أرأيتم رجلاً طلق امرأته ثلاثاً للسُنة وانقضت عدتها منه فتزوجها رجل متعة أياماً معلومة [١٩٠] ودخل بها ثم بانت منه في قولهم عند انقضاء الوقت بلا طلاق فهل أحلها هذا النكاح لزوجها الأول؟ فإن قالوا: قد أحلها له، قيل لهم: فقد أقررتم أنها زوجة من قبل أنها لا تحل للأول حتى تنكح زوجاً بعده[1]، لقول الله تعالى، والزوجة لا تبين من زوجها إلا بطلاق، أو بحكم من أحكام الله التي سمى في القرآن، وإن قلتم إن هذا النكاح لا يحل لزوجها الأول أقررتم بأنها ليست بزوجة وأن نكاحها حرام إذ خلت من أن تكون زوجة أو ملك يمين.

---

[1] في (ج): غيره.

ويقال لهم: أخبرونا عن وجه المتعة عندكم كيف هو؟ إذا أراد الرجل أن يقاطع المرأة يقول لها: أتزوجك أو استأجرك؟ فإن قالوا: يقول: أتزوجك. فهذا نكاح صحيح، وأحكام الزوجين بينهما واجبة من الميراث وغيره، وإن قالوا: يقول: استأجرتك أجامعك فهل تستأجر الفروج؟ إن كان هذا جائزاً فجائز أن يستأجر الاثنتان والثلاث والأربع في عقدة واحدة يأتيهن كلهن، فأي شيء أعظم من هذه المتعة على هذا حرام لا تحل ولا تصلح.

ويقال لهم أيضاً هل يحل للرجل أن يتمتع من امرأة قد وطأ أمها أو بنتها بنكاح أو متعة أو ملك يمين؟ وهل على المتمتع أن يشهد في المتعة أو لا شهود عليه؟ فإن أوجبوا عليه الشهود فقد أقروا بأنها نكاح، وإن لم يوجبوا عليه الشهود في المتعة فقد أقروا بأنها ليست بنكاح، وما لم يكن نكاحاً فهو زنى، والزنى حرام.

ويقال لهم: أرأيتم رجلاً تزوج امرأة متعة ما عليها من العدة إذا مضى الأجل، ووقعت الفرقة بينهما إن كانت ممن تحيض أو ممن لا تحيض، وهل بين عدة الأمة والحرة في ذلك فرق، فإن قالوا عليها من العدة إذا انقضى أجل المتعة حيضة، قيل فإن الله تبارك وتعالى يقول في الأزواج: {يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ}[البقرة:٢٢٨] وهي ثلاث حيض مع ثلاثة أطهارٍ إن كانت ممن تحيض، أو ثلاثة أشهرٍ إن كانت آيسة أو صغيرة لم تبلغ، بذلك نطق الكتاب عن الله عز وجل، فإن تكن المتزوجة متعة زوجة فأحكامها أحكام الزوجة في العدة وغيرها، وإن لم تكن زوجة فنكاحها حرام.

ويقال لهم: أرأيتم رجلاً تزوج امرأة متعة أياماً معلومة هل يجوز أن يعطيها جعلاً على أن تزيد في الأجل بعد ذلك، فهل يتم ذلك إن فعل؟ وما حال الولد بينهما أيثبت نسبه أم لا؟ وكيف الحكم عندكم فيه إن نفاه الزوج في الأجل أو بعد مضيه أيلاعن المرأة في نفيه[١] للولد أو لا يلاعنها؟ وإلى أي وقت يثبت الولد منه؟ وهل يحل للرجل أن يتمتع بالجارية الصغيرة التي لم تبلغ مبلغاً يجامع مثلها بغير إذن وليها؟ وقد ذكر في تأويل الآية {قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ} [الأحزاب:٥٠] قال: الولي.

---

[١]في (ج): بنفيه.

وقال أبو جعفر محمد بن علي -عليه السلام-: "الولي في كتاب الله قوله: {وَلاَ تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ} [البقرة:٢٢١]".[1] وقوله يخاطب الأولياء: {فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ} [البقرة:٢٣٢] وقوله: {وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ} [النور:٣٢].

ويقال لهم: أرأيتم رجلاً تزوج امرأتين متعة في عقدة واحدة بدراهم مسماة لهما جميعاً كيف تقسم الدراهم بينهما لكل واحدة منهما بحساب مهر مثلها إذا جمع مهراهما، أو لكل واحدة بحساب أجر مثلها إذا اجتمع أجراها؟ فإن قالوا لكل واحدة منهما بحساب مهر مثلها فقد أقروا لها بحكم الزوجة [١٩١] وما يجب لها، وإن قالوا لكل واحدة منهما بحساب أجر مثلها فقد أقروا أنه إنما استأجر كل واحدة منهما، وإجارة الفروج حرام غير جائز عند جميع الأمة، فأي الأمرين أجابوا فقد تركوا قولهم.

القول في إيقاع الطلاق ثلاثاً في كلمة وإيقاع الطلاق في المحيض

قد تقدم[2] في **كتاب الطلاق قول أحمد بن عيسى، وعبد الله بن موسى، والحسن بن يحيى -عليهم السلام- ومحمد** في إيقاع الطلاق ثلاثاً في كلمة، وفي إيقاع الطلاق في المحيض[3]، وقول الحسن -عليه السلام- أجمع آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن من طلق امرأته ثلاثاً في كلمة فقد حرمت عليه، فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، سواء كان دخل بها أو لم يدخل بها، وقوله وأجمعوا على أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يطلق إلا للسنة، وأنه إن طلق لغير السنة أثم ولزمه الطلاق.

[1] رواه ابن جرير الطبري في "جامع البيان" (٤٢٢٧) حدثنا محمد بن يزيد أبو هشام الرفاعي قال، أخبرنا حفص بن غياث، عن شيخ لم يسمه، قال أبو جعفر: النكاح بوليّ في كتاب الله، ثم قرأ:" ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا" برفع التاء. وروى أبو محمد بن أبي حاتم الرازي في "تفسيره" (٢١٠٥) حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَرْزَمِيُّ، ثنا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ عَنْ بَعْضِ الْكُوفِيِّينِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ عَرَفَهَا مَنْ عَرَفَهَا، وَجَهِلَهَا مَنْ جَهِلَهَا قَوْلُهُ: (وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: يَعْنِي أَنَّهُ أَصْلٌ بِأَنَّ النِّكَاحَ لا يَجُوزُ إِلا بِوَلِيٍّ، لِمَخَاطَبَتِهِ الأولى: وَلا تُنْكِحُوا لَا تُزَوِّجُوا).
[2] "الجامع الكافي" (٢٣٢/٤) المسألة (١٤٣٢).
[3] "الجامع الكافي" (٢٣٨/٤) المسألة (١٤٣٣).

وقول الحسن ومحمد[١]: روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن علي، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وزيد بن علي، ومحمد بن عمر بن علي، وجعفر بن محمد، وعبد الله بن الحسن، ومحمد بن عبد الله -عليهم السلام- وخيار آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيمن طلق امرأته ثلاثاً في كلمة أنه قد أخطأ السنة وعصى ربه، وطلقت منه امرأته فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره.

وروى محمد بإسناده[٢] عن ابن عباس، وابن مسعود، وأنس، وإبراهيم، والشعبي نحو ذلك. وعن علي بن موس الرضى، ومحمد بن علي بن جعفر، ويحيى بن الحسين بن زيد -عليهم السلام- نحو ذلك.

وروى بإسناده عن عبادة بن الصامت أن رجلاً طلق امرأته ألفاً فسأل بنوه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: "إن أباكم لم يتق الله فيجعل له من أمره مخرجاً، بانت منه بثلاثٍ على غير السنة، وتسعمائة وسبع وتسعون إثم في عنقه"[٣].

وعن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي -عليهم السلام- قال: جاء رجلان إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالا: إن أبانا طلق امرأته مائة تطليقة، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إن أباكما عصى ربه فلم يجعل الله له مخرجاً، بانت منه بثلاث وسبع وتسعون معصية"[٤].

وعن زاذان، عن علي -صلى الله عليه - قال: سمع النبي صلوات الله عليه وآله رجلاً طلق امرأته البتة فغضب وقال: "أتتخذون آيات الله هزواً ولعباً، من طلق البتة ألزمناه ثلاثاً لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره"[٥].

---

[١] "الجامع الكافي" (٢٣٧/٤).

[٢] راجع ألفاظ الروايات في "أمالي أحمد بن عيسى" (باب الرجل يطلق امرأته في كلمة) ["رأب الصدع" (١٠٤١/٢)].

[٣] رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (٩٦٣٤)، قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (7783): وفيه عبيد الله بن الوليد الوصافي العجلي، وهو ضعيف. وروى الإمام مالك في "الموطأ" (١٥٨١) [رواية يحيى بتحقيق بشار] أنه بلغه "أن رجلا قال لعبد الله بن عباس: إني طلقت امرأتي مائة تطليقة، فماذا ترى علي؟ فقال له ابن عباس: طُلِّقَتْ منك لثلاث، وسبع وتسعون اتخذت بها آيات الله هزؤا". وروى ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٣/٤) عن معاوية بن أبي يحيي قال: جاء رجل إلي عثمان فقال: إني طلقت امرأتي مائة قال: ثلاث تحرمها علي؟ وسبعة وتسعون عدوان.

[٤] رواه محمد بن منصور في "أمالي أحمد بن عيسى" (١٩٢٤) وهو في "مجموع الإمام زيد" (٤٦٩) بلفظ قريب منه.

[٥] رواه الدارقطني في "السنن" (3945) [ط الرسالة] وقال: إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ هَذَا كُوفِيٌّ ضَعِيفُ الْحَدِيثِ. وقال الحافظ في "الدراية" (١٠٢/٢): إسناده ضعيف جداً.

وعن فاطمة بنت قيس قالت: "طلقني زوجي ثلاثاً فلم يجعل لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سكنى ولا نفقة"[1].

وعن ابن عمر أنه طلق امرأة وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: "مره فليراجعها حتى تطهر، وتحتسب بالتطليقة، ولا تحتسب بالحيضة، فإن شاء أمسكها وإن شاء طلقها"[2].

وقال محمد في كتاب "إيقاع الطلاق في المحيض وإيقاع الطلاق ثلاثاً في كلمة":
اختلف أهل القبلة فيمن طلق امرأته ثلاثاً في كلمة، فقال أصحاب الإمامة ومن قال بقولهم: لا تقع الثلاث بطلاقه، والنكاح بينهما ثابت على ما كان عليه قبل الطلاق، واحتجوا في ذلك بما تأولوا من كتاب الله في مذهبهم، ونحن واصفون لحجتهم، مثبتون لما يلزمهم إن شاء الله.

وقال فريق من المعتزلة: إذا طلقها ثلاثاً في كلمة لزمها تطليقة واحدة ولم يقع بها الثلاث.

وقال الباقون منهم القول [١٩٢] الأول، ولم يوقعوا طلاقاً، وقال الأكثر من أهل العلم والروايات، وأهل النظر إذا طلق امرأته ثلاثاً في كلمة فقد خالف السنة وعصى ربه وبانت منه[3] امرأته، واحتجوا في ذلك بالكتاب المنزل والسنة العادلة، والرواية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعن أهل بيته والعلماء من أصحابه والتابعين بعدهم، ونحن موضحون لذلك مبينون له، وبالله التوفيق.

---

[1] رواه مسلم (١٤٨٠).

[2] عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم [تطليقة واحدة]، فسأل عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، (فتغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مُرْهُ فليراجعها، ثم ليُمسِكْها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعدُ، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدةُ التي أمر الله أن تطلَّق لها النساءُ"؛ متفق عليه[البخاري (٥٠٢٢) ومسلم في الموضع السابق ٢/ ١٠٩٣، والزيادة الثانية: (فتغيَّظ) من رواية لمسلم في الموضع السابق ٢/ ١٠٩٥]، وفي رواية لمسلم: قال ابن عمر: وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم: {يا أيها النبيُّ إذا طلَّقْتم النساءَ، فطلِّقوهن في قُبُلِ عدَّتِهنَّ}[رواه مسلم ٢/ ١٠٩٨ (١٤٧١)] ، وفي لفظ لمسلم: "مُرْه فليراجعها، ثم ليطلقها طاهرًا أو حاملًا"[رواه مسلم ٢/ ١٠٩٥ (١٤٧١)].

[3] في (ب): عنه.

قال محمد: يقال لهم أخبرونا عن قول الله تبارك وتعالى: {يأيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} [الطلاق:١] أليس في أمر الله بالطلاق للعدة عند إرادة الطلاق نهي عن الطلاق لغير العدة، هل طلقت؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: فما تقولون فيمن طلق امرأته لغير العدة كما طلقها؟ فإن قالوا: نعم، تركوا قولهم وصاروا إلى ما قلنا، وإن قالوا: لم تطلق منه لغير العدة، قيل لهم: فإذا لم يقع بينهما طلاق لغير العدة فهي بمنزلة من لم يطلق لا فرق بينهما في المعنى، وينبغي أن يكون غير آثم في مذهبكم هذا؛ لأنه لم يقع بينه وبين امرأته طلاق لغير العدة، والأمة مجمعة أنه آثم عاصٍ مخالف للسنة.

فإن قالوا: هو مطلق بلفظه بالطلاق على غير ما أمر الله به لقول الله تعالى: {وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} [النساء:٢٢]فقد سماه الله نكاحاً، وإن لم ينعقد به بين الرجل وامرأة أبيه نكاح، فكذلك الطلاق عندنا يجب به الاسم وإن لم يقع به بين الرجل وامرأته طلاق، قيل لهم: النكاح والطلاق مفترقان، والفرق بينهما أن الاسم يقع على معنيين على العقدة التي قد يجب بها الملك ولا يجب، وعلى الجماع، وكلاهما غير الملك، وإذا تزوج الرجل امرأة أبيه فقد وجب اسم النكاح بوجوب العقدة التي بينهما، وإن لم يجب بها الملك؛ لأن اسم النكاح لها لا للملك، ولو كان اسم النكاح إنما يجب للملك لا للعقدة لوجب لكل ملك تحل به المجامعة أن يسمى نكاحاً، وقد يملك الرجل الأمة بالميراث والهبة وغيرهما ملكاً يحل به الجماع ولا يسمى نكاحاً؛ لأن اسم النكاح إنما يجب للعقدة، والعقدة هاهنا غير موجودة.

وأما الطلاق فهو اسم للحكم الذي يجب بين الرجل وامرأته بلفظه الذي لفظ به، وليس هو اسم للفظ الرجل، ألا ترون أن الطلاق يقع بين الرجل وامرأته بالمعنى الذي وصفت لكم وإن لم يفصح باسم الطلاق، وذلك أن رجلاً لو قال لامرأته وهي في موضع السنة اعتدي ينوي به الطلاق كان طلاقاً بإجماع الأمة، ووجب اسم الطلاق، فهذا دليل بين أن اسم النكاح إنما يجب للعقدة لا للملك، واسم الطلاق إنما يجب للحكم الذي يوجهه اللفظ لا للفظ، ألا ترون أن الرجل يتزوج المرأة التي لا يحل له نكاحها فيقال: قد تزوج فلان فلانة، وإن فرق

الحاكم بينهما وأبطل نكاحهما، وإن[1] طلق امرأة أجنبية ليست له في ملك لم يقل طلق فلان فلانة ولم يقع اسم الطلاق بينهما.

وفرق آخر في النكاح والطلاق وهو أن عقدة النكاح الحرام لو وجب بها الملك بين الرجل والمرأة لكانت العقدة حلالاً، والمفروض أنها حرام، وإنما افترق النكاح الحلال والنكاح الحرام؛ لأن الملك يجب بالنكاح الحلال ولا يجب بالنكاح الحرم.

وأما الطلاق لغير العدة فلا يجب وقوعه بين الرجل [١٩٣] وامرأته أن يكون للعدة من قبل أن الطلاق للعدة وغير العدة إنما افترقا بغيرهما، وهو الوقت الذي يكون فيه الطلاق، والحكم الذي يجب وقوع الثلاث في كلمة واحدة، فإذا طلق لغير العدة فقد وقع الطلاق المنهي عنه، ولم يجب بوقوعه وجود ما أباح الله من طلاق العدة، وكذلك النكاح الحرام، فقد وقع النكاح المنهي عنه، ولم يجب بوقوعه وجود ما أباح الله من الملك.

ويقال لهم: أخبرونا عن اسم الطلاق لا يخلو من أن يكون إنما وجب لأحد معنيين، إما للفظ الذي لفظ به الرجل من الطلاق وإما للحكم الذي وجب باللفظ بين الرجل وامرأته، فإن قالوا: لا يخلو من ذلك، قيل لهم: فأي المعنيين تقولون؟ فإن قالوا هو اسم للحكم الذي وجب باللفظ لم يجدوا بداً من أن يقولوا في من طلق لغير العدة: قد وقع الطلاق بينه وبين امرأته؛ لأنه مطلق بوجود الطلاق وهو آثم عاصٍ، أو يقولوا: لا يقع الطلاق بينهما ولا يجب الحكم فينفوا عنه الإثم؛ لأنه لم يطلق لما لم يقع المعنى الذي يلزمه اسم الطلاق، فإن قالوا: اسم الطلاق إنما يجب للفظ الذي تلفظ به الرجل لا للحكم الواجب، قيل لهم: فإذا لفظ الرجل بالطلاق فقد طلقت امرأته ووقع الطلاق بينهما بوجود اللفظ الذي يلزمه الاسم؛ لأنه محال أن يكون المعنى الذي يلزمه اسم الطلاق موجوداً، ولا يكون الطلاق واقعاً بينهما ولا حكمه لازماً لهما.

ويقال لهم: أخبرونا عن رجل قال لامرأته: أنت طالق ثلاثاً في كلمة هل وقع بينه وبينها مخالفة لأمر الله في الأحكام الذي[2] بينهما؟ وهما في جميع أحكامهما على الحال

---

[1] في (ج): ولو.
[2] في (ج): التي.

الذي كانا عليها قبل هذا القول؟ فإن قالوا قد وقع بينهما مخالفة لأمر الله في الأحكام التي بينهما، تركوا قولهم وصاروا إلى ما قلنا من زوال الملك، وانتقال الحكم ووقوع الطلاق، وإن قالوا هما على ما كانا عليه قبل هذا القول وجميع أحكامهما، قيل لهم: فإذا كان الحكم في الحالين بينهما واحد فبم أثم وعصى ربه؟ فإن قالوا: باللفظ الذي لفظ به، قيل لهم: وكيف يأثم بلفظ لم يقع به معنى مخالفة لأمر الله تعالى في حكمه؟ إنما هذا في معناكم بمنزلة من طلق أجنبية لا ملك له عليها، فهل تقولون في هذا إنه آثم عاصٍ؟ فإن قالوا: لا نقول ذلك لأنه لم يقع بينه وبينها مخالفة لأمر الله في المعنى، قيل لهم: فما الفرق بين هذا وبين الذي طلق امرأته ثلاثاً في كلمة، وكلاهما لم يجب بقوله مخالفة لأمر الله في المعنى؟ ما ينبغي أن يكون بينهما في مذهبكم فرق.

ويقال لهم: أرأيتم قول الله تعالى: {يأيها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ} [الجمعة:١٠] ما تقولون فيمن باع في ذلك الوقت هل يجوز بيعه وهو آثم أو لا يجوز بيعه؟ فإن قالوا بيعه جائز وقد أثم، قيل لهم: فكذلك الطلاق لغير العدة واقع وقد أثم. فإن قالوا: لا يجوز بيعه في ذلك الوقت، تركوا قول أهل العلم المعروف بينهم، وإن قيل[1] لهم: أرأيتم رجلاً اشترى جارية في تلك الساعة فأعتقها أو دبرها أو كاتبها هل يجوز شيء من [١٩٤] ذلك؟ أرأيتم إن اشترى أباه أو ابنه أو ذا رحم محرم منه هل يعتق أو يكون رقيقاً على حاله؟ أرأيتم إن اشترى جارية تبوأها بيتاً ووطئها هل يقوم عليه الحد ويبطل ذلك كله؟ وهذا القول خلاف قول أهل القبلة بأجمعهم، ألا ترون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن صوم يوم الفطر، ويوم النحر، وأيام التشريق[2]، فمن صامهن كان صائماً وقد أساء وخالف السنة، وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه صوم، كما نهى عن الطلاق لغير العدة لأنه طلاق، ولو لم يكن طلاقاً لازماً لم ينه عنه.

---

[1] في (ج): وقيل لهم.

[2] لما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ صِيَامِ يَوْمَيْنِ يَوْمِ الأَضْحَى، وَيَوْمِ الْفِطْرِ. رواه مسلم (٢٧٢٨)، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ صِيَامِ يَوْمَيْنِ، يَوْمِ الْفِطْرِ، وَيَوْمِ النَّحْرِ"، رواه البخاري (١١٩٧) ومسلم (١١٣٨). وَعَنْ أَبِى عُبَيْدٍ مَوْلَى ابْنِ أَزْهَرَ أَنَّهُ قَالَ شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَجَاءَ فَصَلَّى ثُمَّ انْصَرَفَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: «إِنَّ هَذَيْنِ يَوْمَانِ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صِيَامِهِمَا يَوْمُ فِطْرِكُمْ مِنْ صِيَامِكُمْ وَالآخَرُ يَوْمٌ تَأْكُلُونَ فِيهِ مِنْ نُسُكِكُمْ»، رواه البخاري (١٨٥٤)، ومسلم (٢٧٢٧).

ويقال لهم أرأيتم قول الله عز وجل: {إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا} [البقرة:٢٨٢] ما تقولون في رجل باع بيعاً مؤجلاً ليس بحاضر وترك أن يكتبه هل يجوز بيعه أو لا يجوز؟ فإن قالوا لا يجوز بيعه خرجوا من قول الأمة ولم يكن لقولهم معنى، وإن قالوا بيعهم جائز، قيل لهم: فبم أجزتموه وقد ترك الكتاب الذي أمره الله به؟ وإنما أخبر الله سبحانه أنه لا جناح عليهم في ترك الكتاب إذا كانت التجارة حاضرة بينهم، ويقال لهم: فكذلك فقولوا في الطلاق لغير العدة وهو واقع لازم، وإن كان المطلق مخالفاً لأمر الله في الوقت، إذ جمع الثلاث في كلمة وهذا واجب عليهم فيما وصفنا، ويقال لهم ألا ترون إلى قول الله وأشهدوا إذا تبايعتم فمن باع ولم يشهد أما يجوز بيعه جائز في قول الأمة جميعاً وقد أساء في ترك الإشهاد، فكذلك الطلاق لغير العدة هو واقع لازم وقد أساء المطلق في ترك السنة، وما بين الله سبحانه له من ذلك.

ويقال لهم قول الله: {وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً} [الطلاق:١] أخبرونا إذا كان الطلاق على غير ما أمر الله به غير مانع من جماع أو رجعة فما معنى قوله عندما أمر به {لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً} [الطلاق:١] وهو أن يتبعها نفسه أو تحدث له فيها رغبة فيمكنه الرجعة؟ فإذا كان الطلاق الذي نهى الله عنه غير مانع من أحكام الطلاق الذي أمر به في الرجعة أو ثبات النكاح فلا معنى لقوله في آخر الآية: {لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً} [الطلاق:١] ويقال لهم: المطلق لغير العدة في قولكم أحسن حالاً في الأحكام التي بينه وبين امرأته من الذي يطلق للعدة، فإن قالوا وكيف ذلك؟ قيل لهم من قبل أنكم تقولون إذا طلقها للعدة كما أمر الله فحاضت ثلاث حيض منذ طلقها إن كانت ممن تحيض أو مكثت ثلاثة أشهر إن كانت صغيرة أو آيسة فقد بانت منه وحلت للأزواج، وإن طلقها لغير العدة لم يقع الطلاق في قولكم ولم يبنها منه ما أتى عليها من شهور أو حيضٍ، فأوجدونا على مذهبكم معنى قوله: {لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً} [الطلاق:١] عندما أمر به ونهى عنه؟

ويقال لهم: أرأيتم رجلاً قال لامرأته: أنت طالق ثلاثاً في كلمة، أليس إنما أبطل الطلاق عندكم لخلافه أمر الله في ذلك؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: فقد قال الله عزو وجل:

{وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ} [الممتحنة:١٠] وقال: {وَلاَ تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا} [البقرة:٢٢١] فما [١٩٥] تقولون في رجل ارتد عن الإسلام وامرأته مسلمة أينتقض النكاح بينهما أم هما على نكاحهما؟ فإن قالوا النكاح ينتقض رجعوا عن قولهم؛ لأنه قد نهى عن الكفر، وبالكفر المنهي عنه انقطعت العصمة، وزال الملك وبطلت العقدة، وإن قالوا لم ينتقض النكاح زعموا أن مسلمة في عصمة مرتد وهذا خلاف أهل الصلاة، قال الله تعالى: {لاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ} [الممتحنة:١٠] وقال: {فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنفَقُوا} [الممتحنة:١١] بدلاً من البضع لعلة الموادعة التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ويقال لهم: أخبرونا عن قول الله سبحانه: {وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً} [البقرة:٢٣١] أليس إنما نزلت هذه الآية في الرجل يطلق امرأته تطليقة ثم يدعها، حتى إذا طعنت في الحيضة الثالثة راجعها فإذا طهرت طلقها ليحبسها بذلك عن الأزواج، فإن قالوا: نعم، قيل لهم: أو ليس قد جعل الله الضرار رجعة وقد نهى وذم من فعلها؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: فكذلك الطلاق لغير العدة تقع به بين الرجل وامرأته الفرقة، ويجب حكمه، وإن كان الله قد نهى عنه وذم عليه من فعله.

فإن قال قائل منهم إنما معنى قوله: {فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ}[البقرة:٢٣١] في الرجل تكون عنده المرأة ليس له فيها رغبة ولا به إليها حاجة، فنهاه الله أن يمسكها على هذه الحال؛ لأنه يضر به في إمساكه إياها على ما وصفنا، قيل له هذه الآية على خلاف ما وصفت، وذلك أن الله سبحانه يقول: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا}[البقرة:٢٣١] فذكر الإمساك والتسريح حد الطلاق، والإمساك بعد الطلاق إنما هو الرجعة لا غير.

ويقال لهم قال الله عز وجل في الظهار: {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا}[المجادلة:٢] فأخبر الله أن القول المنكر والزور يجب به التحريم، وتنقطع به العصمة، ويقال لهم أخبرونا

عن الرجل إذا قذف امرأته لا يخلو من أن يكون صادقاً أو كاذباً فلو بان لنا صدقه رجمنا امرأته، ولو بان لنا كذبه جلدناه فلما غاب عنا المعنى حكم الله فيه باللعان وأوجب الفرقة، وإن كان صادقاً فبجحدها الحق وشهادتها بالباطل وجبت الفرقة، وفي هذا دليل أن الفعل الحرام المنهي عنه حكم الله فيه نصاً أن الفرقة تجب به، والدليل في هذا المعنى أكثر من أن يحصى.

ويقال لهم: ما تقولون في رجل طلق امرأته وهي حائض هل يقع الطلاق بها؟ فإن قالوا: لا، كيف يقع الطلاق عليها وهي حائض، وهو عاص؟ قيل لهم: أرأيتم رجلاً قذف امرأته فلاعن القاضي بينهما وهي حائض أيفرق بينهما وهي على هذا الحال، ويفسخ نكاحهما أو يدعها معه إلا أن تطهر، وهل يستقيم له ذلك؟ أرأيتم رجلاً لم يصل إلى امرأته فأجله القاضي فانقضى الحول وهي حائض فاختارت [١٩٦] الفرقة؟ هل يمضي لها القاضي ما اختارت من الفرقة وينفسخ النكاح؟ فإن قالوا: نعم تركوا قولهم، وإن قالوا: لا يمضي ذلك، قيل لهم: فلا معنى للأجل الذي أجلها؛ لأن مضيه لم يوجب لها في هذه الحال غير ما كان لها.

ويقال لهم أرأيتم مجوسياً أو مرتداً أسلمت امرأته وهي حائض، وعرض القاضي على الزوج الإسلام فأبى أن يسلم هل يفرق القاضي بينهما وهي حائض، أو يدعها على حالها فتكون مسلمة في عصمة مرتد، وذلك حرام من الله ورسوله؟

أرأيتم إن كان الزوج الذي أسلم وأبت المرأة أن تسلم وهي حائض أيفرق بينهما أو يدعهما؟ أرأيتم أمة أُعتقت وزوجها عبد فخيرها الإمام فاختارت نفسها وهي حائض، هل يفرق الإمام بينهما على هذا الحال أو يدعها معه حتى تطهر؟ أرأيتم نصرانياً طلق امرأته وهي حائض هل يقع الطلاق عليها أو لا يقع؟ وحكمها عندكم حكم المسلمة[1]؟

أرأيتم رجلاً قال لامرأته إن دخلت الدار فأنت طالق فدخلت وهي حائض، وقد كان حلف باليمين وهي طاهر أتطلق أم لا؟ فإن قالوا: تطلق تركوا قولهم، وإن قالوا لا تطلق فقد

[1] في (ج): المسلمين.

بطلت اليمين؛ لأنها إن لم تطلق بالدخول الذي يلي اليمين لم تطلق لما بعده، ويقال لهم أرأيتم رجلاً قال لامرأته وهي حائض إذا طهرت من حيضتك فأنت طالق تطليقة للسنة، فطهرت من حيضها هل يقع الطلاق بها؟ فإن قالوا نعم، قيل لهم: وكيف يقع الطلاق بها؟ وإنما وقع الطلاق وابتداؤه في حالٍ لا يقع طلاقه عليها ولا ينعقد، إنما ينبغي أن يكون هذا في قولكم بمنزلة رجل طلق امرأة لا يملكها إلى وقت فلا يقع عليها الطلاق إذا ملكها في مذهبكم، وإن قالوا: في مسألتنا هذه لا يقع الطلاق إذا طهرت، قيل لهم: وبم أبطلتم الطلاق، وإنما أوقعه عليها في الحال التي أمره الله بها؟ وإن كان إنما تكلم به في حال غيرها، ألا ترون أنه لم يوقع بكلامه في الحال الأولى على امرأته طلاقاً يلزمها في تلك الحال، إنما تكلم بطلاق يقع ويجب في الحال التي أمر الله بها.

الكلام في الفرقة المحقة من هذه الأمة

قال الحسن بن يحيى: سألت عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسائرها في النار"[1]، وما مذهب هذه الفرقة الناجية؟

---

[1] أخرج الترمذي (٢٦٤٠) وأبو داود (٤٥٩٦) في "السنن" وغيرهم من طرق عن محمد بن عمرو بن علقمة (حسن الحديث)، عن أبي سلمة (ثقة فقيه إمام باتفاق)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَفَرَّقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً. وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ. وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً». وصحّحه الترمذي، وابن حبان (١٤|١٤٠)، والحاكم (١|١٢٨)، والمنذري وغيرهم. وأخرج أبو داود (٤٥٩٧) وغيره من طرق عن صفوان بن عمرو (ثقة ثبت)، حدثنا أزهر بن عبد الله (صدوق ناصبي)، عن أبي عامر عبد الله بن لحي الهوزني (ثقة)، عن معاوية بن أبي سفيان، أن رسول الله، رضي الله عنه، قام فينا، فقال: «إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً –يَعْنِي الْأَهْوَاءَ–، كُلُّهَا فِي النَّارِ إلا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ. وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَي بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، فلا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلا مَفْصِلٌ إلا دَخَلَهُ». قال معاوية: «والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم، صلى الله عليه وسلم، لغيركم من الناس أحرى ألا يقوم به».

وقد صحّحه الحاكم أبو عبد الله في المستدرك (١|١٢٨)، وجوّده الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (٣\٢٣٠١) وحسّنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في تخريج الكشاف (٦٣)، وصحّحه شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط (١\١١٨).

وقد روي هذا الحديث عن عدد من الصحابة. فقد روي عن أبي أمامة [أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧\١٧٥) و"المعجم الكبير" (٨\٢٧٣) و (٨\٢٦٨)، وابن نصر المروزي في "كتاب السنة" (ص٢٢)، والبيهقي في "سننه الكبرى" (٨\١٨٨)، وابن أبي شيبة في "مصنفه"، من طرق عن طريق أبي غالب (حسن الحديث) عن أبي أمامه.] وعن أنس بن مالك [أخرجه أبو يعلى في مسنده (٧\٣٢) من طريق أبي سحيم مبارك بن سحم.]، وفيه أن الفرقة الناجية هي «السواد الأعظم». وقد روي بلفظ فيه أن الفرقة الناجية هي «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، وذلك عن عبد الله بن عمرو بن العاص [أخرجه الترمذي في سننه (٢٦٤١) وقال حسن غريب، والحاكم في المستدرك (١\٢١٨) استشهاداً، وابن نصر المروزي في السنة (ص٢٣)، من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي، وقد حسّنه العراقي في تخريج الإحياء (٣\٢٣٠١).] وأنس بن مالك [أخرجه الطبراني في "المعجم الصغير" (٢\٢٩) وفي "الأوسط" (٨\٢٢) من طريق عبد الله بن سفيان الخزاعي الواسطي.]. وروي بلفظ فيه أن الفرقة الناجية هي «الجماعة» من طريق سعد بن أبي وقاص [أخرجه ابن نصر المروزي في السنة (ص٢٢) من طريق موسى بن عبيدة الربذي.] وعوف بن مالك [أخرجه ابن ماجه (٢\١٣٢٢) وفيه عباد بن يوسف (جيد الحديث، وثقه ابن ماجه وابن أبي عاصم وعثمان بن صالح وابن حبان، ولم يضعّفه أحد. وقال عنه الذهبي: صدوق يغرب.] وأنس بن مالك [أخرجه المروزي في "السنة" (١\٢١)، وأبو يعلى في مسنده (٧\١٥٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٠\١٥٥)، من طريق يزيد بن أبان الرقاشي. وأخرجه ابن ماجه من طريق هشام بن عمار، وصححه البوصيري مصباح الزجاجة (٤\١٧٩). وقال الألباني عنه في هامش كتاب "السنة" لابن أبي عاصم (١\٣٢): «حديث صحيح ورجاله ثقات، على ضعف في هشام بن عمار، لكنه قد توبع كما يأتي. والحديث أخرجه ابن ماجه بإسناد المصنف هذا وصححه البوصيري. والحديث صحيحٌ قطعاً لأن له ست طرق أخرى عن أنس وشواهد عن جمع من الصحابة.

فإن الفرقة الناجية هذه الفرقة التي اتبعت كتاب ربها وسنة نبيها، وتمكست بعلي بن أبي طالب وبأهل بيت نبيها المتمسكين بكتاب ربهم العاملين به، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، الذين افترض الله على أهل الإسلام مودتهم ولا يقبل الإسلام إلا بمودتهم، وافترض على أهل الإسلام أن يبذلوا أنفسهم ودماءهم، ويقاتلوا على الأفياء والأخماس، وأن يؤدوا إليهم حقهم الذي فرض الله لهم الذي لا يتم الإيمان إلا بأدائه إليهم.

فخير الفرق الفرقة المسلمة التي تود أهل بيت نبيها، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتبذل أموالها وأنفسها دونهم، وتنتظر أمرهم، فإذا قام منهم قائم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر نصروه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم وأعانوه على ما استعانهم عليه من إقامة كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم [١٩٧]وهم الذين شهد الله لهم في الكتاب فقال: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}[آل عمران: ١١٠] مع آي كثيرة في كتاب الله شهد الله لهم فيهن أنه فضل المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً، فعليك رحمك الله بهذه الفرقة فإنها الناجية والمتمسكة بكتاب ربها وسنة نبيها.

وأما سائر الفرق التي خالفت هذه الفرقة من الأصناف المنتحلة للتشيع والإرجاء، نسأل الله العصمة والتوفيق.

قال محمد: بلغنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية".

وبلغنا أنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن الفرقة الناجية فقال: "هي من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي"[١]، وقد بلغنا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي"[٢]، فعلي بن أبي طالب كان متمسكاً بالكتاب.

[١] جاء وصفها بقوله صلى الله عليه وسلم: (وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي)، كما في حديث عبد الله بن عمرو عند الترمذي (٢٦٤١) وحسَّنه، وحسَّنه ابن العربي في " أحكام القرآن " (٣ / ٤٣٢)، والعراقي في " تخريج الإحياء " (٣ / ٢٨٤)، والألباني في " صحيح الترمذي ".

[٢] تقدم مرارا.

وقد سئل علي بن أبي طالب صلى الله عليه عن الفرقة الناجية فقال: "أنا ومن اتبعني وسائر الناس منها برآء"[1].

قال الحسن بن يحيى: وسألت من أين نجم الاختلاف-يعني من أين بدأ-؟ فإن أول ما نجم من الاختلاف أن قعد في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لا يستحق مجلسه ولا يعرف الحكم الذي أنزل الله في كتابه، ودفع عن مجلس الحكم من أمر الله ورسوله بطاعته واتباعه، ومن ذلك أن الجاهل بحكم الله ورسوله المتقلد لما لم يأذن الله له من مقعد رسول الله حمله الجهل وحب الرئاسة على أن أباح الديانة بالرأي، والحكم بخلاف ما أنزل الله، فاتخذ الناس الرأي ديناً، وتركوا الأخذ بكتاب ربهم، واتباع أهل بيت نبيهم وسنة نبيهم، الذين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، ألا وإنهما الخليفتان من بعدي". فلما لم يتمسكوا بهم اختلفوا وضلوا ضلالاً بعيدا[2].

---

[1] عن حبابة الوالبية قال: دخلت عليها فقالت: من أنت؟ قلت: ابن أخيك ميثم، فقالت: أخي والله لأحدّثنّك بحديث سمعته من مولاك الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) إني سمعته يقول: والذي جعل أحمس خير بجيلة وعبد القيس خير ربيعة وهمدان خير اليمن انكم لخير الفرق. ثمّ قال: ما على ملة إبراهيم إلاّ نحن وشيعتنا وسائر الناس منها برآء. " كتاب المحاسن" (١٤٧، ب ١٦، ح ٥٥) لأحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه وابن أبي نجران، عن حمّاد بن عيسى، عن الحسين بن مختار، عن عبد الرحمن بن سيابة، عن عمران بن ميثم. قلت: حماد بن عيسى الجهني ضعيف ["تهذيب الكمال" (٢٨١/٧) (١٤٨٦)]، وعبد الرحمن بن سيابة مجهول، وعمران بن ميثم منكر الحديث ["لسان الميزان" (٨٢/٦) (٥٧٦٦)]. فالحديث كله لا يصح لا عن علي ولا ابنه الحسين عليهما الرضوان والسلام.

[2] هذا الكلام غيره خير منه، وهو يخالف ما تواتر عن متقدمي آل البيت عليهم السلام من الترضي عن الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، ومن معرفة قدرهم ورفيع منازلهم، بل وتفضيلهم على جميع الصحابة، رضي الله عنهم. وهو ما كان عليه الشيعة الأول قبل أن يقعوا في الغلو وسوء الظن بخير البرية بعد الأنبياء والمرسلين. كما أنه يخالف ما صح عنهم من إنكار الوصية والإمامة وتخصيصها بآل البيت العلوي الفاطمي فقط. وسأذكر ذلك هنا ليعرف الحق من الباطل.

١. **نصوص الإمام علي رضي الله عنه في توقير الخلفاء الراشدين:**

هذه نقول من كتاب "أطواق الحمامة في حمل الصحابة على السلامة" للإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة العلوي الحسيني (ت ٧٤٩):

أولها ما روى سويد بن غفلة أنه قال: مررت بقوم ينتقصون أبا بكر وعمر، فدخلت على أمير المؤمنين فحكيت له ذلك وقلت: لولا أنهم يرون أنك تضمر لهم شيئا مثل الذي أعلنوا به ما اجترأوا على ذلك. فقال رضي الله عنه: أعوذ بالله أن أضمر لهما شيئا إلا الجميل الحسن، أخوا رسول الله ﷺ وصاحباه ووزيراه، ثم نهض باكيا واتكأ على يدي وخرج وصعد المنبر وجلس ثم خطب وقال: ما بال قوم يذكرون سيدي قريش بما أنا عنه منزه، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لا يحبهما إلا مؤمن ولا يبغضهما إلا فاجر، صحبا رسول الله ﷺ على الوفاء والصدق.

ثم أطال في مدحهما وتهدد من يعود إلى الوقيعة فيهما، ثم قال في آخر الخطبة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، والله أعلم بالخير أين هو - يشير بذلك إلى نفسه. رواه اللالكائي في "شرح اعتقاد أهل السنة" (٢٠٠٤).

وثانيها ما رواه جعفر بن محمد الصادق عن جده أن رجلا من قريش جاء إلى أمير المؤمنين على رضي الله عنه فقال: أسمعك تقول: اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين، من هم؟ قال: حبيباي أبو بكر وعمر وإماما الهدى وشيخا الإسلام ورجلا قريش والمقتدى بهما بعد رسول الله ﷺ، من اقتدى بهما عصم ومن اهتدى بهما هدي إلى صراط مستقيم. رواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٣٨٣/٣٠).

وثالثها أن سئل رضي الله عنه عن عمر فقال: رجل ناصح الله فنصحه، وسئل عن أبي بكر فقال: كان أواها منيبا. رواه ابن سعد في "الطبقات" (٣٣٧٩) وأحمد في "فضائل الصحابة" (١١٢) و(١٧٨) والآجري في "الشريعة" (١٨٠٥) و"فضائل الصحابة" للدارقطني من (١ إلى ١٥) وله روايات وطرق يقوي بعضها بعضا.

ورابعها عن عبد الله بن أبي مليكة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنا نترحم على عمر رضي الله عنه حين وضع على سريره، فجاء رجل من خلفي فترحم عليه وقال: "ما أحد أحب إلى أن ألقى الله بعمله منك، وإن كنت لأظن ليجعلنك الله مع صاحبيك، فلأني كنت أكثر أن أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: كنت أنا وأبو بكر وعمر، وفعلت أنا وأبو بكر وعمر". رواه

البخاري (٣٤٨٢) ومسلم (٢٣٨٩). ورواه جعفر بن محمد عن آبائه أنه لما قُتل عمر وكفن وحنط دخل عليه أمير المؤمنين على رضي الله عنه فقال: ما على وجه الأرض أحد أحب أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى، وكان قد سُجي بثوب. رواه أحمد بن حنبل في "فضائل الصحابة " (٦٥٢).
وخامسها قول علي كرم الله وجهه: "خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، ولو شئت لقلت الثالث". رواه ابن عساكر (٢١٢/٤٤) وعن محمد ابن الحنفية - وهو ابن علي بن أبي طالب - قال: قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر، قلت ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت ثم أنت؟ قال :ما أنا إلا رجل من المسلمين". رواه البخاري (٣٦٧١)، وقد روي عن علي رضي الله عنه أنه قال " :"لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري"، رواه عبد الله بن أحمد في " السنة " (١٣١٢)، وابن أبي عاصم في " السنة " (١٢١٩)، والبيهقي في " الاعتقاد " (ص: ٣٥٨). وعن أبي جحيفة: " أن عليا رضي الله عنه صعد المنبر، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال :خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، والثاني عمر رضي الله عنه، وقال يجعل الله تعالى الخير حيث أحب، " رواه الإمام أحمد في مسنده (٨٣٩)، وقال شيخنا شعيب الأرناؤوط " :إسناده قوي.
وسادسها أنه لما حضرته الوفاة قالوا: ألا توصي يا أمير المؤمنين؟ قال: ما أوصى رسول الله ﷺ فأوصي، ولكن إن أراد الله بالناس خيرا فسيجمعهم على خيرهم [كما جمعهم على خيرهم] بعد نبيهم أبو بكر. رواه البزار في "مسنده" (١٨٦/٢) (رقم ٥٦٥) والحاكم في "المستدرك" (٤٤٦٧) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

٢. نصوص أئمة آل البيت عليهم السلام:

وهنا أنقل تسع روايات بعضها ذكرها الإمام يحيى بن حمزة وبعضها زدتها من مصادرها الأصلية.

الأولى حال الحسن والحسين رضي الله عنهما. والمنقول من حالهما كحال أمير المؤمنين على رضي الله عنه في الموالاة وإظهار القول الجميل. ولم يرو أحد من أهل النقل عنهما طعنا ولا لعنا ولا فسقا ولا كفرا ولا شينا، بل السيرة الحسنة. ولقد روي أن عمر رضي الله عنه لما وضع الديوان وفرض لكل من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم نصيبا في بيت المال وفرض للحسن والحسين رضي الله عنهما ألوفا من بيت المال، ثم فرض لعبد الله بن عمر أقل من نصيبهما، فأتى إلى أبيه فقال: لم فرضت نصيبي دون حقهما؟ فقال له عمر: ائتني بجد مثل جدهما وبأب مثل أبيهما وبأم مثل أمهما وبعم مثل عمهما، فسكت عبد الله وانصرف. فدل ما ذكره على تعظيم كل أحد منهم لصاحبه واعترافه بحقه. قال محمد بن إبراهيم التيمي: لما دوَّن عمر بن الخطاب الديوان، وفرض العطاء، ألحق الحسن والحسين بفريضة أبيهما مع أهل بدر؛ لقرابتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرض لكل منهما خمسة آلاف درهم؛ "تاريخ دمشق" لابن عساكر (٢٣٨/١٣).

والرواية الثانية ما كان من زين العابدين السجاد علي بن الحسين رضي الله عنهم. والمعلوم من حاله الذكر الحسن في حقهما والمحبة والمودة. وقد روى أبو مصعب الزهري، ثنا عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه أنه قال: ما رأيت هاشميا أفقه من علي بن الحسين، سمعت علي بن الحسين يقول وهو يسأل: كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأشار بيده إلى القبر، ثم قال: منزلتهما منه الساعة وقال البيهقي ورواه يعقوب بن محمد الزهري، عن عبد العزيز وقال في الجواب: كمنزلتهما منه الساعة، هما ضجيعاه. أخرجه البيهقي في كتابه الاعتقاد (ص٣٦٢) بسند صحيح. وله أيضًا طريق آخر أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في مسند أبيه ط الرسالة (ج٢٧/ص٢٦٤) وفي فضائل الصحابة (ج١/ص٢٠٣) وفي الزهد (ص٩٢).

الرواية الثالثة حال زيد بن علي رضي الله عنه. والمعلوم من حاله أنه كان شديد المحبة لهما والموالاة وأنه كان ينهى عن سبهما ويعاقب عليه. فعن هاشم بن البريد عن زيد بن علي قال: قال لي: يا هاشم، اعلم والله أن البراءة من أبي بكر وعمر البراءة من علي، فإن شئت فتقدم وإن شئت فتأخر. رواه الدارقطني في "فضائل الصحابة والقرابة" (٥٠) بسند صحيح. وعن الحسين بن عيسى بن زيد عن أبيه، قال زيد بن علي: انطلق الخوارج فبرئت ممن دون أبي بكر وعمر، ولم يستطيعوا أن يقولوا فيهما شيئا، وانطلقتم أنتم فطفرتم فوق ذلك فبرئتم منهما، فمن بقي؟ فوالله ما بقي أحد إلا برئتم منه. رواه الدارقطني في "فضائل الصحابة والقرابة" (٥٣)، والحسين بن عيسى عم الحسن بن يحيى صاحب المقالة أعلاه، فالعهد قريب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الرواية الرابعة عن عبد الله بن الحسن وأولاده محمد بن عبد الله النفس الزكية وأخويه إبراهيم ويحيى ابني عبد الله أنهم كانوا لا يتبرؤون بل يسيرون فيهما سيرة آبائهم، من الترضي والاحترام والتوقير. فعن أبي خالد الأحمر قال: سألت عبد الله بن حسن عن أبي بكر وعمر فقال: صلى الله عليهما، ولا صلى على من لا يصلي عليهما. رواه الدارقطني في "الفضائل" (٥٩) بسند حسن. وعن عَمَّار الضَّبِّيّ عَنْ عبدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ، قَالَ: مَا أَرَى رَجُلًا يَسُبُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ ثَبَتَتْ لَهُ تَوْبَةٌ أَبَدًا. رواه كذلك الدارقطني (٦٢) بسند حسن. وعن فضيل بن مرزوق قال: سمعت إبراهيم بن الحسن بن الحسن أخا عبد الله بن الحسن يقول: قد والله مرقت علينا الرافضة كما مرقت الحرورية على علي بن أبي طالب. رواه الدارقطني في "الفضائل" بسند حسن.

وعن حبيب الأسدي عن محمد بن عبد الله بن الحسن، النفس الزكية، قال: أتاه قوم من أهل الكوفة والجزيرة، فسألوه عن أبي بكر وعمر، فالتفت إلي فقال: انظر إلى أهل بلادك يسألوني عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، لهما عندي أفضل من علي رضي الله عنه. رواه الدارقطني (٥٨).

الرواية الخامسة عن الإمام أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين وابنه الإمام الصادق جعفر بن محمد رضي الله عنهما. فإنه كان شديد المحبة لهما، والروايات عنه بذلك متواترة وكثيرة. فعن محمد بن إسحاق عن أبي جعفر محمد بن علي قال: من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقد جهل السنة. رواه الدارقطني في "الفضائل" (٣٧) وأبو القاسم التيمي في "الحجة"

(٣٥٠/٢) وغيرهما. وعن بسام بن عبد الله الصيرفي قال: سألت أبا جعفر قلت: ما تقول في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؟ فقال: والله إني لأتولاهما وأستغفر لهما، وما أدركنا أحدا من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما. رواه الدارقطني في "الفضائل" (٤١) بسند حسن. عَنْ زُهَيْرِ بنِ مُعَاوِيَةَ، قَالَ قَالَ أَبِي لِجَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ إِنَّ لِي جَارًا يَزْعُمُ أَنَّكَ تَبَرَأُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ جَعْفَرٌ بَرِئَ اللهُ مِنْ جَارِكَ، وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَنْفَعَنِي اللهُ بِقَرَابَتِي مِنْ أَبِي بَكْرٍ، وَلَقَدِ اشْتَكَيْتُ شِكَايَةً، فَأَوصَيتُ إِلَى خَالِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ القَاسِمِ. رواه الدارقطني في "الفضائل" (٣٨) وأبو القاسم التيمي في "الحجة" (٣٥١/٢) وسنده صحيح إلى معاوية بن حديج.

وعَنْ سَالِمِ بنِ أَبِي حَفْصَةَ، قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ وَابْنَه جَعْفَرًا عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ يَا سَالِمُ! تَوَلَّهُمَا، وَابْرَأْ مِنْ عَدُوِّهِمَا، فَإِنَّهُمَا كَانَا إِمَامَيْ هُدًى. ثُمَّ قَالَ جَعْفَرٌ يَا سَالِمُ! أَيَسُبُّ الرَّجُلُ جَدَّه، أَبُو بَكْرٍ جَدِّي، لاَ نَالَتْنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَتَوَلاَّهُمَا، وَأَبرَأُ مِنْ عَدوِّهِمَا. رواه أحمد في "فضائل الصحابة" (١٧٦) بسند صحيح عن سالم.

وحَدَّثَ عَبْدُ الجَبَّارِ بنُ العَبَّاسِ الهَمْدَانِيُّ أَنَّ جَعْفَرَ بنَ مُحَمَّدٍ أَتَاهُم وَهُم يُرِيْدُوْنَ أَنْ يَرْتَحِلُوا مِنَ المَدِيْنَةِ، فَقَالَ إِنَّكُم إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْ صَالِحِي أَهْلِ مِصرِكُم، فَأَبلِغُوهُم عَنِّي مَنْ زَعَمَ أَنِّي إِمَامٌ مَعصُومٌ، مُفتَرَضُ الطَّاعَةِ، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيْءٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنِّي أَبْرَأُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيْءٌ. رواه الدارقطني في "الفضائل" (٧١)

وعَنِ الدَّارَقُطْنِيِّ (٨٤) بسند حسن، قال حَنَانُ بنُ سَدِيْرٍ، سَمِعْتُ جَعْفَرَ بنَ مُحَمَّدٍ، وَسُئِلَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ إِنَّكَ تَسْأَلُنِي عَنْ رَجُلَيْنِ قَدْ أَكَلاَ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ.

الرواية السادسة عن القاسم بن إبراهيم الرسي. وقد روي عنه أنه لما سئل عنهما قال: {تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم} وهذا يدل على ترك الطعن واللعن ووكول أمرهم إلى الله، وهذه هي السلامة.

وقد روي عنه أيضا أنه كان ينكر إيذاءهما ويسخط ولا يرضى بقول الرافضة فيفرط، وهو تصريح بتحريم الأذية والسب. والإمام القاسم أحد الأربعة الذين عني مؤلف هذا الكتاب بجمع مذهبهم.

الرواية السابعة عن الناصر للحق الأطروش الحسن بن علي رضي الله عنهما. روى الصاحب الكافي إسماعيل بن عباد أنه قال: أنا عندي بخط الناصر للحق الترحم عليهما.

وعن القاضي أبي بكر -وكان منصوبا من جهة السيد المؤيد بالله، استقضاه على بعض النواحي- قال: سمعت عن الشيخ حسين [الصوفي] وكان له نيف وسبعون سنة يقول: سمعت نيفا وسبعين شخصا ممن حضر مجلس الناصر للحق قالوا: أملى الإمام الناصر للحق شيئا عن الشيخين أبي بكر وعمر ثم قال: رضي الله عنهما، فكفَّ المستملي أن يكتب رضي الله عنهما، وكان الإمام ينظر إليه فزجره وقال له: لم لا تكتب رضي الله عنهما؟! فإن هذا العلم لم يورث إلا عنهما وعن أمثالهما.

وعن الشيخ أحمد بن أبي الحسن الكنى أن الموجود في كتاب الإمامة للناصر الحق في آخر باب من أبوابها قال فيه: ولم أصف ما وصفت من اعتراضهم بما اعترضوا إرادة لدفع فضل أبي بكر رضي الله عنه عما خصه الله به من بعد علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وإني لعارف بحقه وصحبته لرسول الله ﷺ وتقدم إسلامه على من أسلم بعده وإني لمحب له، والحمد لله وحده.

وهذا كله كلامه بألفاظه. فمن كان هذا كلامه في أيام ولايته وولاية بني عمه كالحسن بن زيد ومحمد بن زيد من غير تقية وخوف، كيف يقال إن مذهبه في حقهم التفسيق والإكفار.

الرواية الثامنة عن السيد المؤيد بالله. قال الشيخ أبو سعيد: سمعت القاضي يوسف: سمعت المؤيد بالله يقول في وقت: الحمد لله، أزداد كل يوم لهما حبا. وكان في أول عمره وعنفوان شبابه متوقفا ثم ترحم عليهما في آخر عمره، وكان يجتهد في الدعاء إلى فضلهما ويأمر بذلك ويجتهد في كشف ذلك لأصحابنا من الزيدية ويظهر لهم هذه الحالة، وكان يفضلهما ويمنع الناس من القول السيء فيهما.

وروى عنه الكنى في جوابه "الهوسميات": أنه ذكر أن الخلاف في الإمامة وإن كان قطعيا فإنه لا يوجب كفرا ولا فسقا، ولهذا فإن أمير المؤمنين لم يكفر ولم يفسق من تخلف عن القول بإمامته والدخول فيها، كسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر وغيرهم. وهكذا في سائر أئمة أهل البيت فإنهم لا يرون الخلاف في إمامته كفرا ولا فسقا، وإن كانت أدلتها قاطعة. هذا ملخص ما حكاه عن المؤيد بالله الشيخ الكني في "الهوسميات".

الرواية التاسعة عن الموفق بالله أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل الجرجاني أنه قال: فإن قيل فما حكم من خالف هذه النصوص الدالة على أمير المؤمنين، هل يكفر أو يفسق؟ قيل إنه يكون مخطئا غير كافر ولا فاسق، ولذلك كان يوليهم أمير المؤمنين الذكر الجميل ويثني عليهم، ولو كان فاسقا لما كان ذلك. فإن قيل هلا فسقوا لأنهم مخطئون فيما يتعلق خطؤه بالفروج والأموال؟ قيل إن من خطّأه بطريق التأويل لم يكن كافرا ولا فاسقا.

قال أبو محمد: فهذا الكلام نقلته من "أطواق الحمامة" وزدت ونقصت وخرجت الروايات وذكرت درجتها، نصحا للمسلمين وتحذيرا لكل من كان من آل البيت أو شيعتهم عن مخالفة السلف عليهم السلام، والانحراف لمذهب الرافضة المخذولين.

٣. إنكار آل البيت التنصيص على من زعم الوصية بالإمامة:

في البخاري (٣٠٤٧) عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيء، من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه، إلا فهمًا يعطيه الله رجلًا في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وألا يقتل مسلم بكافر.

قال الحسن: وإنما ادعى المخالفون لآل محمد أن التأويل مطلق ليجيزوا لمن تقدم على علي، ولمن نصب له حرباً من أهل الجمل وصفين والحرورية أن لهم أن يتأولوا على عليّ أمير المؤمنين -صلى الله عليه- وأن دمه لهم حلال بالتأويل، وهذا هو الأصل الذي جحدوا به علياً -عليه السلام- حقه، وأجازوا لأنفسهم إزالته عن مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقال: إنما عاند أهل الخلاف المجرمون علياً وأهل بيته من بعده؛ لأنهم زعموا أن الله أطلق لهم أن يتأولوا القرآن برأيهم على أهوائهم، وتأولوا الأحاديث التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنهم إن أخطأوا كان لهم أجر، وإن أصابوا كان لهم أجران، وكذبوا لقد أنزل الله كتابه على نبيه وعلمه تأويله فمن تأول القرآن بغير التأويل الذي علمه جبريل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فقد ضل ضلالاً بعيداً، قال الله عز وجل: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ أَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ}[يونس:٥٩] وقال تعالى: {وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ [١٩٨] هَذَا

بل إن هذا السؤال كان يثير غضب علي رضي الله عنه، وذلك لجهل السائل بأمر يتعارض مع عموميات الشريعة وما جاء به صلى الله عليه وسلم. فقد قال أبو الطفيل: كنت عند علي بن أبي طالب، فأتاه رجل فقال: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسر إليك؟ قال: فغضب وقال: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسرُّ إلي شيئًا يكتمه الناس. رواه مسلم (١٩٧٨). وتقدم أنه لما حضرته الوفاة رفض أن يوصي لابنه الحسن عليه السلام والرضوان.

أخرج ابن عاصم محمد بن عاصم الثقفي الأصبهاني في "جزئه" العالي المشهور (٤١)، ومن طريقه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٤١/ ٣٩٣)، والدارقطني في "الفضائل" (٦٥) والمزي في تهذيب الكمال (في ترجمة زين العابدين على بن الحسين رضي الله عنهم) [٤١] حدثنا شبابة عن الفضيل بن مرزوق قال سألت عمر بن علي وحسين بن علي _ عَمَّي جعفر _ قال قلت: هل فيكم إنسان من اهل البيت أحد مفترض طاعته تعرفون له ذلك ومن لم يعرف له ذلك فمات مات ميتة جاهلية؟ فقال: لا والله ما هذا فينا، من قال هذا فينا فهو كذَّاب، قال فقلت لعمر بن علي: رحمك ا لله إن هذه منزلة، إنهم يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى عليٍ وأن عليا أوصى الى الحسنِ وأن الحسنَ أوصى الى الحسينِ وأن الحسينَ أوصى الى ابنه علي بن الحسين وأن علي بن الحسين أوصى إلى ابنه محمد بن علي. قال: والله لقد مات أبي فما أوصاني بحرفين، مالهم قاتلهم الله، إنْ هؤلاء إلا مُتَأَكِّلِيْنَ بِنَا. هذا خنيس وهذا خنيس الحُرُّ وما خنيس الحُرُّ؟ قال قلت له: هذا المعلى بن خنيس. قال: نعم المعلى بن خنيس، والله لقد أَفْكَرْتُ على فراشي طويلا أتعجب من قوم لَبَسَ الله عز وجل عقولهم حتى أَضَلَّهُم المعلى بن خنيس. وأخرجه ابن سعد في الطبقات في ترجمة (عمر بن علي بن حسين). قال: أخبرنا شبابة بن سوَّار أخبرنا فضيل بن مرزوق سألت عمر بن علي وحسين بن علي _ عَمَّي جعفر _ ... به. وإسناده حسن.

وعن شبابة حدثنا الفضيل بن مرزوق قال: سمعت الحسن بن الحسن أخا عبد الله بن الحسن وهو يقول لرجل ممن يغلو فيهم: ويحكم أحبونا لله، فإن أطعنا الله فأحبونا وإن عصينا الله فأبغضونا. قال: فقال له رجل إنكم ذو قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته. فقال: ويحكم لو كان الله عز وجل نافعا بقرابة من رسوله بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منَّا أباه وأمَّه، والله إني لأخاف أن يضاعفَ للعاصي منَّا العذابُ ضعفينِ، والله إني لأرجو أن يوتى المحسنُ منَّا أجرَهُ مرتينِ. قال ثم قال: لقد أساء بنا آباؤنا وامهاتنا إن كان آباؤنا ما تقولون في دين الله ثم لم يخبرونا به ولم يطلعونا عليه ولم يرغبونا فيه، فنحن والله كنَّا أقرب منهم قرابة منكم وأوجب عليهم حقا وأحق بأن يرغِّبونا فيه منكم، ولو كان الأمرُ كمَا تقولون أن الله ورسوله اختارا عليا لهذا الامر والقيام على الناس بعده إن كان عليا لأعظمَ الناسِ في ذلكَ خطيئةً وجرمًا إذ ترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ يقومَ فيهِ كمَا أمره أوْ يَعْذِرَ فيه إلى النَّاسِ. قال فقال له الرافضي: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: ((من كنت مولاه فعلي مولاه))؟! قال: أَمَا واللهِ أَنْ لو يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الإمرةَ والسلطانَ والقِيَامَ على الناسِ لأفصحَ لهم بذلك كما أفصحَ لهم بالصلاةِ والزكاةِ وصيامِ رمضانَ وحجِّ البيتِ، ولقال لهم ((أيها الناس إن هذا وليُّ أمركم من بعدي فاسمعوا له واطيعوا)) فما كان من وراءِ هذا شيئا فإنَّ أنصحَ الناسِ كانَ للمسلمينَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. ومن طريق ابن عاصم أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/ ٧٠) وأخرجه المزي في تهذيب الكمال (ترجمة: الحسن بن الحسن بن على رضي الله عنهم) من طريق ابن عاصم أيضا. وهو سند حسن. قال الحافظ المزي في "تهذيب الكمال" (عن إسناد محمد بن عاصم الثقفي عن شبابة عن فضيل) وهذا من أصح الأسانيد وأعلاها. أخرجه محمد بن عاصم الثقفي في جزءه (ص١٢٥) ومن طريقه الضياء المقدسي في كتابه "النهي عن سب الأصحاب" (ص٦٦) وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٧٠/١٣) وأخرجه ابن سعد في كتابه "الطبقات الكبرى" ط العلمية (ج٥/ص٢٤٥) وأخرجه البيهقي في كتابه "الاعتقاد إلى سبيل الرشاد" (ص٣٥٥) كلهم من طريق شبابة بن سوار الفزاري حدثنا الفضيل بن مرزوق، قال: سمعت الحسن بن الحسن أخا عبد الله بن الحسن وهو يقول لرجل ممن يغلو فيهم فذكر الحديث بطوله. وإسناده حسن

حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ}[النحل:١١٦].

ثم حرم ذلك أيضاً فقال تعالى لنبيه –عليه السلام-: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}[الأعراف:٣٣] ثم نهى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عن التكليف وأن يقول على الله ما لا يعلم، فقال: {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ}[ص:٨٦] وقال: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً}[الإسراء:٣٦] وقال: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ}[الأعراف:٣].

الكلام في اتباع السنة في الجهاد

قال الحسن –عليه السلام-: إن الله سبحانه فرض على العباد طاعته وطاعة رسوله وأمر باتباع سنة رسول الله فقال: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ}[النساء:٥٩] قال: {إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}[آل عمران:٣١] وعلم نبيه الفرائض والسنن وأكمل له الدين، ولم يدع لأحد في دين الله رأياً ولا اختياراً، ولم يطلق لأهل الإسلام أن يستخرجوا دين الله من تلقاء أنفسهم فقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}[الأحزاب:٣٦] وقال: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ}[القصص:٦٨] ثم علم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم كيف يقاتل وأخبره بالعدة التي يجوز بها القتال، فقال: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}[الأنفال:٦٥] ثم علم ضعفهم عن ذلك فقال: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}[الأنفال:٦٦] ثم قال: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}[البقرة:٢٤٩] فلم يضيق على من حضرته النية في الدين الدفع عن دينه ونفسه وماله وحريمه أن يقاتل في فئة لا حد لها.

ثم أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن من أكبر الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر، فإن قتل المتكلم بها كان شهيداً، وكمال الطاعة [في][1] جهاد العدو أن يقاتلوا في الفئة والعدة، وقال الله عزَّ وجل: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال:٦٠] وأمره باتخاذ العدة والكراع.

وقال سلمان الفارسي: "لو أعلم أني أعز ديناً وأدفع ضيماً لوضعت سيفي على عاتقي ثم ضربت به قُدماً قُدماً"[2].

وأقام نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في دار المشركين ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى الإسلام، ثم صار إلى دار يؤيه ويمنعه، وقد أخذ عليهم البيعة وفي المدينة يومئذٍ اثنا عشر ألفاً من الأوس والخزرج، ومن تبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المهاجرين وقبائل العرب، فخرج إلى بدر وهو يريد عيراً لقريش جاءت من الشام، ولم يكن معه جميع من تابعه بالمدينة، وإنما كان[١٩٩] في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا من المهاجرين والأنصار وغيرهم وجاءت قريش في ألف فارس وراجل، فالتقى هو وعدوه على غير موعد كان بينهم، فأيده الله بالملائكة المسومين ونصره على عدوه. ثم[3] لم يزل يقاتل عدوه في حروبه، بالعدة والرجل، والسلاح والكراع.

ثم كان من بعده علي بن أبي طالب وهو أشجع الناس، وأعلمهم وأولاهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبمقامه، وأولاهم بالناس، فلما اجتمع القوم على أن يولوا الأمر غيره لزم بيته وأغضى وانقاد مع الناس[4]، فمكث نحواً من أربع وعشرين سنة رغبة حتى قتل

---

[1] غير موجود في (ج).

[2] "رجال الكشى" (٢٠/١) عن مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اَللَّهِ اَلْحُسَيْنُ بْنُ إِشْكِيبَ، قَالَ أَخْبَرَنِي اَلْحَسَنُ بْنُ خُرَّزَاذَ اَلْقُمِّيُّ، قَالَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ اَلسَّاسِيُّ، عَنْ صَالِحِ بْنِ فَرَجٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ اَلْمُعَدِّلِ، عَنْ عَبْدِ اَللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ جعفر بن محمد به. وهو حديث طويل ظاهر الوضع، وجعفر لم يدرك سلمان الفارسي، رضي الله عنه بل بينهما مفاوز. والحسن بن خرزاذ ضعيف عند علماء الإمامية متهم بالغلو!!["معجم رجال الحديث" للخوئي (٣٠٧/٥) (٢٨١٠)].

[3] في (ج): ولم يزل.

[4] روى الحاكم في "المستدرك" (٤٤٢٢) عن إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ كَانَ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ كَسَرَ سَيْفَ الزُّبَيْرِ، ثُمَّ قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَخَطَبَ النَّاسَ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ حَرِيصًا عَلَى الْإِمَارَةِ يَوْمًا وَلَا لَيْلَةً قَطُّ، وَلَا كُنْتُ فِيهَا رَاغِبًا، وَلَا سَأَلْتُهَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سِرٍّ وَلَا عَلَانِيَةٍ، وَلَكِنِّي أَشْفَقْتُ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَمَا لِي فِي الْإِمَارَةِ مِنْ رَاحَةٍ، وَلَكِنْ قُلِّدْتُ أَمْرًا عَظِيمًا مَا لِي بِهِ مِنْ طَاقَةٍ وَلَا يَدَ إِلَّا بِتَقْوِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ أَقْوَى النَّاسِ عَلَيْهَا مَكَانِي الْيَوْمَ، فَقَبِلَ الْمُهَاجِرُونَ مِنْهُ مَا قَالَ وَمَا اعْتَذَرَ بِهِ، قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالزُّبَيْرُ: مَا غَضِبْنَا إِلَّا لِأَنَّا قَدْ أُخِّرْنَا عَنِ الْمُشَاوَرَةِ، وَإِنَّا نَرَى أَبَا بَكْرٍ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّهُ لَصَاحِبُ الْغَارِ، وَثَانِيَ اثْنَيْنِ، وَإِنَّا لَنَعْلَمُ بِشَرَفِهِ وَكِبَرِهِ، »وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ وَهُوَ حَيٌّ". قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ووافقه الذهبي.
وكان عليٌّ يعرف لعمر فضله، ويقدّمه على نفسه، وقد مر معنا في علاقته بأبي بكر، أنه لما سُئِلَ: أيُّ الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: «أبو بكر»، قِيل له: ثُمَّ مَنْ؟ قال: "ثُمَّ عمر". و لمَّا طُعن عمر، رضي الله عنه، كان عليٌّ من أشد الناس حزنا

عثمان، فأجمع جميع من بالمدينة أن يبايعوه فأبى ذلك غضباً منه عليهم، فلما آلوا عليه تقلد أمرهم، ثم خالفه من خالف منهم بعد البيعة ونكثوا عقده ونبذوا عهده، فسار إليهم بالفئة التي أطاعته حتى أظهره الله عليهم.

ثم توجه إلى معاوية –لعنه الله[1]–فقاتله. ثم خالفته الخوارج فقاتلهم فلم يزل على تلك الحال يقاتل من عصاه بمن أطاعه حتى مضى لسبيله –عليه السلام– شهيداً.

ثم قام الحسن –عليه السلام–بالأمر ومعه الفئة التي كانت مع أبيه فلما فسدت عليه طاعة الأكثر من جنده وطعنوه وانتهبوا ثقله، وهموا أن يدفعوه إلى معاوية–لعنه الله– أسيراً عرض عليه معاوية المسالمة والموادعة فأجاب إلى ذلك، وكان ذلك الحق والصواب[2].

ثم خرج الحسين –عليه السلام– هارباً إلى مكة كراهية أن يبايع ليزيد –لعنه الله– فأتاه حمل كتب من رؤساء أهل الكوفة يعلمونه أنهم قد اجتمعوا[3] على طاعته، ويعلمونه أنه يقدم على بلد ليس له فيها مخالف، فبعث مسلم بن عقيل رائداً له فبايعه أربعة آلاف، فلما

عليه، وثناءً عليه، يقول عبدالله بن عباس: «وُضِع عمر بن الخطاب على سريره، فتكنَّفه الناس يدعون ويُثنون ويُصلُّون عليه، قبل أن يُرفع، وأنا فيهم، قال فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت إليه فإذا هو علي، فترحَّم على عمر، وقال: ما خلَّفتُ أحدا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذاك أني كنت أكثر أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر» فإن كنت لأرجو، أو لأظن، أن يجعلك الله معهما". متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٦٧٧) ومسلم (٢٣٨٩).
وبعد مقتل عمر، انعقد مجلس الشورى الذي سمَّاه هو قبل رحيله، وتولَّى زمام الأمر: عبد الرحمن بن عوف، فعزل نفسه من الاختيار، وطاف على أهل المدينة من المهاجرين والأنصار، واستمع إلى أهل الحل والعقد منهم، حتى رأى استقرار الجميع على عثمان بن عفان، فبايعه، وبايعه الجميع: المهاجرون، والأنصار، وأمراء الأجناد، والمسلمون، ومعهم علي بن أبي طالب. انظر تفاصيل الخبر في: صحيح البخاري (كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، رقم ٧٢٠٧)، "فتح الباري" (199 -195 /13)
فتبين من هذا أن عليا، كرم الله وجهه، بايع الخلفاء السابقين وجاهد معهم، ونصح لهم.

[1] لا يحفظ عن متقدمي آل البيت، عليهم السلام، لعن الناس فضلا عمن كان من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولو خالفهم أو قاتل الإمام عليا، عليه السلام. وقد روى ابن أبي شيبة في "المصنف" (٣٩٠٣٥) عن عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ الْمَوْصِلِيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الأَصَمِّ، قَالَ: سُئِلَ عَلِيٌّ عَنْ قَتْلَى يَوْمِ صِفِّينَ، فَقَالَ :قَتْلاَنَا وَقَتْلاَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَيَصِيرُ الأَمْرُ إلَيَّ وَإِلَى مُعَاوِيَةَ. وجاء في "مجموع زيد بن علي" (٦٥٦) عن أبي خالد الواسطي: حدثني زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام أنه أتاه رجلٌ فقال: "يا أمير المؤمنين أكفر أهل الجمل وصفين وأهل النهروان؟ قال: لا، هم إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم حتى يفيئوا إلى أمر الله عز وجل".

[2] روى البخاري في " صحيحه " (حديث رقم/٢٧٠٤) عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: سَمِعْتُ الحَسَنَ، يَقُولُ: اسْتَقْبَلَ وَاللَّهِ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبَ أَمْثَالِ الجِبَالِ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ: إِنِّي لَأَرَى كَتَائِبَ لاَ تُوَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ - وَكَانَ وَاللَّهِ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ - : أَيْ عَمْرُو! إِنْ قَتَلَ هَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ، وَهَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ، مَنْ لِي بِنِسَائِهِمْ، مَنْ لِي بِضَيْعَتِهِمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ : عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ ، فَقَالَ : اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَاعْرِضَا عَلَيْهِ ، وَقُولاَ لَهُ ، وَاطْلُبَا إِلَيْهِ فَأَتَيَاهُ ، فَدَخَلاَ عَلَيْهِ فَتَكَلَّمَا ، وَقَالاَ لَهُ ، فَطَلَبَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمَا الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ : إِنَّا بَنُو عَبْدِ المُطَّلِبِ قَدْ أَصَبْنَا مِنْ هَذَا المَالِ ، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ قَدْ عَاثَتْ فِي دِمَائِهَا . قَالاَ: فَإِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا، وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ. قَالَ: فَمَنْ لِي بِهَذَا؟ قَالاَ: نَحْنُ لَكَ بِهِ. فَمَا سَأَلَهُمَا شَيْئًا إِلَّا قَالاَ: نَحْنُ لَكَ بِهِ، فَصَالَحَهُ، فَقَالَ الحَسَنُ: وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المِنْبَرِ - وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ -، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً، وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ: (إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ).

[3] في (ج): أجمعوا.

بلغ ذلك ابن زياد عاجله فخرج ومعه أربعة آلاف فلم يمس ومعه منهم أحد، ثم قدم الحسين بن علي –عليه السلام– في نحو سبعين رجلاً فحيل بينه وبين الكوفة وأحاطوا به حتى قتلوه[1].

ثم قام زيد بن علي –عليه السلام– فأحصى ديوانه خمسة عشر ألفاً، وقيل ثلاثين ألفاً، فأعجله يوسف بن عمر قبل أن يجتمع إليه أصحابه وعدته، فخرج فوفى له ممن بايعه نحو أربعمائة رجل فقاتل بالفئة التي أطاعته من عصاه حتى قتل شهيداً –صلى الله عليه–[2].

ثم مضى يحيى بن زيد[3] ومعه ثمانون رجلاً من أصحاب أبيه فقاتل فئة نحو عشرة آلاف فنصره الله وقتل رئيس القوم، ثم احتالوا له بالماء فمخروه عليه فقتلوه وقتلوا أصحابه–رحمة الله عليهم–.

ثم خرج محمد بن عبد الله[4] –عليه السلام– وقد بايعه جميع من بالمدينة من المتدينين من قريش والعرب وغيرهم، فقاتل بفئة وتبعة حتى استشهد –رحمة الله عليه–.

ثم خرج إبراهيم بن عبد الله[5] بالبصرة في نحو من ثلاثين ألف فقاتل حتى استشهد –رحمة الله عليه–.

ثم خرج الحسين بن علي[6] بفخ ومعه –عليه السلام– فئة وجماعة قد بايعته فقاتل حتى استشهد –رحمة الله عليه–.

ثم خرج محمد بن إبراهيم[7] –عليه السلام– بالكوفة في فئة وعدة.

---

[1] انظر: الإصابة: ٦٧/٢. وأسد الغابة: ٤٩٦/١. معرفة الصحابة لأبي نعيم: ٦٦٢/٢.

[2] انظر: "طبقات ابن سعد" (١٦٣/٥) و"مقاتل الطالبيين" (ص ١٢٤) و "سير أعلام النبلاء" (٣٩٠/٥).

[3] انظر: " مقاتل الطالبيين" (ص١٠٣) والطبري في "التاريخ" (٤/ ٩٦٣) والعمري في " المجدي في أنساب الطالبيين" (ص ٤٢٩).

[4] تقدمت ترجمة الإمام النفس الزكية سلام الله ورضوانه عليه.

[5] تقدمت ترجمته.

[6] انظر لترجمة الحسين بن علي الفخي: راجع كتاب "أخبار فخ" لأحمد بن سهل الرازي و "تاريخ الطبري" (٤١٢/٦) و"مقاتل الطالبيين" (ص ٢٨٥)

[7] راجع "مقاتل الطالبيين" (ص ٤٣٣) وقد تقدمت ترجمته.

ثم أكره محمد بن زيد بن علي[1] -عليه السلام- على هذا الأمر فأيَّده الله على حداثة سنه.

ثم خرج محمد بن جعفر بن محمد[2] عليهم السلام بالمدينة [٢٠٠] فقاتل هارون بن المسيب حتى قتل عامة أصحابه وأسروا فاستأمن ووسعه ذلك إذ لم يكن معه فئة ينتصر بها من عدوه.

ثم خرج محمد بن القاسم[3] -عليه السلام- بالطالقان.

ثم قدم عبد الله بن موسى -عليه السلام- إلى الكوفة ومعه فئة قليلة لا ينتصر بهم من عدوه فقيل له لو خرجت لم يتخلف عليك[4] أحد فظهر ومعه ابناه قدامه، ومعه نفر من أوليائه لو قاتل بهم لرجوت أن يموتوا دونه، فلما لم يستجب له فئة ينتصر بها، رجع إلى المنزل الذي كان فيه واختفى.

فهؤلاء أهل بيتي ومخرج من خرج منهم وقعود من قعد، فالخارج مصيب والقاعد مصيب إذ لم تمكنه الفئة والعدة.

وسئل الحسن عن خروج زيد بن علي -عليه السلام- وقعود جعفر -عليه السلام- فقال: خروج زيد صلى الله عليه طاعة، وقعود جعفر -عليه السلام- طاعة، وليس للناس أن يحكموا عليهما، وقد بلغنا عن عبد الله بن الحسن -عليه السلام- أنه قال: "لولا أن لا يبقى للإسلام ثاغية ولا راغية لخرجنا جميع آل محمد -صلى الله عليه وآله- بأجمعنا فأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر، ودعونا إلى كتاب الله ربنا، وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم حتى يحكم الله بيننا وبين عدونا، ولكن يخرج الخارج منا فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حجة على أهل زماننا، ويقعد القاعد بقية لغد"[5].

---

[1] لعله يقصد محمد بن محمد بن زيد، فإنه هو الذي أخرج مع أبي السرايا بعد مقتل محمد بن إبراهيم طباطبا آنف الذكر، وقصته مكملة لقصته كما في "مقاتل الطالبيين" (ص ٤٢٢).
[2] "مقاتل الطالبيين" (ص ٤٣٨).
[3] وهو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ترجمته في "مقاتل الطالبيين" (ص ٤٦٤).
[4] في (ج): عنك.
[5] لم أعثر على سنده.

وقال علي -صلى الله عليه-: "عليكم بأهل بيت نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم فإن لبدوا فالبدوا، وإن استنصروكم فانصروهم ولا تصرعكم البلية"[1].

تم الكتاب ولست أحصي شكر مـــــن أولاني التمـــــكين والإمهـــالا

وأمدني بلطائف من فضله وأعانني سبحانه وتعالى

والحمد لله على ذلك[2].

صفحة كتب الشيخ علي الموسوعة في مكتبة نور

https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B3%D9%86-%D8%A8%D9%86-%D8%B9%D9%84%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A7%D9%86%D9%8A-pdf

صفحة الشيخ علي الموسوعة في الفيسبوك

https://www.facebook.com/profile.php?id=100063934216372

[1] "شرح نهج البلاغة"، (٧ / ٥٧ ــ ٥٩) لابن أبي الحديد، ونسبها للمدائني، والله أعلم بسندها.

[2] في آخر نسخة (ج): تم الكتاب المبارك المسمى بـ "الجامع الكافي" بحمد الله ومنه، ولطفه وحسن توفيقه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، بعناية مولانا عز الإسلام، وبهجة الأنام، ومفخر الآل الكرام، صفي الدين أحمد بن الهادي بن هارون، أطال الله مدته، وحرس مهجته، وكان الفراغ من رقمه نصف نهار الاثنين لعله لعشر بقين من شهر شعبان الذي هو من شهور سنة أربع وستين من الهجرة، على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم والتكريم، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
قال أبو محمد: انتهيت من التعليق على هذا الكتاب الهام ليلة الجمعة ١٦ ذي الحجة الحرام سنة ١٤٤٣ هـ في بيتي في الهرهورة قرب رباط الفتح من بلاد المغرب الأقصى، وكتبه الحسن بن علي بن محمد المنتصر بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني الإدريسي الحسني بلغه الله دار التهاني.



من كتب للشيخ في الموسوعة



فهرس الكتاب